# الجاليات الإسلامية في أوروبا

## المنافذ - المشكلات - الحلول


خالد محمد الأصور

باحث بالهيئة العامة للاستعلامات







دار الاعتصام

# كلمة الناشر

إن مشكلة الأقليات المسلمة فى العالم أضحت كمثيلتها [ القضية الفلسطينية ] تستعصى على الحل ، تتقاذفها الأمواج السياسية ، وتتنكر لها المنظمات الدولية ، وكأنها الابن غير الشرعى الذى لا مُدافع عنه ولا نصير ، ولا ملجأ له ولا معين .. رغم أن هذه الأقليات تُعَدُّ فى بعض دول العالم بعشرات الملايين .. غير أن مشكلة الأقليات المسلمة فى العالم أقدم عهدًا من المشكلة الفلسطينية .. ولكن الفرق بين المشكلتين أن فلسطين وجدت لها فصائل تعرف معنى الصوت العالى .. وتعرف معنى المواجهة المسلحة .. وتعرف معنى الجهاد بالنفس وليس ضبط النفس .. وتعرف معنى التضحية بالروح وليس مواجهة العدوان بالحكمة والروية والعقلانية .. ولولا حماس .. وكتائب عز الدين القسام لما رضخت إسرائيل للإرادة الفلسطينية .. حتى وإن ظلت بعض فصائل اللعبة السياسية على الساحة الفلسطينية تلعب بالنار .. أما الأقليات الإسلامية فى بلاد العالم فقد وقع معظمها فريسة لبعض حكام خونة ، وزعامات كرتونية ، فميعوا قضيتهم ، وأهدروا حقوقهم ، وتركوهم نهباً لقوانين جائرة تقيد عاداتهم ، وتفسد معتقداتهم ، وتنال من حريتهم الشخصية .

إن الهند قبل احتلالها كانت دولة مسلمة .. فلما استعمرتها بريطانيا هذه الحقبة الطويلة ، ونشرت فيها هذه الديانات الزائفة .. سيخية كانت .. أو هندوسية .. أو بوذية .. فضلًا عن تقسيمها إلى عدة دويلات .. وبقدرة قادر تحول المسلمون فيها إلى أقلية .. فهل يعقل أن يصبح ما لا يقل عن مائتى مليون مسلم أقلية فى بلادهم ، وأن يظل ملف قضية جامو وكشمير قابعاً فى أدراج الأمم المتحدة يبحث عن مُنصف يخرجه إلى النور حتى يجد طريقه إلى العدل والإنصاف .

أما هذا البحث الجيد عن « الأقليات الإسلامية فى أوربا » فقد تناول فيه المؤلف أحوال الجاليات الإسلامية فى أوربا ، وكيف اخترق الإسلام قلب المجتمعات الأوربية بأصالته ، وروعة تشريعاته ، وسلوك أتباعه ، وكيف أن أقلية محدودة من المسلمين فى بعض هذه البلاد يمكن أن تتحكم الآن فى دفة الأمور ، وفى إدارة شئون الحكم .. فهناك مناصب كبرى ومراكز عليا يتقلدها مسلمون فى أوربا وأمريكا .. حتى ليقال إن الإسلام سيبعث فى أمريكا من جديد بفاعلية أبنائه وتحرك أنصاره .. لقد عاصرتُ بنفسى أحداثاً هامة خلال الانتخابات العامة فى المجلس النيابى فى مدينة سدنى باستراليا أثناء انعقاد أحد المؤتمرات الإسلامية هناك وكيف كان المرشحون يتهافتون على كسب أصوات الجالية الإسلامية ، وكيف كان أعضاء الجالية يشترطون على المرشحين تحقيق كثير من المطالب والرغبات ، فيحقق المرشحون مطالبهم بما عاد على الحركة الإسلامية بالمكاسب الكبرى وبالخير والنفع العميم ..

والكاتب غنى عن التعريف .. فهو فضلًا عن إسهاماته الإسلامية والثقافية على كثير من الساحات بعد أن شارك فى العديد من المؤتمرات والندوات .. الدينية والإعلامية ، والبرامج التليفزيونية فإنه قد فاز بالجائزة الأصلية لمسابقة الدعوة والفقه الإسلامى .. وإذا كان الباحث قد حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة وعلى الدراسات العليا فى الصحافة من كلية الإعلام ، ويعمل الآن « أخصائى إعلام » بالهيئة العامة للاستعلامات إلا أن هواه من قبلُ ومن بعد أن يؤدى دورًا فعالًا فى الحركة الإسلامية بما اكتسبه من خبرة فى هذا المجال فكان ضمن ما أخرج للقارئ العربى المسلم هذا الكتاب « الجاليات الإسلامية فى أوربا » ... فإلى صفحات الكتاب الذى نرجو الله عز وجل أن يجعله فى صحائف عمل المؤلف وفى ميزان ناشره .

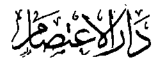
حسن عاشور




خالد محمد الأصور
باحث بالهيئة العامة للاستعلامات

# الجاليات الإسلامية في أوروبا

## المنافذ - المشكلات - الحلول



دار الاعتصام
للطبع والنشر والتوزيع
٨ شارع حسن حجازى ـ القاهرة

هاتف : ٣٥٥١٧٤٨ ـ ٣٥٤٤٧٤٨ ـ فاكس : ٣٥٤٦٠٣١
ص.ب : ٤٧٠ القاهرة ـ الرمز البريدى ١١٥١١



# تقديم

## لفضيلة الأستاذ الدكتور

## عبد الصبور مرزوق

الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

## الأقليات الإسلامية بين الواقع والواجب

هذه واحدة من أكثر القضايا الإسلامية تفجرًا وحيوية لأنها تمس أوضاع ومصالح ملايين من المسلمين يعيشون خارج ديار الأوطان « الأم » ويعانون الكثير من المشاكل التى يسببها لهم الإحساس بالاغتراب ، وما له من تداعيات ثقافية وسياسية واجتماعية .

ونظرًا لما لهذه المشكلة من أهمية وخطورة فقد أصبحت - وستبقى - محورًا للكثير من المنازعات والصراعات سياسياً فى أروقة الأمم المتحدة أو على أرض الواقع فى شكل مواجهات وصدامات وحروب صغيرة ، واحتكاكات ومناوشات لا تكاد تنقطع .

وليس يعنينى هنا البحث فى جذور هذه المشكلة وأصل نشأتها التاريخية بقدر ما يعنينى التنبيه إلى الروح الذى يسود غير بلاد المسلمين اليوم ، ويملأ القلوب والعقول هناك بالكثير من الحقد والغضب ضد الأقليات الإسلامية ، وضد الإسلام نفسه ، والذى بلغ فى التعبير عنه أقصى عنفوانه فيما شهدته

منطقة البوسنة والهرسك من فظائع ضد المسلمين يشيب لها الولدان ، وأرقت ضمائر ومشاعر من لديهم بعض الإحساس ببشاعة ما حدث .

ولأن ما جرى وما يزال يجرى لإخواننا فى مختلف مواقع الأقليات الإسلامية فى العالم .. ما جرى وما يجرى لا ينبغى أن نلقى مسئولياته على الآخرين الذين يسيئون معاملة الأقليات الإسلامية سواء على مستوى العنف والمظالم الفردية أو على مستوى الإهدار الواضح لحقوقهم والتحيز المفضوح ضد مطالبهم فى أروقة جميع المنظمات الدولية .

أقول : لا ينبغى أن نستمر فى تأكيد مسئولية الآخرين عنه ، لأن الآخرين لم يعودوا يهتمون بذلك ، بل ويستمرون عنادًا وبإصرار فى ممارساتهم العنيفة والمتعسفة ضد أقلياتنا هناك .

وإنما ينبغى أن ندرك بأننا نحن مسلمى « الأوطان الأم » المسئولون عما جرى وما يجرى لهذه الأقليات - بسبب بديهى وواضح - وهو أن دولنا ومنظماتنا الإسلامية وهى تتعامل مع الآخرين كل يوم وفى كل موقع .. تهمل - إن عمدًا وإن سهوًا - وضع قضايا ومشكلات هذه الأقليات الإسلامية على جداول المفاوضات والمناقشات وأى حوار مع الآخر .

والمحزن أن الآخرين فى أى حوار أو لقاء أو مفاوضة معنا يضعون مشكلات وقضايا ومطالب أقلياتهم لدينا على مائدة الحوار ، ويعتبرون حل مشكلاتهم بندًا أساسياً تتوقف عليه نتيجة المفاوضة بين الفشل والنجاح .

أما نحن فى عالمنا الإسلامى ( العربى منه وغير العربى ) فما تزال قضية هامشية يتم التعامل معها باسترخاء غير مفهوم مع أن هذا هو الطريق الأمثل والأوحد للاحتفاظ بحيوية القضايا وعدم طرحها فى زوايا النسيان .

على أن القضية ما تزال تفرض نفسها على المنظمات الدولية نتيجة الاحتكاكات والصراعات على أرض الواقع كما هو حادث الآن فى قضية

جامو وكشمير ، وكانت مذبحة البوسنة فى التاريخ المعاصر من الأحوال .

لكن للمشكلة كلها وجهاً آخر لا ينبغى إغفاله .. وهو مما يؤكد أنه مهما تكن مواقف الآخرين غير المنصفة من أقلياتنا فى بلادهم ، فإن هذه المواقف تزيد الأقليات المسلمة ولاء وانتماء لعقيدتها ، كما يزداد تشبثها بهويتها الإسلامية ، واهتمامها وتفاعلها مع قضايا الوطن الأم .

ومن هناك استطاعت بعض هذه الأقليات أن تجد لنفسها مواقع سياسية واقتصادية واجتماعية فى الدول التى تعيش فيها معطية صورة جيدة لأهلية الإنسان المسلم لاحتلال مكان الصدارة ، ولفرض احترامه وتقديره وإفساح الطريق أمامه .

أما هذا الكتاب عن « الأقليات الإسلامية فى أوربا » فهو جهد طيب وموفق يعكس رؤية الكاتب ويعبّر عن مدى اهتمامه وتفاعله مع أبناء عقيدته خارج ديار الإسلام .. وهو اهتمام مشكور ومقدّر يُسْعِدُ مثلى حين يجده بين شباب أيامنا الذى تحاصرهم وسائل الغزو الفكرى والثقافى لتقتل فيهم روح الانتماء الكبير - على مستوى الأمة - ولتحاصرهم داخل حدود أوطانهم ومشكلاتهم .. لكنهم - ومنهم صاحب هذه الدراسة - يخترقون الحصار ويمدّون أبصارهم ويركزون اهتماماتهم إلى خارج الحدود ويعيشوا هموم إخوانهم ومشكلاتهم تطبيقًا لقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

تحية لصاحب هذه الدراسة الأستاذ خالد الأصور ، وأطيب تمنياتى له بمستقبل واعد فى خدمة أهداف عقيدته وأمته ، والله من وراء القصد وهو دائماً حسبنا .

* * *

# مقدمة

يمكن تعريف الجالية الإسلامية تعريفاً محدداً بأنها : « مجموعة من الناس تعيش فى مناخ غير متعاطف معها – غالباً أو أحياناً – بفكر مستقل ، بسلوك مستقل ، بمعتقد مستقل .. لا يتفق ومعتقد الآخرين ، ومن ثم يُعَاملون كأقلية فى المجتمع الذى أكثريته على غير دين الأقلية ، على غير جنس الأقلية ، على غير سلوك الأقلية »(*) .

ويثير كثير من الباحثين قضية اختراق الإسلام قلب المجتمعات الأوروبية فيما يطلقون عليه حدوداً جديدة لدار الإسلام، أو بتعبير « جيل كيل » « ضواحى الإسلام » وهم يقصدون بذلك الوجود الإسلامى المتامى فى أوروبا مع الاختلاف فى الوزن الكمى له من بلد إلى آخر ، ومن منطقة إلى أخرى ، بحيث أصبحنا إزاء كتلة إسلامية تدين بالإسلام وتمارسه فى واقعها اليومى فى القارة الأوروبية ، وقد يتحقق الشق الثانى لمقولة أو « نبوءة » الإمام والعالم التركى الشهير « بديع الزمان سعيد النورسى » فى بدايات هذا القرن الميلادى : « إن الدولة العثمانية حبلى بدولة أوروبية ، وستلد يوماً ما ، وإن أوروبا حبلى بدولة إسلامية ، وستلد يوماً ما » ، وإذا كان الشق الأول من المقولة – أو النبوءة – قد حدث ، بحيث أن الدولة العثمانية قد ولدت تركيا التى لحقت بأوروبا ، فإن الشق الثانى فى طريقه للحدوث ، حيث ينتشر الإسلام بجاذبيته وشموليته وقوته الذاتية حتى مع ضعف أبنائه .

إن الجاليات الإسلامية فى أوروبا تمثل فى أوروبا « الثغر الإسلامى » الذى هو تعبير عن « وحدة » من الأمة أكثر فاعلية وتكيفاً تجاه حركة « العدو »

---

(*) التعريف للدكتور عبد الصبور مرزوق .

ثم هي أكثر استعداداً للتضحية والمواجهة ، وهي في النهاية الأكثر وعياً وحذراً ويقظة ، ولئن كانت هذه الثغور تقع على خطوط المواجهة مع « دار الحرب » أو نهايات « دار السلام » فإن الجاليات الإسلامية تمثل اليوم الجزء من الأمة الذى يحمى الثغور الإسلامية ويدافع عنها ، وإذا كان الثغر قديماً ثغراً جغرافياً ، فإنه اليوم يمكن أن يكون جغرافياً ، كما يمكن أن يكون حضارياً بمعنى الدفاع عن قيم الإسلام وقضاياه وتقديم نموذج حركى يعبر عن حقيقة الإسلام وروحه ، وإذا كان مقاتلو الثغور المسلمون ، كانوا يوجدون قديماً داخل حدود الإسلام ضمن الشعوب المسلمة ، فإن الجاليات الإسلامية مواقعها خارج حدود ديار المسلمين ، وهذا يمثل تحدياً هائلاً على المستوى النفسى ، والعقدى ، بل يمثل تحدياً يهدد الوجود ذاته .

وإذا كان مقاتلو الثغور قديماً يمثلون حائط الصد والمواجهة الأول ، فإن جيش الأمة ، بل الأمة كلها في حالة « فرض العين ».كانت من ورائهم تهب لنجدتهم واللحاق بهم ، لكن الجاليات الإسلامية الرابضة والمجاهدة في ثغورها تقف « وظهرها عار » لأن الأمة في وضعها الراهن عاجزة عن حماية نفسها ، وبالتالى عن حمايتهم ومناصرة قضاياهم .

ومن الملامح الأساسية في القضية الإسلامية في أوروبا التى لابد من إدراكها – وقد تغيرت موازين الأشياء في عالم اليوم بشكل واضح – أن موضوع الأكثرية السكانية والأقلية أصبح محدود الأثر والتأثير إلى حد بعيد ، والشواهد على ذلك أكثر من أن تُحصى ، فعلى أكثر من موقع في العالم تتحكم الأقلية في قيادة وتوجيه الأكثرية لمجموعة من العوامل لا يتسع المجال في هذه العجالة – المقدمة – لذكرها ، وحسبنا أن نذكر أن مجموع يهود العالم بمن في فلسطين المحتلة لا يزيد عن خمسة عشر مليوناً ، ومع ذلك فإن فاعليتهم وتأثيرهم يفوق مئات الملايين من الشعوب الأخرى التى نسيت نفسها ، وعطلت فاعليتها ، وقعدت عن أداء دورها ورسالتها .

فالقضية فى عالم اليوم ليست قضية أكوام من البشر ، وادعاءات عاطفية ، بقدر ما هى قضية تخصصات وفاعلية ودراسة وتخطيط ، فالجالية الإسلامية ذهبت هناك بثقافتها الضحلة ، وعالمها المستعمَر - حقيقة أو مجازاً وإشعارها شعورها بالدونية أمام السيد المستعمر ، مما أفقدها انتماءها إلى حد بعيد ، وجعلها تعيش فى قاع تلك المجتمعات ولا تستطيع النهوض من هذا الاستنقاع ، فالأبناء نسخة مكررة عن الآباء ، فى تفكيرهم وحرفهم ، وبمجرد بلوغهم يسلكون طريق الآباء إلى المصانع والمزارع ، ولسوف تبقى الجاليات الإسلامية فى أوروبا عنصراً منفعلاً لا فاعلاً ، وستظل عاجزة عن التأثير فى هذه المجتمعات حتى لو عاشت فيها مئات السنين ، بل قد تكون مستهدفة وواقعة تحت تأثير الآخرين مالم تُفكِّر أو يُفكَّر لها ، وتوجَّه صوب أهداف ومراكز فاعلة لابد من الحصول عليها . والحقيقة أن الفضل - بعد الله - فى إيقاظ الشعور بالانتماء ومحاولة الالتزام به يرجع إلى جهود الطلبة والمبتعثين الذين حملوا معهم بذور الصحوة الإسلامية والوعى الإسلامى ليزرعوها فى مجتمع الاغتراب ، وكانت الوسائل الأولى لتحقيق هذا الانتماء والشعور به تتمثل فى إقامة المساجد والاحتماء بها والاستفادة من عطلة نهاية الأسبوع فى تدريس شىء من القرآن الكريم واللغة العربية بالقدر المستطاع ، وبالوسائل البسيطة ، ومن ثم تنامى هذا الشعور لدى الطلبة المسلمين الذين يؤدون دورهم فى حدود المتاح من الإمكانيات ، لذلك يتعين أن يأخذ الأمر وجهة مدروسة ، وجهوداً منظمة ، بحيث يجب إزالة الأسوار التى تتحكم فيها النزعات الإقليمية ، أو الولاءات السياسية ، أو النظرات الحزبية الضيقة ، وألا تكون فرص الحرية المتاحة فى المجتمعات الأوروبية مناخاً لنمو الخلافات ، وتفاقم الخصومات التى لم تسمح أنظمة الحكم فى العالم الإسلامى بظهورها ، فتحمل إلى هناك لتنمو فى مجال الحرية ، فتأكل الجهد والأجر والعمر جميعاً ، بدل أن يكون هذا المجال - مناخ الحرية - فرصة لإنضاج عمل متقدم ، ونمو بذور مثمرة وعطاء مستمر للقضية الإسلامية .

ويقيناً إنه لو أزيلت هذه الأسوار فالفرصة كبيرة لالتقاء العقول المهاجرة النابغة التي تحتل مراكز متقدمة فى تلك المجتمعات مع السواعد العاملة فى الجالية الإسلامية ، فيكون عطاؤها كبيراً ، وكسبها عظيماً للقضية الإسلامية .

والواقع إن وضع الجاليات الإسلامية فى أوروبا اليوم لينطبق عليها قول أحد القُسس حيث يخاطب أقليته التى تعيش فى مجتمع آخر ، نستعير هذا القول ، لنقول : « أنتم أيها المسلمون فى البيئات الأوروبية كأنكم فى جزيرة صغيرة وسط محيط كبير ، وإن الأمواج تعصف بها من كل جانب ، وما لم تعملوا شيئاً لحماية هذه الجزيرة فإنها ستصبح يوماً ما جزءاً من هذا المحيط الزاخر » !! .

* * *

# الباب الأول

# منافذ الإسلام إلى أوروبا

الفصل الأول : الجاليات الإسلامية فى غرب أوروبا

الفصل الثانى : الجاليات الإسلامية فى وسط أوروبا

الفصل الثالث : الجاليات الإسلامية فى جنوب أوروبا

الفصل الرابع : الجاليات الإسلامية فى شرق وشمال أوروبا

## الملامح الطبيعية لقارة أوروبا[1]

* تظهر قارة أوروبا كشبه جزيرة ممتدة من قارة آسيا العملاقة .
* توصف القارتان معاً بـ « أوراسيا » .

* العلاقة بين القارتين ( أوروبا - آسيا ) تُعد أمراً حتمياً يتمثل فى الامتداد الطبيعى ، وفى المعابر والجسور الأرضية بينهما ، والتى سلكتها الهجرات والتحركات البشرية .
* عبر الإسلام من آسيا إلى أوروبا تأكيداً لهذا العلاقة الوثيقة .

* تبلغ مساحة اليابس الأوروبى ١٠٫٥٢٣٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، وبذلك تُعد قارة أوروبا خامسة القارات مساحة .

* يبلغ عدد سكان أوروبا أكثر من ٦٠٠ مليون نسمة ، مما يجعلها أيضاً خامسة القارات سكاناً ، وثانيتها كثافة ، نظراً لمساحتها الصغيرة .

* تمتد الأبعاد الأرضية لقارة أوروبا طولاً لمسافة ٥٣٠٠ كيلو متر مربع بين جبال الأورال وسواحل شبه جزيرة أيبريا .

* وتمتد عرضاً لمسافة ٣٩٤٠ كيلو مترًا مربعًا شمال شبه جزيرة اسكندنافيا ، وجنوب شبه جزيرة البلقان .

* تغطى قارة أوروبا ٣٥ من درجات العرض ، حيث تمتد بين دائرتى العرض ٣٦ - ٧١ شمالى الدائرة الاستوائية ، وهذا الامتداد جعل أغلبها فى حوزة النطاق المعتدل .
* تقع أطراف قارة أوروبا - فى أقصى الشمال - فى النطاق البارد .

* تحيط المياه قارة أوروبا من الجنوب حيث البحر المتوسط ، ومن الغرب حيث المحيط الأطلسى ، ومن الشمال حيث المحيط المتجمد الشمالى ، ويلتف الماء حول قسم من شرقها حيث البحر الأسود .

---

(١) سيد عبد المجيد بكر : الأقليات المسلمة فى أوروبا ص ٩ - ١٠ بتصرف .

# منافذ الإسلام إلى أوروبا

أرسل الحق تبارك وتعالى محمداً ﷺ إلى الناس كافة ، قال تعالى : ﴿وَمَا أرسلْناك إلَّا رَحمة للعالمين﴾ (الأنبياء : ١٠٧) .

وتحقيقاً لهذه العالمية نجد أن الإسلام يكاد يكون هو الدين الوحيد الذى ينتشر فى قارات الدنيا الست بنسب متفاوتة .

وقد عرف الإسلام طريقه إلى أوروبا عبر المنافذ التالية :

**١ - الفتوحات الإسلامية :**

دخل الإسلام القارة الأوروبية فى وقت مبكر من عام (٧١١ م) عندما قاد طارق بن زياد وموسى بن نصير جيوش المسلمين إلى أوروبا فاتحين باسم الإسلام ، وأصبحت أسبانيا - الأندلس الإسلامية - قاعدة لانطلاق الجيوش الإسلامية إلى داخل فرنسا ، حيث تم فتح « نوربون » عام (٧٢٠م) « وتولوز » عام (٧٢١م) ، كما فُتحت مدينة « بوردو » على يد القائد المسلم عبد الرحمن الغافقى عام (٧٣٢م) ، وأُوقف المد الإسلامى فى العام نفسه إثر هزيمة المسلمين فى معركة « بلاط الشهداء » والتى يطلق عليها الأوروبيون اسم « بواتيه » .

وقد كان البحر المتوسط واحداً من معابر الإسلام إلى صقلية وسردينيا ، ففى عام (٨٢٧م) قاد أسد بن الفرات جيش بنى الأغلب إلى صقلية حيث تم فتحها ، واستمر بنو الأغلب فى فتح مدن جنوبى إيطاليا حتى وصلوا إلى مشارف روما ، وفُتحت « مالطة » عام (٨٦٩م) ، كما حاول المسلمون دخول جنوب فرنسا ، واستولوا على جزيزة « كورسيكا » عام (٨٠٦م) ، وهكذا حوّل المسلمون الحوض الغربى للبحر المتوسط إلى بحيرة إسلامية لعدة قرون .

وانطلق المسلمون من ناحية الأناضول حين دخل العثمانيون « البلقان » عام (١٣٥٥م) ، وتم الاستيلاء على جميع أراضى دول أوروبا الشرقية واحدة تلو الأخرى ، حيث تم فتح بلغاريا عام (١٣٧٢م) ، وبلاد الصرب عام (١٣٨٦م) ، والبوسنة والهرسك عام (١٣٨٩م) ، وألبانيا عام (١٤٣٠م) ، وتأخر فتح القسطنطينية حتى عام (١٤٥٣م) فصارت منذئذ عاصمة للدولة الإسلامية العثمانية ، وفتح المسلمون الجبل الأسود عام (١٤٨٥م) ، وبلجراد عام (١٥٢١م) ، وبلاد المجر عام (١٥٢٦م) .

كما وصلت جيوش المسلمين بقيادة السلطان سليمان القانونى فدقّت أسوار فيينا وحاصرتها عام (١٤٢٩م) ، كما خاض السلطان مطاحنات عسكرية مع جيوش ألمانيا إلا أنه لم يتمكن من فتحها [1] .

وبقيت معظم دول أوروبا بيد العثمانيين فترات طويلة حتى بدأ انحسار الدولة العثمانية وسقوط ولاياتها فى أوروبا واحدة تلو الأخرى .

## ٢ - الحروب الصليبية :

طوال فترات المد الإسلامى فى أوروبا وقفت الكنيسة من الإسلام موقفاً صارماً وعنيداً ، وذلك بمقاومة وجوده فيها لإحساس عميق بالأثر الذى تركه الإسلام فى البلاد المفتوحة ، وفى ذلك يقول المؤرخ الإنجليزى « أرنولد توينبى » : ( عندما كانت حضارة الغرب تنحدر إلى الهاوية فى القرن السابع الميلادى ، ظهرت الحضارة الإسلامية الفتية فأصابت الغرب نوبة « هستيرية » وكان أشد ما خشيه الغرب منها أنها تستند إلى مُثل عليا فوق المادة لَا يجدى معها كل ما لدى الغرب من أسلحة مادية ، ومن هنا كانت تلك الجهود المتواصلة التى قادتها البابوية ودعت ملوك أوروبا لمؤازرتها فيها

---

(١) صهيب عبد الغفار : الدعوة إلى الإسلام فى الغرب - بحث مقدم لمؤتمر «المسلمون فى الغرب» - عقده المجلس الإسلامى - لندن ٩٣ ، ص ١٠ .

لمواجهة الإسلام وصده عن أوروبا بالقضاء على وجوده فى أسبانيا ، ثم إعلان الحروب الصليبية )[1] .

وقد تدفقت الجيوش الصليبية الحاقدة على ممالك الإسلام فى تسع حملات صليبية شرسة حشدت لها المال والعتاد ، واستطاع الغرب خلالها الاستيلاء على كثير من المدن الإسلامية مثل : طليطلة ، وصقلية ، وغرناطة... وغيرها ، ثم أعادت تلك الجيوش الكرة مرة أخرى عندما ضعفت الخلافة العثمانية ، وكانت الضربة الموجعة إذ استولت الدول الأوروبية على أغلب دول العالم الإسلامى .

ورغم صعوبة التخدى وجسامة الصراع الذى خاضه الإسلام فى أوروبا ، وانحسار الوجود الإسلامى هناك ، إلا أن القرون الطويلة من الجهاد والدعوة أسفرت عن بقاء دول أوروبية تدين بأسرها بالإسلام مثل : مقدرنيا ، وألبانيا ، والبوسنة والهرسك ، ووجود جاليات إسلامية متوطنة فى بعض الدول الأوروبية كبلغاريا واليونان ، إلى جانب أقليات إسلامية فى الدول الأوروبية الأخرى .

ولم تنته علاقة الإسلام بأوروبا بخروجه منها ، بل ظل المسلمون الأوروبيون أدوات للدعوة والتعريف بالإسلام ، خاصة بعد تعرف أوروبا على الإسلام والمسلمين خلال الحملات الصليبية المتابعة .

**٣ - هجرات العمال المسلمين :**

تقاطرت الأيدى العاملة من البلدان الإسلامية إلى الدول الأوروبية بغرض العمل والارتزاق وذلك منذ الاحتكاك المباشر بين المسلمين والأوروبيين خلال الموجات الاستعمارية المتلاحقة ، وقد تمثلت تلك الهجرات فى مراحل زمنية ثلاث :

---

(١) أنور الجندى : الإسلام والغرب - دار الاعتصام - ص ٤١ .

### ( أ ) بداية الحقبة الاستعمارية :

استقدمت الدول الأوروبية الاستعمارية الكثير من الأيدى العاملة من مستعمراتها الإسلامية للقيام ببعض المهن والأعمال المتواضعة ، ونتج عن ذلك تناسل وتزايد واستقرار هؤلاء المسلمين فى الدول الأوروبية ، وهكذا تشكلت تجمعات إسلامية جديدة فى قلب أوروبا تبعاً للصلات السياسية التى قامت بين الدول التى استقرت فيها هذه التجمعات ، وبين الدول التى هاجرت منها ، لذلك نجد أن الغالبية العظمى من مسلمى فرنسا من أبناء المغرب العربى والدول الناطقة بالفرنسية ، وفى بريطانيا نجد السواد الأعظم من مسلمى الهند والباكستان ، كما يشكل الإندونيسيون أكبر الجاليات الإسلامية فى هولندا التى سبق لها أن استعمرت دولة إندونيسيا[1] .

### (ب ) بداية الحرب العالمية الأولى :

شهد العصر الحديث هجرة كثير من المسلمين وتدفقهم على دول أوروبا الغربية لأسباب سياسية وعسكرية واقتصادية ، فقد شهدت بداية الحرب العظمى الأولى هجرة ضخمة من مسلمى الجزائر صوب فرنسا ، حيث نقلت فرنسا ما يزيد على ٢٧٠٫٠٠٠ جزائرى ، ما بين جنود فى الجيش الفرنسى ، وعمال فى المصانع ، أو مزارعين ، وقامت وزارة الحرب الفرنسية بالإشراف على هجرة هؤلاء الجزائريين وتوزيعهم داخلياً ، ثم توالت هجرات الجزائريين إلى فرنسا بعد نهاية الحرب حسب الاحتياج إلى الأيدى العاملة .

### (ج ) عقب الحرب العالمية الثانية :

شهدت الفترة التى أعقبت الحرب العظمى الثانية تدفقاً كبيراً للمسلمين إلى دول أوروبا الغربية حين كانت هذه الدول فى أمسّ الحاجة للأيدى

---

(١) محمد إبراهيم الجيوشى : الأقليات الإسلامية فى المجتمع الغربى - بحث لمؤتمر « المسلمون فى الغرب » - لندن ١٩٩٣ ، ص ٤ .

العاملة الرخيصة لإعادة إعمار ما دمرته الحرب ، ففتحت أبوابها لاستقبال العمالة الحرفية من دول العالم الثالث واستقر بهم المقام فى الغرب .

كما أن الازدهار الاقتصادى الأوروبى منذ الخمسينيات أوجد قوى جذب للعمالة العربية ، لاسيما من بلدان المغرب العربى ومعظمهم من العمال غير أو أنصاف المهرة ، فقد تضاعف وتزايد عدد المهاجرين المغاربة إلى فرنسا عام (١٩٨٢م) فوصل إلى ٥ر١ مليون ، منهم (٣٥٥ر٨٠٥) جزائرياً ، و(٦٦٩ر٤٩٢) مغربياً ، و(٩٠٩ر٢١٢) تونسيين .. وقد شكل هؤلاء نسبة ٤٢٪ من المجموع الكلى للمهاجرين المقيمين بفرنسا[1] .

٤ - العلماء والمتخصصين وأساتذة الجامعات الذين تجتذبهم الدول الأوروبية للعمل أو لاستكمال أبحاثهم العلمية ، فخلال عقد التسعينيات تراوح عدد أصحاب الكفاءات العلمية العرب الذين اجتذبتهم فرنسا وحدها بين ٢٥ - ٣٠ ألفاً[2] .

كما استقبلت ألمانيا « الغربية » ٢٢٠٠ طبيب من دول الشرق الأوسط عام (١٩٧١م ) فقط[3] .

٥ - الطلاب الذين ابتُعثوا لاستكمال دراستهم العليا فى أوروبا ، ولكنهم آثروا البقاء والإقامة هناك لأسباب عديدة أهمها : زواجهم بأوروبيات ، وحصولهم على عمل .

٦ - الشباب المسلم الذين دخلوا أوروبا تحت ستار السياحة مع نية الإقامة ، وهم فى معظمهم يقيمون بطرق غير نظامية مما يعرضهم لمطاردة الشرطة .

---

(١) مصطفى الخروبى : المغاربيون فى فرنسا - بحث لمؤتمر « انعكاسات الهجرة على دول الإيفاد والاستقبال » - القاهرة ١٩٩٠ ، ص ١ .

(٢) أنطونى زحلان : السكان والتنمية فى الشرق الأوسط ص ٣٣٣ .

(٣) هجرة الكفاءات العربية : ندوة اللجنة الاقتصادية ( العرب / فرنسا ) ص ٢٩٨ .

٧ - اللاجئين السياسيين الذين فروا من بلادهم نتيجة اضطهادهم ومطاردة أنظمة الحكم لهم ، فاختاروا البقاء فى بعض دول أوروبا التى تمنح حق اللجوء السياسى .

٨ - أبناء الدول الأوروبية من المواطنين الأصليين الذين اعتنقوا الإسلام منذ قرون طويلة ، وحافظوا على إسلامهم رغم كل ما واجهوه من تحديات لمحو هويتهم الإسلامية .. هذا فضلاً عن عشرات الآلاف من المواطنين الأوروبيين الذين دخلوا فى الإسلام خلال العقود الأخيرة نتيجة احتكاكهم بالمسلمين ، أو لجهود الدعوة التى تقوم بها المراكز الإسلامية فى أوروبا .

والواقع أنه لا يوجد إحصاء دقيق لأعداد الأقليات الإسلامية فى أوروبا ، وكل ما يصدر فى هذا الشأن لا يعدو أن يكون تقديرات وإحصائيات تقريبية ، وتجمع معظم الدراسات الأخيرة على أن أعداد المسلمين تتراوح حول ٣٠ مليوناً فى جميع أنحاء أوروبا ، فإذا استبعدنا الأقليات الإسلامية فى دول الاتحاد السوفيتى والاتحاد اليوجسلافى - سابقاً - يكون عدد الجاليات الإسلامية فى باقى أنحاء أوروبا - والذين يشكلون محور اهتمام هذه الدراسة - نحو ١٥ مليون نسمة .

يُذكر أن سكان أوروبا عام (١٩٦٠م) كانوا يشكلون ١٥٪ من سكان العالم ، ولكن فى منتصف القرن القادم سيشكلون ٥٪ فقط ، ويُتوقع أن الأغلبية فى بعض المدن الأوروبية ستكون من المسلمين[1] .

* * *

(١) مجلة نيوزويك - أبريل ١٩٨٤ - نقلاً عن مجلة الأمة ١٩٨٤/٩ .

# الفصل الأول

## الجالية الإسلامية فى غرب أوروبا

**المملكة المتحدة**

**فرنسا**

**بلجيكا**

**هولندا**

## تمهيـــد[1]

يشمل قطاع غربى أوروبا دول : المملكة المتحدة ، وفرنسا ، وبلجيكا ، وهولندا ، ويضم من الجاليات المسلمة حوالى سبعة ملايين نسمة ، بينما يبلغ عدد سكانه حوالى ١٣٨ مليون نسمة ، وبذلك تصل نسبة الجاليات المسلمة به إلى أكثر من ٥٪ ، والجالية الإسلامية فى هذا القطاع فى تزايد مستمر بسبب الزيادة فى أعداد المهاجرين من أفراد الأقلية بصورة مطردة .

وتأتى فرنسا فى مقدمة دول هذا القطاع ، فعدد الجالية المسلمة بها تتراوح بين ٤٫٥ - ٥ مليون نسمة تقريباً ، يليها المملكة المتحدة وبها حوالى ٢ مليون نسمة ، وتتساوى بلجيكا وهولندا حيث يتراوح عدد الجالية المسلمة بين ٤٠٠ ألف - ٤٥٠ ألف نسمة .

والغالبية العظمى من أفراد الجالية المسلمة فى هذا القطاع من المهاجرين ، وقد بدأت الهجرة منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى ، حيث بدأت فى بريطانيا منذ سنة (١٨٧١م) ، وبدأت تزداد فى فرنسا منذ بداية القرن العشرين ، وازدادت الهجرة العمالية إلى بلجيكا فى الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين ، ثم تضاعفت بعد الحرب الثانية ، وكذلك كان الوضع فى هولندا .

وجاء معظم المهاجرين من أفراد الجالية المسلمة من المستعمرات التى كانت تخضع لهذه الدول ، كما أن قطاعاً كبيراً من هذه الجاليات قد حصل على جنسيات الدول التى تقيم بها ، وقد اعترفت بعض دول هذا القطاع بالإسلام .

وتعتبر الجالية المسلمة فى هذا القطاع من أنشط الجاليات المسلمة فى أوروبا ، وتتنوع هذه الأنشطة على النحو الذى سنبينه فى الصفحات التالية :

---

(١) سيد بكر : مرجع سابق - ص ٤٣ ، ٤٥ مع تعديل الإحصائيات .

## الجالية الإسلامية في المملكة المتحدة

تعد المملكة المتحدة ( بريطانيا - انجلترا ) إحدى الدول الكبرى بالقارة ، كانت لها امبراطورية استعمارية شاسعة الأطراف ، تقلصت ممتلكاتها فى بداية النصف الثانى من القرن العشرين ، وتبلورت فيما سُمِّى بأقطار « الكومنولث » .

تتكون بريطانيا من أرخبيل من الجزر ، أبرزها جزيرة بريطانيا الكبرى ، والقسم الشمالى من جزيرة أيرلندا وبعض الجزر الصغيرة المجاورة ، وتتجزأ البلاد إلى أربع وحدات إدارية هى : إنجلترا - إسكتلنده - ويلز - شمالى أيرلنده .

**الموقـع :**

توجد بريطانيا فى القسم الشمالى الغربى من أوروبا على الرصيف القارّى ، لهذا تحيطها بحار ضحلة العمق ، حيث يفصلها عن القارة الأوروبية بحر الشمال والقنال الإنجليزى من الجنوب ، وتطل على المحيط الأطلنطى من الشمال والغرب ، وقد أفرد لها هذا الموقع العديد من المميزات ، ومنحها أهمية بين أوروبا والعالم الجديد .

**المساحة والسكان :**

تبلغ مساحة بريطانيا (٢٤٤٫٠٢٢ كيلو مترًا مربعًا ) وسكانها سنة ١٩٨١م ٥٥٫٥٠٦٫١٣١ نسمة ، وعاطمتها لندن ، ومن المدن الهامة : برمنجهام - جلاسجو - منشستر - ليدز - ليفربول .

وغالبية السكان من البروتستانت ، وحوالى ٥٫٥ مليون يدينون بالمذهب الكاثولكى ، وحوالى ٢ مليون من المسلمين ، ونصف مليون

يهودى ، وعدد آخر من ديانات متعددة ، ويكفل القانون البريطانى حرية العبادة [1] .

وفى إحصائية نشرتها الأهرام فى ٦ أبريل (١٩٨٤م ) نقلاً عن الصنداى تايمز تلجراف البريطانية ، ورد فيها أن عدد المسلمين قد زاد فى بريطانيا ٢٥٠٪ فى عشر سنوات ، فقد كان عددهم فى عام (١٩٧٤) هو (٤٠٠ر٠٠٠) فأصبحوا الآن - عام ١٩٨٤ - مليوناً وخلال الاثنى عشر عاماً الماضية تضاعف عددهم إلى ما يناهز المليونين بفعل الهجرات والزيادة الطبيعية واعتناق الإسلام .

## منافذ الإسلام إلى بريطانيا [2]

كانت لبريطانيا صلة بالحروب الصليبية فى بلاد المشرق العربى ، وهكذا بدأ أول احتكاك بالمسلمين ، ولكن الاتصال الفعال جاء فى العصر الحديث حيث كانت الامبراطورية الاستعمارية الأوروبية البريطانية تحتل أراضى العديد من الشعوب الإسلامية ، وهكذا بدأت علاقة بريطانيا بالمسلمين ، وكان طبيعياً أن يهاجر بعض المسلمين من المستعمرات البريطانية إلى المملكة المتحدة ، ومن أوائل هذه الهجرات جماعات من عدن عملوا فى المهن البحرية ، فوصل عدد منهم سنة (١٢٨٧ هـ - ١٨٧١م ) ، واستقرت الهجرة فى مدينة « كارديف » ثم أتت هجرات من مسلمى الهند وأسسوا أقدم جمعية إسلامية فى بريطانيا فى سنة (١٣٠٤ هـ - ١٨٨٦م) ، ثم أتت هجرات من قبرص وشمال أفريقيا .

وزاد عدد المسلمين فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، فوصل عددهم قبل الحرب الثانية حوالى خمسين ألف مسلم ، ثم قَدِمت هجرات إسلامية أخرى بعد الحرب الأخيرة من يوغسلافيا وألبانيا وبلاد شرقى أوروبا ، ومن

---

(١) المرجع السابق - ص ٢٤٧ - ٢٤٩ مع تعديل فى الإحصائيات .
(٢) المرجع السابق - ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

الهند والباكستان ، والبلاد الأفريقية ، فوصل عدد المسلمين عقب الحرب العالمية الثانية لأكثر من مائة ألف مسلم .

وعندما ازدادت هجرة العمال المسلمين إلى بريطانيا وتضخمت ؛ أصدرت عدة قوانين للحد من أعداد المهاجرين سنة (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م) وسنة (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) ، وسنة (١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م) .

وقد شارك في زيادة أعداد المسلمين كثرة عدد الطلاب المسلمين الذين يدرسون فيها ، وقد وصل عدد المسلمين في بريطانيا إلى ١٫٥ مليون في سنة (١٤٠١ هـ - ١٩٨١م) ، وصل الآن ٢ مليون ومعظهم من جاليات باكستانية وهندية ، ومن ماليزيا ، ومن بلدان شرقي أفريقيا ، ومن اليمنيين وباقي الدول العربية ، ومن غربي أفريقيا وجزر الكاريبي وشرق أوروبا ، وتتمتع نصف الجالية المسلمة في بريطانيا بجنسيتها وتمثل الجالية المسلمة حوالي ٣٫٥٪ من سكان بريطانيا .

**أهم مناطق المسلمين :**

ينتشر المسلمون في مناطق ومدن عديدة من المملكة المتحدة ، في لندن ومقاطعتها حيث أكبر تجمع للأقلية المسلمة ببريطانيا ، وفي كارديف ، وبرمنجهام ومانشستر ، وبلاكبورن وبرادفورد وفيها أكبر عدد من المسلمين بعد لندن ، وجلاسجو حيث يوجد في اسكتلنده وحدها أكثر من ٢٥ ألف مسلم في مدن عديدة ، وليفربول وبريستول وليدز ، ومعظم المسلمين يعملون في القطاعات الصناعية ، كصناعة الغزل والصناعات المعدنية ، وبعض الخامات الشاقة ، وهناك فئة قليلة تعمل في التجارة أو كرجال أعمال ، كما يوجد نحو ١٠ آلاف طبيب مسلم ، ومن ١٥ - ١٧ ألفًا في التعليم ، ونحو ٢٠ ألفًا من المهندسين والعلماء .

* * *

## النشاط الإسلامى فى بريطانيا[1]

### المركز الإسلامى فى لندن :

وقد نشأت فكرته منذ سنة (١٣٦١ هـ - ١٩٤٢م) عندما افتتح الملك جورج أحد مساجد العاصمة البريطانية ، وتبرع نظام حيدرأباد ( سابقاً ) بمبلغ ٨٥ ألف جنيه استرلينى لبناء مركز إسلامى فى لندن ، وفى سنة (١٣٦٤ هـ - ١٩٤٤م) تأسست هيئة لهذا الغرض من سفراء السعودية ومصر والعراق والأردن ، وقامت بشراء دار متواضعة لهذا الغرض فى وسط لندن كمركز مؤقت ظل حتى سنة ( ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م) ، عندما شُرع فى بناء المركز بالقرب من حدائق « ريجنت » بتكلفة خمسة ملايين جنيه استرلينى تكفلت بها بعض الدول العربية والإسلامية ، وتم افتتاح المركز فى سنة (١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م) .

### انشطة المركز :

يشرف على العديد من الأنشطة الإسلامية ، أولها إقامة الشعائر الدينية وتحديد مواقيت الصلاة فى لندن كل عام ، والاحتفال بالمناسبات الدينية وعقد وتوثيق الزواج الشرعى ، وإقامة صلاة الجنازة ، وإجابة الاستفسارات عن الإسلام ، ويصدر المركز مجلة فصلية باللغة الإنجليزية .

### المركز الإسلامى فى منطقة « برنت » :

فى شمالى غربى لندن توجد جالية مسلمة أنشأت هذا المركز للتعرف على الإسلام وتعليم أبناء المسلمين ، ومساعدة الفقراء ، وقد استُأجر مبنى مؤقت ، واستُعمل كمدرسة ، واستُأجر مبنى آخر لإقامة الصلاة .

### اتحاد الجمعيات الإسلامية فى بريطانيا وأيرلندا :

وقد تأسس سنة (١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م) ، وقد انضمت إليه ٦٦

---

(١) المرجع السابق - ص ٢٥٤ - ٢٥٩ بتصرف .

جمعية إسلامية فى بريطانيا ، ويصدر نشرة شهرية ، ويقوم بالتنسيق بين الجمعيات الإسلامية المشتركة بالاتحاد ، ويقيم مؤتمراً سنوياً لها .

**البعثة الإسلامية فى بريطانيا :**

تأسست سنة (١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م) ولها خمسة مراكز إسلامية فى مدن برمنجهام ، وجلاسجو ، وروشديل ، وبلاكبورن ، وبرادفورد ، وهدفها نشر الإسلام وتعليم أبناء المسلمين ، ومعظم أفرادها من مسلمى الباكستان ، وتستعمل الجمعية اللغة الأردية .

**جمعية الوقف التعليمى :**

تاسست سنة (١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م) ، وتشرف على سبع وأربعين مدرسة ، وتقوم بتعليم ٢٠٠٠ طفل مسلم ، وطبعت كتباً إسلامية لتعليم الأطفال ، وبنت خمسة مساجد ، ومقرها لندن .

**اتحاد جمعية الطلبة المسلمين :**

تأسست سنة (١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م) وتضم معظم الجمعيات الطلابية الإسلامية فى بريطانيا وأيرلندا ، وعدد الطلاب المنضمين إليها حوالى ٢٠ ألف طالب ، ويتكون الاتحاد من ٢٧ جمعية طلابية ، ويصدر الاتحاد مجلة باللغة الإنجليزية كل شهرين .

**الاتحاد الإسلامى النسائى :**

تأسس سنة (١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م) وهدفه نشر الدعوة الإسلامية بين السيدات المسلمات ، والاعتناء بالأطفال خاصة الأيتام لإنقاذهم من براثن بعثات التنصير ، وأهم مشروع لهذا الاتحاد إنشاء بيت اليتامى حتى لا تضيع شخصيتهم المسلمة .

**مجلس اوروبا الإسلامى :**

تَشكَّل سنة (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م) ، ويهدف إلى مساندة الجمعيات

المنضمة إليه فى نشر الدعوة وتأسيس المكتبات ومراكز الأبحاث ، وتدريب الأئمة .

## جمعيات إسلامية على اساس قومى :

هناك العديد من الجمعيات والهيئات الإسلامية التى قامت على أساس قومى ، ومنها : جمعية مسلمى جزر الهند الغربية ، وجمعية مسلمى قبرص ، وجمعية مسلمى إندونيسيا ، وجمعية المسلمين الهنود ، وجمعية مسلمى موريشيوس ، وجمعية الأحناف ، وجماعة ( التبليغ ) .

## مجلس التفاهم العربى - البريطانى[1] :

ويُطلق عليه اسم « كابو » المأخوذ من الحروف الأولى للاسم بالإنجليزية ، وقد عقد المجلس اجتماعه الافتتاحى فى يوليو (١٩٦٧م) ، وكان مديره الأول الصحافى والكاتب المرموق « مايكل آدمز » الذى استقال وقتها من صحيفة « الجارديان » بسبب مواقفها المعادية للعرب ، وكما يقول آدمز فإنه باشر مهامه فى وقت كان فيه الرأى العام لا يزال معادياً بشدة للعرب .

والدور الرئيسى الذى يلعبه المجلس هو أن يكون المظلة لكل المنظمات البريطانية ذات الاهتمام بأى من الدول العربية الـ ٢١ ، وللمجلس من مقره فى منطقة وكنسنجتون ، غرب العاصمة لندن اتصالات وثيقة بالجالية العربية .

## مشروع المنار الإسلامى فى لندن[2]

فى حفل حضره « جون جامار » وزير البيئة البريطانية وشارك فيه أكثر من مائة ممثل عن السلطات المحلية فى مختلف أنحاء بريطانيا ، أعلن فوز

---

(١) صحيفة الحياة اللندنية بتاريخ ١٩٩٥/١٠/٨ .

(٢) صحيفة المسلمون بتاريخ ١٩٩٥/٧/٧م .

مشروع « المنار » في منطقة « كنسنجتون » كنموذج للتعاون المثمر بين السلطات المحلية والأقليات العرقية .

تسلم الجائزة د/ عبد الكريم خليل مسئول الموارد فى المشروع ، وتُمنح جائزة « لارا » سنوياً تتويجاً لجهود البلديات فى دعم هوية المجموعات العرقية لتأكيد إحساسها بالانتماء للمجتمع ، وتشكل الجائزة تقديراً كبيراً لبلدية كنسنجتون على دورها فى تأمين دعم بمليون جنيه استرلينى لإنشاء مركز إسلامى متعدد المرافق ومتنوع الخدمات لتغطية حاجات الجالية المسلمة بالمنطقة فى المجال التربوى والثقافى والاقتصادى حيث يشكل المسلمون نسبة كبيرة من السكان .

**المؤسسة الإسلامية فى « ليستر »[1] :**

وهى منظمة تربوية تهتم بالدراسات والبحوث ، وهى مؤسسة فريدة من نوعها على الصعيد الأوروبى ، وهى تقع فى قرية ماركفيلد بضاحية مدينة ليستر ، وقد زاد عدد مطبوعات المؤسسة على ١٦٥ عنواناً ، حيث تضم مكتبة متخصصة بها نحو ٢٠ ألف عنوان ، وقد أعدت المؤسسة « مشروع المسلمين الجدد » والذى يركز على متطلبات البريطانيين المعتنقين الإسلام مؤخراً .

وتساهم المؤسسة باستمرار فى إقامة المساجد والمدارس ومراكز الجالية الإسلامية ، حيث أقامت أكثر من ٢٠ مركزاً فى مختلف أنحاء بريطانيا ، كما أقامت المؤسسة مسجداً ضخماً ومدرسة إسلامية ومركزاً للجالية المسلمة فى « سباركبروك » بمدينة برمنجهام .

**المركز الإسلامى فى « ادنبره »[2] :**

تقع مدينة أدنبره شمال بريطانيا ، وبها أشهر كليات الطب فى العالم

---

(١) صحيفة العالم الإسلامى بتاريخ ١٩٩٥/٤/١٧م .
(٢) صحيفة المسلمون بتاريخ ١٩٩٥/٨/٢٤م .

وهى الكلية الملكية للجراحين التى يرتادها جمع غفير من الدارسين المسلمين ، ويقطن « أدنبره » نحو ٢٠ ألف عائلة مسلمة ، هذا بخلاف عدد الطلاب المسلمين الذين يقدمون إليها كل عام .

وحتى يجد المسلمون دوحة يستظلون بظلها ويؤدون فيها شعائر دينهم من صلاة وتعليم للقرآن ، وتعليم للغة العربية ، فقد تم تأسيس المسجد والمركز الإسلامى فى أدنبره حيث يتكون من مسجد ومصلى للنساء ، ومكتبة وقاعة محاضرات وفصول دراسية ، وأنشئ تحت رعاية الملك فهد بن عبد العزيز عاهل السعودية .

**جمعية أهل الحديث المركزية**[1] :

وهى تعتبر من المؤسسات المتميزة فى مجال تأصيل الوجود الإسلامى ، فهى وإن كانت تخدم الهدف ذاته مؤسسات إسلامية أخرى إلا أنها تركز على عقيدة المسلم ، ولتحقيق ذلك أنشأت المدرسة الإسلامية السلفية ، حيث تقدم منهجاً تعليميًا متميزاً ، وإلى جانبه تنظم للطلاب برامج رياضية وزيارة للمعالم التاريخية فى بريطانيا والأماكن الإسلامية خارجها ورحلات الحج ، كما يتم تدريبهم على الخطابة باللغة العربية والأردية والإنجليزية .

وفى مجال الطباعة والنشر أصدرت الجمعية مجلة « الصراط المستقيم » إسلامية شهرية جامعة باللغتين الإنجليزية والأردية وتُهدَى إلى المساجد والمراكز الإسلامية ، كما تصدر الجمعية فى حدود إمكانياتها نشرات وكتيبات تهم المسلمين .

وشرعت الجمعية فى بناء « مركز الجاليات المسلمة » واشترت لذلك بناية ضخمة مساحتها ٣٢٢٥ ياردة مربعة ، تقع وسط أحياء يكثر فيها المسلمون : جرين لين - لتل جرين لين - شارع كونترى ، وكانت فى

---

(١) مجلة الأمة يونيو ١٩٨٥م .

الأصل مبنى المكتبة الحكومية ، وقد أُعيد تعمير مبنى المكتبة واستخدامه كمكان للصلاة يتسع لألف شخص تقريباً .

**مجلة «إمباكت»**[1] :

وهى مجلة إخبارية مستقلة تصدر مرتين شهرياً تعبيراً عن وجهة النظر الإسلامية حول الأحداث الجارية ، وإن كانت المجلة صغيرة الحجم - عدد صفحاتها ١٦ صفحة - فإن مضمونها وما تهدف إليه ، والجهد الذى يبذل من أجلها يجعلها فى سلسلة المؤسسات المتقدمة لتأصيل الوجود الإسلامى .

وتعود فكرة إصدارها إلى عام (١٩٦٣م) حين قَدِمَ رئيس تحريرها ومؤسسها محمد الفاروقى من الباكستان للتخصص فى علم الحشرات ، فهو لم يكن صحافياً ، ولكنه كما يقول : وجد نفسه مضطراً لذلك لتصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام .

**المساجد فى بريطانيا**[2] :

يوجد بها الآن أكثر من ٥٠٠ مسجد فى مقابل ١٠ مسجدًا منذ ٤٠عاماً ، وهذه المساجد موزعة فى أنحاء البلاد ، فى لندن وضواحيها ٥٥ مسجداً ومصلى ، وفى منطقة يوركشاير نحو ٢٥ مساجداً ، وفى لنكشاير نحو ٣٠ مسجداً ، وأول مسجد بنى فى جنوب لندن هو مسجد شاه جيهان ، ومسجد نور الإسلام بناه اليمنيون فى «كارديف» وانتشرت المساجد فى : ليفربول ، منشستر ، بريستول ، تشيفلد ، برمنجهام ... إلخ .

**ترجمة معانى القرآن بالإنجليزية**[3] :

وممّن قام بذلك الكسندر روس نقلاً عن الفرنسية ، ثم ترجمة الدكتور سيل نقلاً عن العربية سنة (١٨٣٣م) ، وقد حاول ريتشارد برتن مع آخرين

---

(١) مجلة الأمة يونيو ١٩٨٥م .

(٢) ، (٣) سيد بكر : مرجع سابق ص ٢٦٠ - ٢٦٢ .

ترجمة معانى القرآن بالسجع الشعرى ونشر بعضها سنة (١٨٦٦م) ، وهناك بعض التراجم الحديثة لمعانى القرآن الكريم .

**التعليم الإسلامى :**

ينتشر التعليم الإسلامى فى أوساط الجالية الإسلامية ، حيث يوجد ٤٢ مدرسة فى لندن وما حولها ، وكذلك فصول مشابهة متفرقة فى اسكتلنده وكلها تسير بمناهج مختلفة ولغات متعددة ، ولقد كان عدم اعتراف بريطانيا بالأقلية المسلمة سبباً فى عدم تدريس الدين الإسلامى فى المدارس الحكومية ، وقد عُقد فى « برادفورد » مؤتمر للتعليم الإسلامى سنة (١٩٧٨م) حضره أكثر من ٢٠٠ مندوب من الهيئات الإسلامية البريطانية لمناقشة غياب التعليم الإسلامى فى المدارس الحكومية ، والعمل على إنشاء مدارس خاصة لأبناء المسلمين ، ووضع مناهج موحدة للتعليم فيها(١) .

وفى إطار نشاط التعليم الإسلامى افتتحت رئيسة جمهورية أيرلندا « ميرى روبنسون » المدرسة الإسلامية فى « دبلن » فى سنة ١٩٩٢م بمساهمات من بعض المؤسسات الإسلامية فى العالم العربى ، وتم الاعتراف بها رسمياً ، وعدد الطلاب المسجلين بها حالياً ١١٢ طالباً وطالبة يدرسون المنهج الأيرلندى المعتمد للعلوم الطبيعية ( رياضة - علوم ... إلخ ) ومنهج التربية الإسلامية المعد للمدرسة بالاستعانة بمناهج الدول العربية بعد ترجمتها ، ومنهج اللغة العربية المتبع فى وزارة التعليم فى مصر(٢) .

وقد حقق أولياء أمور التلاميذ المسلمين نجاحاً كبيراً فى الحملة التى قادوها بهدف فصل دروس التربية الدينية فى المدارس الحكومية ، إذ سيصبح بإمكان ٥٠٠ تلميذ مسلم تلقى دروس التربية الإسلامية بواسطة مدرس مسلم يحمل مؤهلاً فى تدريس التربية الإسلامية ، وذلك فى مدرسة

---

(١) المرجع السابق ص ٢٦٠ .

(٢) مجلة الوعى الإسلامى : شعبان ١٤١٣هـ ، فبراير ١٩٩٣م ، ص ١٤ - ١٦ .

« بيركفيلد » الابتدائية بمنطقة « آستون » بعد أن اشتكى أولياء الأمور من حصص التربية الدينية المختلطة[1] .

ويذكر أن الاهتمام بالدراسات الإسلامية فى الجامعات البريطانية يعود إلى سنة (١٦٣٢ م) حيث تم تأسيس أول كرسى جامعى للغة العربية فى جامعة كمبردج ، كما أسس كرسى مشابه فى جامعة أكسفورد بعد أربع سنوات ، أى فى عام (١٦٣٦م) ، أما مركز أكسفوزد للدراسات الإسلامية فقد تأسس عام (١٩٨٥م) وهو مرتبط بجامعة أكسفورد ويهدف إلى الإسهام الجاد فى تعزيز فهم الإسلام ، ويقوم المركز بتنظيم برامج للتدريس وندوات ثقافية ومؤتمرات ، ويحظى المركز برعاية شخصيات ملكية بارزة من المملكة المتحدة ، والمملكة العربية السعودية ، وسلطنة بروناى .

وتعتبر كلية الدراسات الشرقية والأفريقية التى أسستها جامعة لندن عام (١٩١٦م) أكبر مركز بريطانى للدراسات الإسلامية ، كما تضم جامعتا « كمبردج » و « درم » أقساماً خاصة بالدراسات الإسلامية ، كما تقدم جامعة « أدنبره » منذ عدة سنوات دروساً باللغة العربية والفارسية والتركية ، أما كلية « رويال هولوواى كوليدج » بجامعة لندن فتقدم دروساً جامعية تعنى بتاريخ الإسلام فى الشرق الأوسط وجنوب آسيا وبريطانيا .

ومن بين الجامعات الأخرى التى تقدم دروساً إسلامية وعربية ، نذكر جامعة « إكستير ، وسانت أدروز ، وبلفاست ، وجلاسجو ، وليدز » ، بالإضافة إلى كلية « لمبتر » و « إبريستويت بجامعة ويلز » .. هذا ويتوفر لباحثى الدراسات الإسلامية ثروة قيمة من المراجع ، إذ تضم المكتبة البريطانية ومكتبة بودليان فى أكسفورد مخطوطات بالعربية ومؤلفات عن الدول الإسلامية .

وتحوى مكتبة كلية الدراسات الشرقية والأفريقية أكثر من ٧٥٠ ألف كتاب ونشرة دورية ومخطوطة ، أما إحدى أكبر المجموعات من الوثائق عن

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط ١٩٩٦/٢/٦م .

الشرق الأوسط فهي موجودة في جامعة « درم » ، في حين تضم مكتبة التوثيق والأبحاث في مركز دراسات الخليج العربي التابع لجامعة إكستير مجموعة واسعة من المراجع والكتب المتعلقة بالخليج [1] .

**الأمير تشارلز :**

دعا ولي العهد البريطاني إلى تخصيص جانب من الأموال المخصصة لاحتفالات بريطانيا بالقرن الجديد لتمويل بناء مساجد ومعابد هندوسية ، وأعرب عن اعتقاده أن غياب مشروعات ذات صبغة روحانية يدعو للإحباط وخيبة الأمل .. وقد رحب مسلمو بريطانيا بهذه الدعوة ، وقال حمد الماجد مدير المركز الإسلامي في لندن : إن دعوة الأمير تشارلز تذكرنا بمواقفه المشرفة السابقة خاصة محاضرته الشهيرة في جامعة أكسفورد حين عرض أفكاراً جريئة في صالح الإسلام والمسلمين في بريطانيا ، ولازلنا نتذكر تصريحه الشهير : « إنني لست حامياً للمذهب البروتستانتي فحسب ، بل حام لكل الأديان الموجودة في بريطانيا » [2] .

**جائزة مركز أكسفورد :**

وهي جائزة دولية سنوية يمنحها المركز لأفضل الأعمال الإسلامية ، وقد حصل عليها في عام ١٩٩٥ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة - من سوريا - تقديراً لجهوده في التعريف بالإسلام ومساهماته في علوم الحديث .

وكانت فكرة الجائزة قد أقرت عام (١٩٩٢م) لدى قيام السلطان حسن بلقيه بزيارة المركز حيث أعلن عزمه على تمويل برنامج ثلاثي يخصص لدعم الدراسات الإسلامية في أكسفورد والعالم ، ويعزز انتشار الفكر الإسلامي ، والحوار بين الشرق والغرب [3] .

---

(١) صحيفة العالم الإسلامي ١٩٩٥/٦/٥م .
(٢) صحيفة الشرق الأوسط ١٩٩٦/١/٢٦م .
(٣) صحيفة الحياة اللندنية ١٩٩٥/٧/٩م .

## اعتناق الإسلام :

نشرت جريدة التايمز منذ ٩ نوفمبر (١٩٩٣م) سلسلة تحقيقات عن تزايد اعتناق البريطانيين - خاصة النساء - للإسلام رغم الحملات الصحفية المعادية له ، وقالت الصحفية (لوسى برينجتون) إن عدد البريطانيين الجدد المعتنقين للإسلام سيعادل أو يتجاوز - فى المستقبل القريب - عدد أبناء الجاليات المهاجرة .

ويذكر أن المهتدين الجدد من بين كل فئات المجتمع ، ومنهم ابنة اللورد (ريتشارد سكوت ) الذى ينظر قضية بيع الأسلحة للعراق - واسمها « ماريلا » ٢٨ عاماً ، وكذلك ابنة (جوناثان) ٣٢ عاماً[1] .

كما اعتنق الإسلام مؤخراً ابنة أحد مليارديرات اليهود البريطانيين وتزوجت أحد لاعبى الإسكواش الباكستانيين - عمران خان - واستقرت معه فى الباكستان .

* * *

---

(١) صحيفة الحياة اللندنية ١٣/٢/١٩٩٦م .

## الجالية الإسلامية فى فرنسا

أخذت فرنسا اسمها من قبائل «الفرانك» التى قدمت من شمال أوروبا، ومر تاريخها بأحداث عديدة، مزقت أرضها بين جيرانها، ثم شكلت وحدتها، ثم كونت لها امبراطورية واسعة من المستعمرات فيما وراء البحار، وقد غزاها الألمان ثلاث مرات فى أقل من قرن، فغزتها ألمانيا فى سنة (١٢٨٧هـ - ١٨٧٠م)، ثم فى الحرب العالمية الأولى، والثانية، وبعدها استعادت فرنسا نهضتها وكيانها الاقتصادى، وأصبحت فرنسا من الدول الرائدة فى غرب أوروبا، وهى عضو فى السوق الأوروبية المشتركة.

**الموقع والمساحة :**

تقع فرنسا فى غربى أوروبا وتشغل موقعاً ممتازاً، فلها ثلاث جبهات بحرية، فتطل على البحر المتوسط من الجنوب، وعلى خليج بسكاى والمحيط الأطلنطى من الغرب، وعلى بحر المانش، فبحر الشمال من الجهة الشمالية الغربية، ورغم أن حدودها الداخلية تسير مع المرتفعات إلا أنها تتصل بجيرانها بسهولة عبر ممرات بهذه الجبال، ففى شمالها بلجيكا ولكسمبورج ورغم وجود هضبة الأردين بينها وبينهما إلا أن سبل الاتصال ميسرة، وفى شرقها وشمالها الشرقى ألمانيا، وفى الشرق أيضاً سويسرا وإيطاليا، والاتصال ميسر عن طريق ممرات جبال الألب، وفى الجنوب الغربى أسبانيا وبينهما جبال البرانس.

وتبلغ مساحة فرنسا (٥٤٧٠٢٩ كيلو مترًا مربعًا)، وبذلك تعد ثانية الدول الأوروبية مساحة بعد الاتحاد السوفيتى السابق، والعاصمة باريس، وأهم مدنها : ليون، مارسليا، ليل، بوردو[1].

---

(١) سيد بكر : مرجع سابق ص ٢٦٥.

**السكان :**

بلغ عدد سكان فرنسا فى سنة ( ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م) ٥٤٫٢٥٧٫٠٠٠ نسمة ، ويدين معظم السكان بالكاثوليكية ، ويأتى الإسلام فى المرتبة الثانية .

وقد ذكرت مجلة نيوزويك الأمريكية فى أبريل ١٩٨٤ عن دراسة أجرتها إحدى الجامعات الكنسية الأوروبية أن عدد المسلمين الفرنسيين يبلغ (٤٫٥٠٠٫٠٠٠) بعد أن كانوا مليونين عام ١٩٧٤ ، ويدين بالمذهب البروتستانتى مليون نسمة ، واليهود (٧٠٠٫٠٠٠) على الترتيب الثالث والرابع .

فيما ذكر د. دليل أبو بكر - مدير جامع باريس - فى حديث لمجلة « النور » اللندنية - عدد ٤٩ - أن عدد مسلمى فرنسا يتراوح بين ٥ - ٦ ملايين .

* * *

## منافذ الإسلام إلى فرنسا

عرفت فرنسا الإسلام منذ أمد بعيد ، فهناك محطات بارزة فى قصة الوجود الإسلامى فى فرنسا .. وكان ذلك على المرحلتين التاليتين :

**١ - محاولات الفتح الإسلامى**[1] :

تكشف أوراق التاريخ العتيقة عن مدى علاقة فرنسا بالإسلام منذ القرن الثامن الميلادى ، فالإسلام حاضر فى ذلك البلد منذ ثلاثة عشر قرناً دون انقطاع ، وفى هذا الحضور كر وفر ، ومواطن قوة ومواطن وهن ، ولهذا التواجد أسباب وأشكال ، تعددت واختلفت بتعدد العقود واختلاف الظروف ، ولكى نفهم الحاضر والتقاط متغيراته ، فلا بأس من إلقاء الضوء على الماضى وفهم ثوابته .

تختلف الروايات التاريخية ( عربية كانت أو غربية ) فى تحديد بدايات الحملات الإسلامية ، إلا أن إجماعاً يفيد أنه فى عام (٧١٦م) وفى عهد محمد بن عبدالله الثقفى والى الأندلس ، بدأت أولى الطلائع الإسلامية اختراق فرنسا ، فاستطاعت الاستيلاء على « ناربون » ( يسميها العرب أربونة ) وعلى « السبعتانية » أى السبعية لاشتمالها على المدن السبع : أربونة - نيم - واقد - بيزيه - لودين - فرقشونة - مقلونة .

وفى عام ٧٢١م ، وبعد أن استتب للمسلمين أمر « ناربون » زحفوا باتجاه « تولوز » ( يسميها العرب طلوزة ) ، فحشد الكونت « أود » دوق المقاطعة كل ما قدر على حشده من الجنود ، وخفَّ لصد العرب عن المدينة ، بينما كانوا أخذوا بمخنقها ، واستعملوا المنجنيقات وسائر آلات الحصار فى قتالها

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط ١٩٩٣/٦/١٢م . دراسة بقلم / محمد قواص .

إلى أن أوشك أهلها على التسليم ، إلا أن تدخُّل الكونت « أود » وجيشه وقلب الأمور رأساً على عقب .

ورجع المسلمون عن تولوز ، إلا ان هجوماً آخر شنَّه العرب عام ٧٢٥م ، أدى إلى الاستيلاء على المدينة ، وعلى « كركسونة » - قرقشونة - و « نيم » ، كما شهدت تلك الحقبة بدايات الزحف نحو « وادى الرون » واحتلال مدينة « ليون » ومنطقة « برجونيا » .

وفى عام ٧٣١م دعا عبد الرحمن الغافقى والى الأندلس إلى الجهاد وسار الغافقى بجيشه نحو جبال « البيرينيه » يسميها العرب - البرانس - واحتل مدينة « بوردو » ، وقسماً من مقاطعة « أكيتانه » ، فعقد دوق المقاطعة الكونت « أود » حلفاً مع شارل مارتل أحد ملوك الفرنجة ، فساروا لملاقاة العرب فى مدينة « بواتييه » وهزموهم فى تلك الموقعة الشهيرة ، ويذكر المؤرخون الفرنسيون أن قسماً من الأسرى المسلمين اقتيدوا إلى شمال منطقة « اللوار » ، أما القسم الآخر فقد بقى فى نفس المكان واندمجوا فى المجتمع المحلى حيث تعود سلالة الكثير من الفرنسيين الحاليين فى المنطقة إلى مسلمى تلك الحقبة .. وحول هذه المسألة أجرى عدة باحثين فى الطب الجنينى عام (١٩٨٨م) دراسات على تلك الشريحة السكانية فكشفت أن المجتمع الحالى مازال يحمل مميزات وآثارًا تكوينية وراثية تعود إلى منطقتى المغرب العربى واليمن .

هزيمة « بواتييه » - بلاط الشهداء - اعتبرها المؤرخون مفترقاً أساسياً فى وقف التقدم الإسلامى نحو شمال أوروبا ، فلو انتصر العرب لأصبحت أوروبا كلها مسلمة ، ولكانت اللغة العربية تدرس فى جامعات لندن وباريس وبرلين ، وقال المؤرخ الإنجليزى « جيبون » : إن حوادث هذه المعركة أنقذت آباءنا البريطانيين وجيراننا الفرنسيين من نير القرآن المدنى والدينى ، وحفظت جلال روما ، وأخرت سقوط القسطنطينية .

لم يغب المسلمون عن فرنسا فترة القرون الوسطى بل استمر وجودهم ،

ولكن ليس بصفة فاتحين هذه المرة ، وإنما عن طريق التجار المغاربة والأتراك حيث كانوا دائمى الحضور فى المرافئ المتوسطية الفرنسية ، وكانت لهم أحياؤهم ومساجدهم جنوب فرنسا .

ويظهر فى هذه الحقبة الكثير من الآثار التى تدل على تأثر المجتمع المحلى بالاتصال العربى وذلك عبر اللغة والآداب والموسيقى والفن الهندسى ، كما يشير بعض المتخصصين لترجمات عربية نشطت فى الجنوب الفرنسى .

وفجر القرن السابع عشر توجهت هجرات جماعية من المسلمين إلى فرنسا بسبب عمليات الطرد التى طالت مسلمى أسبانيا حيث ارتضوا اعتناق المسيحية إنقاذاً من التنكيل بهم بعد سقوط الحكم الإسلامى فى الأندلس .. وفى عام ١٦١٠م وبعد أن علم « فيليب الثالث » ملك أسبانيا أن هؤلاء المسلمين مازالوا يمارسون شعائرهم الدينية طرد أكثر من نصف مليون اتجهوا إلى المغرب العربى ، كما اتجه أكثر من ١٢٠ ألفاً نحو منطقة « لانجدوق - روسيون » و « الباسك » .

**٢ - الهجرات الحديثة**[1] :

فى بدايات القرن الحالى بين عامى ١٩٠٠ - ١٩٠٥م بدأ وصول العمال والتجار الجزائريين ، ليلتحق بهم بعد عدة سنوات عمال المغرب ، وقد وصل عددهم عشية الحرب العالمية الأولى أكثر من ٣٠ ألفاً ، وقد رفعت حاجات الحرب هذا العدد إلى ١٣٢ ألفاً .

وقد برز الإسلام كمشكلة فى الجيش الفرنسى حيث التحق به أكثر من ١٧٥ ألف جزائرى ، وقد لاحظ الضباط الموكلون رعاية الجنود المسلمين ازدياد تعلقهم بأداء واجباتهم الدينية ، فأعدوا لهم أماكن للعبادة ، واستدعوا لهم علماء مسلمين لإمامتهم .

---

(١) المرجع السابق .

بعد انتهاء الحرب هبط عدد المسلمين بفرنسا إلى ١٠ آلاف فقط عام ١٩١٩م ، ولكن هذا العدد بدأ يتصاعد ابتداءً من عام ١٩٢٠ ، ففى عام ١٩٢٤ كان هناك ١٢٠ ألفاً من الجزائريين ، ٢٠ ألف مغربى وتونسى وبعض المشرقيين .

وقد تزايد النمو السريع لأعداد الوافدين عقب الحرب العالمية الثانية ، وبقى متصاعداً لعدة أسباب سياسية واقتصادية حتى أضحى الدين الإسلامى من حيث العدد الثانى بعد الكاثوليكية .. حيث يصل عدد المسلمين فى فرنسا إلى نحو خمسة ملايين .

وأغلب المسلمين فى فرنسا من الطبقة العاملة ومن الطلاب ، وهناك بعض الفئات المثقفة كالمهندسين والأطباء والفنيين ، هذا إلى جانب المسلمين الفرنسيين .

## مناطق المسلمين :

تتركز الجالية الإسلامية الفرنسية فى العاصمة باريس وضواحيها حيث يوجد أكثر من مليون مسلم ، وكذلك فى مرسيليا ، وليون ، ونيس ، وبوردو ، ونانت ، وليزفلين على بُعد ٥٠ كيلو مترًا مربعًا شمال غرب باريس ، ومدن أخرى ، ويقدر عدد المسلمين فى مرسيليا وحدها بأكثر من ١٠٠ ألف ، وكذلك فى « ليون » [1] ، وقد ذكرت مجلة نيوزويك أبريل ١٩٨٤م أن اختصاصياً ديمجرافياً فرنسياً يتوقع أن الأغلبية فى بعض المدن الفرنسية ستكون إسلامية .

* * *

(١) سيد بكر - مرجع سابق - ص ٢٧١ .

## النشاط الإسلامي في فرنسا

توجد في فرنسا جمعيات إسلامية متعددة منها : رابطة الطلاب المسلمين ، وتنتمي للاتحاد الأوروبي للجمعيات الطلابية ومركزها في مدينة « أخن » ولها مركز في باريس ، ومركزان في مدينتي « كاليرمون » و « تولوز » ولها نشاط في مدن أخرى .

وتصدر الرابطة مجلة « المسلم » .. وللرابطة أنشطة عديدة منها : تنظيم دروس أسبوعية ومحاضرات عامة ، وتوزيع الكتب الإسلامية ، وتهتم بالتكوين الديني لأعضائها .

وهناك جمعية المسلمين الدولية ، وهي جمعية محدودة تصدر مجلة بالفرنسية اسمها : « الإسلام » .. وهناك جمعية صداقة « مسلمي باريس » وهدفها فتح المدارس وبناء المساجد ، وتصدر مجلة « فرنسا الإسلام » ، وهدفها التعريف بالإسلام ، وتربية أبناء المسلمين تربية دينية .. وجمعية المسلمين الفرنسيين وهي خاصة بالمسلمين من أصل فرنسي .. وجمعية « أخوية المسلمين في أوروبا » للمسلمين من أصل جزائري .. ثم جمعية « حركة الإعانة والدفاع عن المهاجرين المسلمين » .. وكذلك « جمعية التبليغ » وهي من أنشط الجمعيات خاصة في حقل العمال ، ولها نشاطها في فتح المساجد في المراكز الصناعية .

وهناك جمعيات وهيئات إسلامية أخرى مثل : المركز الثقافي الإسلامي في « لورين » ، و « الإخوان المسلمون في أوروبا » في شارع كلود برنارد باريس ، و « الهيئة الإسلامية بباريس » ، و « الهيئة الإسلامية للطلاب بفرنسا » ، و « مكتب رابطة العالم الإسلامي »[1] .

---

(١) المرجع السابق – ص ٢٧١ .

**المعهد العربى بباريس[1] :**

نشئ هذا المعهد عام (١٤٠١ هـ - ١٩٨١م ) فى قلب العاصمة الفرنسية ليكون منارة واضحة المعالم على التواجد الإسلامى العربى رغم التحركات الصهيونية المشبوهة لعدم إقامته وإعاقة إنشائه ، إلا أن جيسكار ديستان - رئيس فرنسا آنذاك - أصر على إنشائه .

ويهدف المعهد إلى إنماء وتعميق دراسات العالم العربى للتعرف عليه وتفهم لغته وحضارته وقيمه الثقافية والروحية ، وكذلك التبادل الثقافى بين العالم العربى وفرنسا ، ويقوم المعهد بالعديد من الأنشطة والتعريف بالقضايا العربية والإسلامية .

**المساجد :**

يبلغ عدد المساجد فى فرنسا - كما ذكر السفير الفرنسى فى صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ١٩٩٥/١٢/١٣ - نحو ١٢٠٠ مسجد .

ومن أشهرها مسجد باريس الذى بُنى سنة (١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠م) ويشتمل على مسجد ومركز إسلامى ومدرسة وقاعات للاجتماع والمحاضرات ، ومكتبات ، وللمسجد أوقاف تغطى نفقاته ، ويعتبر هذا المسجد من أكبر مساجد أوروبا ، وهناك العديد من المساجد فى مدينة باريس وضواحيها ، وكذلك فى مدن ليل ومرسيليا ، وفى منطقة ليون وحدها أكثر من ٣٥ مسجدًا[2] .

وقد استقبل الرئيس الفرنسى الحالى « جاك شيراك » دليل أبو بكر إمام مسجد باريس وعميد معهده الإسلامى واجتمع معه لمدة ساعة ، وقد جاء فى بيان صدر عن المسجد أن اللقاء كان - ودياً جداً - وأن الإمام التقى

---

(١) صحيفة العالم الإسلامى ١٩٩٥/٤/١٧م .
(٢) سيد بكر - مرجع سابق - ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

بصديق الدرب الطويل لمسجد باريس وعرض معه القضايا التى تمس مسلمى فرنسا ، وهذا اللقاء يأتى بعد أيام من إنشاء « المجلس الأعلى لمسلمى فرنسا » والذى يهدف إلى تمثيل مسلمى فرنسا بمختلف جذورهم واتجاهاتهم ، ويذكر مؤسسو هذا المسجد أنه يأتى كبديل لمسجد باريس الذى عجز عن تمثيلهم [1] .

وقد توجه وزير الداخلية الفرنسى « جان لوى دوبريه » إلى مسجد باريس لتحية الدين الثانى فى فرنسا كما قال ، ونوه بجهود إمام المسجد دليل أبو بكر لتوحيد الجالية المسلمة فى فرنسا ، وأعرب « دوبريه » أمام جمهور غفير من الأئمة وشباب الكشافة المسلمين وممثلى الجمعيات والدبلوماسيين والشخصيات عن أمله فى أن يكون المجلس التمثيلى لمسلمى فرنسا الجديد واسعاً إلى أكبر حد ممكن ومنفتحاً على جميع الاتجاهات الإسلامية [2] .

**المجلس الأعلى لمسلمى فرنسا [3] :**

مع بداية الثمانينيات تم إنشاء مجلس للتشاور بخصوص الإسلام ، ولكن - ولأسباب عدة - لم يقدر له النجاح ، وقد تم مؤخراً إنشاء مجلس يمثل مسلمى فرنسا ، وقد قام المجلس بإعداد ميثاق للمسلمين فى فرنسا ، ويتكون الميثاق من ٣٧ مادة موزعة على خمسة أبواب مع مذكرة إيضاحية ، وقد نجح الميثاق فى التوفيق بين العلمانية التى ينص عليها الدستور الفرنسى وبين المبادئ الأساسية للإسلام ( المواد ١٥ ، ٣٠ ، ٣٢ ) ، كما استطاع الميثاق أن يوضح علاقة الإسلام بالديانات السماوية الأخرى ( المواد ٣٤ ، ٣٧ ) ، وقد أحسن واضعو الميثاق صنعاً بإبراز الإسلام كدين وعقيدة يحث على العمل

---

(١) صحيفة الحياة « اللندنية » ١٩٩٥/١٢/٢٢ م .
(٢) صحيفة العالم الإسلامى ١٩٩٥/٧/١٠م .
(٣) صحيفة الأهرام ١٩٩٥/٦/١٦م .

والبحث العلمى ، فضلاً عن أنه يدعو إلى الحب والتسامح والتضامن ونبذ العنف ( المادتان ٦ ، ١٣) ، وقد حرص واضعو الميثاق على تأكيد انتماء مسلمى فرنسا وارتباطهم بمبادئ الجمهورية الفرنسية فى المواد ٢٧ ، ٢٩ ، وقد أكد ذلك المعنى السيد مدير جامع باريس فى أكثر من موضع فى تقديمه لذلك الميثاق ، ولعل السبب فى ذلك يكمن فى محاولة كسب ثقة السلطات الفرنسية من ناحية ، والتخلص من رواسب الماضى من ناحية أخرى ، والميثاق فى جملته يعد خطوة حميدة فى طريق الاعتراف للإسلام بوجود قانونى فى فرنسا .

**اليمين الفرنسى المتطرف :**

الانتخابات المحلية الفرنسية الأخيرة أسفرت عن فوز مرشحى الجبهة الوطنية العنصرية الداعية إلى طرد الأجانب فى ثلاث مدن كبرى ، فضلاً عن حصول مرشح الجبهة فى انتخابات الرئاسة الأخيرة على ١٧٪ فى الدورة الأولى وبات باستطاعة الجبهة تطبيق سياستها العنصرية تجاه المسلمين فيما يتعلق بالخدمات [١] .

وقد دعا الاتحاد الوطنى لمسلمى فرنسا أعضاءه إلى « اليقظة » بعد انتخاب رؤساء بلديات من اليمين المتطرف للمرة الأولى فى ثلاث مدن جنوب البلاد وهى : مارينيان ، تولون ، أورانج ، وأوضح الاتحاد الوطنى - والذى يهدف إلى الدفاع عن حقوق وكرامة مسلمى فرنسا - فى نشرته الشهرية « لوميار » أن اليقظة واجبة ، كما يجب تنبيه السلطات العامة التى تملك إمكانيات كبيرة لإحباط سياسة التمييز التى تدعو إليها الجبهة الوطنية بزعامة « جان مارى لوبان » ، وقد عقد ممثلو خمسين جمعية ومسجداً مؤتمراً إقليمياً فى ضاحية « كولومب » لمقاومة ذلك [٢] .

---

(١) صحيفة الحياة « اللندنية » ١٩٩٥/٧/٣م .
(٢) صحيفة العالم الإسلامى ١٩٩٥/٧/١٧م .

**لجنة الاتصال :**

تكونت فى فرنسا لجنة من الشخصيات الإسلامية والشخصيات المتعاطفة مع الدين الإسلامى مهمتها الاتصال بالمسئولين الفرنسيين والتحدث معهم بشأن الإسلام والمسلمين فى فرنسا من أجل توضيح المسائل التى يدور حولها جدل أو يكتنفها غموض ، بما يساعد على حسن التعامل مع الجالية المسلمة [1] .

**المكتبة الفرنسية .. والإسلام[2] :**

من المستجدات التى قفزت إلى المشهد الثقافى الفرنسى « الطفرة الإسلامية » ، والتى أوجبت على الباحثين التعامل معها ، مما حدا بدور النشر إلى إصدار سلاسل عن الإسلام ، وإعادة طبع الكتب القديمة عنه .

وهذه جردة لبعض الكتب التى صدرت فى موضوع الإسلام ، ومنها كتاب « الإسلام والإغراء الأصولى فى فرنسا » لمؤلفيه عاميروش العميدى ، وديفيد بوجا ، والذى يصدر عن دار جان كلود لاتيس ، ويسعى إلى الإمساك بخيوط الشبكة التى نسجها الأصوليون الجزائريون فى ضواحى باريس وذلك باستحواذهم على المساجد وجمعيات المهاجرين .

وعن منشورات « لاديكوفيرت » صدر عدد خاص من مجلة « هيرودوت » فى عنوان : « هل يجب قبول الإسلاميين .. أم يجب التحكم فيهم ؟ » .

صدر عن منشورات « هاشيت » كتاب « الرديكالية الدينية فى العالم العربى والإسلامى » لمؤلفه « أوليفييه روا » .. ونشرت دار « سوى » كتاب « الإسلاميون الجزائريون » للباحثة « سيفرين لابات » .

وفى مجال التاريخ الإسلامى صدر تحت إشراف المستشرق أندريه ميكيل (أستاذ اللغة والأدب العربى فى الكوليج دوفرانس) ودومنيك

---

(١) صحيفة العالم الإسلامى ١٩٩٥/٨/٢١م .

(٢) صحية الحياة « اللندنية » ١٩٩٥/٩/٢٤م .

شوفاليه (أستاذ التاريخ الإسلامى فى السربون) عن منشورات «فاير» كتاب «العرب من الوحى إلى التاريخ» .

وجان كلود فادى صدر عن المنشورات الجامعية الفرنسية كتاب «الأفكار الأخلاقية فى الإسلام» ، وعن نفس الدار صدر كتاب «الفكر الشيعى» للمستشرق الألمانى «هاينز هالم» .

**التعليم الإسلامى :**

ليست هناك خطة موحدة لتعليم أبناء المسلمين فى فرنسا ، وإنما هى جهود فردية ، حيث توجد بعض المدارس الملحقة بالمساجد تنعقد بها دروس فى العطلات الأسبوعية ، وكان من المفروض أن يكون معهد باريس الملحق بالمسجد رائداً فى هذا ، غير أن الخلافات أجهضت ذلك .

وقد بادر اتحاد المنظمات الإسلامية فى أوروبا مستعيناً بثلة من أهل الاختصاص بإقامة أول مشروع تعليمى إسلامى على مستوى جامعى ، وهو مشروع الكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية فى فرنسا ، التى انطلقت منذ بداية سنة ١٩٩٢م ، وهى تضم أكثر من مائة طالب من مختلف الدول الأوروبية يتوزعون على ثلاث مؤسسات تعليمية وهى :

- كلية للشريعة وأصول الدين ( دراسة جامعية لمدة أربع سنوات ) .
- معهد تكوين الأئمة والمدرسين ( مدة الدراسة سنتان ) .
- معهد تعليم اللغة العربية الناطقين بها ( مدة الدراسة سنة واحدة مكثفة ) .

وقد اعتمدت الكلية منهجاً متميزاً لتحقيق أهدافها على المبادئ التالية :

( أ ) استقطاب الطلاب المسلمين الأوروبيين ، حيث يتحقق فيهم شرط استيعاب الواقع الأوروبى ، فإذا جمعوا إليه الاختصاص الشرعى ، تحقق لهم التكوين المطلوب للدعوة .

(ب) التكوين الشرعى العميق للطلاب ، القائم على تدريس العلوم الشرعية من قبل متخصصين مع الأخذ بعين الاعتبار إشكالات الواقع الأوروبى .

(ج) الجمع بين التعليم والتربية [1] .

**ترجمة معانى القرآن الكريم :**

صدرت بالفرنسية ترجمة قام بها قنصل فرنسا فى مصر سنة (١٠٥٧هـ - ١٦٤٧م) ترجمة « أندرو دواير » ، ثم ترجمة سنة ١١٨٧ هـ - ١٧٧٣م) قام بها « فارى » ، وترجمة ثالثة قام بها « كازمير سكى » سنة (١٢٥٦ هـ - ١٨٤٦م) ، وهناك تراجم حديثة لمعانى القرآن ، منها ترجمة عميد معهد مسجد باريس .. والأمر يقتضى إعادة النظر فى هذه التراجم وتصويبها [2] .

* * *

---

(١) مجلة الوعى الإسلامى - محرم ١٤١٦ - يونيو ١٩٩٥م .
(٢) سيد بكر - مرجع سابق - ص ٢٧٥ .

# الجالية الإسلامية فى بلجيكا

هى إحدى دول غربى أوروبا ، خضعت فترة لحكم أسبانيا ، وحكمتها النمسا ثم خضعت لفرنسا فى عهد نابليون بونابرت ، وتكونت بها مملكة ضمت إليها هولندا سنة ( ١٢٣١هـ - ١٨١٥م ) ، وبعد ١٥ عاماً انفصلت بلجيكا وتكونت منها مملكة مستقلة ، وغزاها الألمان فى الحرب العالمية الأولى ، وعاد لها استقلالها بعدها ، ثم غزتها ألمانيا مرة أخرى فى الحرب العالمية الثانية ، وبلجيكا إحدى دول السوق الأوروبية المشتركة ، وإحدى الدول الثلاث المؤسسة لمنظمة « البنلكس » التى تضم بلجيكا وهولندا ولكسمبورج وتبلغ مساحة بلجيكا (٣٠٫٥١٩ كيلو مترًا مربعًا) ، وسكانها سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م ) يبلغ عددهم (٨٫٨٥٤٫٥٨٩) نسمة ، والعاصمة بروكسل ، وسكانها مليون نسمة ، ومن المدن الهامة : إنفرس - ولياج - شارلورة - كانت ، وتحد بلجيكا هولندا من الشمال ، وفرنسا من الجنوب ، ولكسمبورج من الجنوب الشرقى ، وألمانيا من الشرق ، وبحر الشمال من الغرب [1] .

## منافذ الإسلام إلى بلجيكا :

لم يكن الوجود الإسلامى فى بلجيكا متاحاً بشكل مباشر إلا من خلال الندرة القليلة من الطلاب المبتعثين إلى بلجيكا للدراسة ، ومن خلال أعداد قليلة من العناصر العمالية التى رحلت إلى هناك للعمل ، فقد كانت بلجيكا - كغيرها من الدول الأوروبية - تمر فى أوائل الستينيات بمرحلة الطفرة الاقتصادية الهائلة والنهضة الصناعية القوية التى استدعت استقدام اليد العاملة الأجنبية ، وعمدت بلجيكا إلى استقدام هذه العناصر العمالية من

---

(١) المرجع السابق - ص ٢٧٩ .

تركيا ، ومن بلاد الشمال الأفريقي - خاصة المغرب وتونس -، وكانت هذه العمالة تتم إما بطريقة عشوائية حيث يأتي العامل بنفسه فيتعاقد ويقيم هو وأسرته هناك ، أو بناءً على اتفاقات عمالية ثنائية على مستوى الدول يتم فيها تحديد علاقات العمل وواجبات العمال وحقوقهم .. وإلى جانب هذا شهدت بلجيكا - خلال الفترة نفسها من أوائل الستينيات - هجرة من نوع آخر هي هجرة الجالية الألبانية المسلمة التي فرت من الحكم الشيوعي في ألبانيا آنئذ [1] .

وكان عدد الجالية الإسلامية في بلجيكا سنة (١٩٥١م) ثمانية آلاف مسلم فقط ، وبفعل هجرة العمال والطلبة تضاعف هذا العدد كثيراً ليصل عام (١٩٧٤م) إلى ٢٠٠ ألف مسلم ، وقد تضاعف هذا الرقم مرة أخرى ليصل عدد الجالية المسلمة إلى ٤٠٠ ألف مسلم حالياً وفقاً للتقديرات الأخيرة ، تصل نسبتهم إلى أكثر من ٤٪ من المجموع الكلي للسكان ، بحيث يشكل الإسلام الدين الثاني في بلجيكا .

**النشاط الإسلامي في بلجيكا :**

مهما قيل عن التجارب التي يعيشها المسلمون في مجتمعات الاغتراب ، فإن التجربة التي يعيشها المسلمون في بلجيكا تظل تجربة جديدة وفريدة في طبيعتها ، فالدولة هناك دولة علمانية ، لكنها تعترف بالإسلام ديناً للجالية الإسلامية ، حيث صدر مرسوم ملكي بهذا الاعتراف في ٢٤ من أغسطس (١٩٧٤م) ، وما تلاه من موافقة الحكومة في ٢٧ يونيو (١٩٧٤) على إدخال دروس التربية الإسلامية ضمن البرامج المدرسية لأبناء الجالية المسلمة ابتداءً من العام الدراسي ١٩٧٥ - ١٩٧٦م ، وموافقة البرلمان البلجيكي على هذا القرار وصدور المرسوم الملكي بالموافقة النهائية في فبراير (١٩٨٧م) ، وإحالة جميع شئون التعليم الإسلامي إلى إدارة المركز الإسلامي والثقافي في بروكسل العاصمة .. حيث يتلقى تعليم - مادة

---

(١) مجلة «الأمة» شوال ١٤٠٤ - يوليو ١٩٨٤ - ص ٣٦ - ٣٧ .

التربية الإسلامية فى المدارس الرسمية أكثر من ٣٠ ألف طالب مسلم ، وتدفع الدولة رواتب ما لا يقل عن ثلاثة آلاف معلم لهذا الغرض ، وينتشر فى المدن فى بلجيكا وقراها نحو مائتى مسجد ينظم أغلبها دورات تعليمية للأبناء لحفظ القرآن الكريم ودراسة اللغة العربية فى العطلات الأسبوعية والموسمية (١) .

## المركز الإسلامى فى بلجيكا :

كان معظم الطلبة الذين يدرسون فى بلجيكا تجتذبهم النزعة القومية فى البداية أكثر من الانتماء الإسلامى ، لذلك أنشأوا أولاً نوعاً من النوادى الخاصة مثل : اتحادات الطلبة العرب ، ونوادى الصداقة العربية البلجيكية ، أما العمال - بثقافتهم المحدودة - فكانوا فى انشغال بالبحث عن مصادر الرزق ، غير أن ملاحظة الطلبة المسلمين لبعض الظواهر السيئة فى المجتمع البلجيكى ، ومحاولة الكنيسة احتواء الجالية الألبانية المسلمة الفقيرة وأبنائها قد أثار فى الأذهان فكرة إنشاء مركز إسلامى لحماية المسلمين من خطر الذوبان ومحاولات التنصير .

وأُنشئ المركز فى بناء كان يسمى بالجناح الشرقى ، أو الجناح المصرى ، وهذا البناء ظاهره عبارة عن مسجد له قبة ومئذنة من الطراز الفاطمى ، وكان قد أُنشئ فى أواخر القرن التاسع عشر كجناح عربى أقيم فى بلجيكا فى إطار معرض ، وقد عمد المهندس المصمم أن يكون على شكل مسجد للدلالة على الطابع الإسلامى للعرب المشاركين فى المعرض .

وحين زار بلجيكا عام ١٩٦٧م الملك فيصل - رحمه الله - أهدته الحكومة هذا البناء ليقوم بتحويله بدوره إلى مركز إسلامى بدعم كامل من السعودية ومشاركة رمزية من السفارات العربية والإسلامية فى بروكسل ، ولم يبدأ العمل فى هذا الصرح الإسلامى إلا فى عام ١٩٧٥م واستغرق

---

(١) مجلة « الأمة » رمضان ١٤٠٤ - يونيو ١٩٨٤ - ص ٣٦ - ٣٧ .

البناء عامين ليفتتحه رسمياً الملك خالد بن عبد العزيز عام ١٩٧٧م ، وحضر الافتتاح الملك « بودوان » ملك بلجيكا .

ويقع المركز بالقرب من الحديقة الخمسينية الفسيحة - فى قلب بروكسل - على مقربة من مبانى المقر العام للسوق الأوروبية المشتركة والدوائر الحكومية والوزارات فى بلجيكا .

ويتكون المبنى من أربعة طوابق : طابق القبو الذى يضم الخدمات ومطعمًا وناديًا للشباب ومحطة الإذاعة الإسلامية وحمامات الوضوء ، والطابق الأول يشتمل على جزء من الإدارة وقاعات الدراسة للمعهد الإسلامى الأوروبى ، والطابق الثانى باقى الإدارة ومختبر للغات ومكتبة إسلامية تضم أكثر من ٤٠ ألف مجلد ، والطابق الثالث يشكل المسجد الذى يتسع لقرابة ٤٠٠٠ - ٥٠٠٠ مصل ، وفوقه قاعة أصغر حجماً مخصصة للنساء[١] .

أما المدرسة الإسلامية بالمركز فتضم نحو ٥٠٠ طالب ويعمل بها ١٥ مدرساً ، وبجوار المركز الإسلامى مبنى آخر أهداه ملك بلجيكا إلى الملك خالد بن عبد العزيز ليكون متحفاً إسلامياً[٢] .

**المجلس القارى للمساجد**[٣] :

وفقاً لتوصيات المجلس الأعلى للمساجد فى دورته السادسة التى عقدت بمكة المكرمة فى ربيع سنة (١٤٠١هـ ) أوصى باعتماد تشكيل المجلس القارّى للمساجد فى أوروبا ومقره مدينة بروكسل العاصمة ، وقد عقد هذا المجلس اجتماعاً سابقاً فى صفر سنة (١٤٠١هـ) حضره مندوبون عن الجاليات والمراكز الإسلامية فى دول غرب أوروبا واتخذ عدة توصيات بخصوص المساجد والمدارس والدعوة بغرب أوروبا .

---

(١) مجلة « الأمة » شوال ١٤٠٤ - يوليو ١٩٨٤ - ص ٣٦ - ٣٧ .

(٢) سيد بكر - مرجع سابق - ص ٢٨٥ ، ٢٨٧ .

(٣) المرجع السابق - ص ٢٨٥ ، ٢٨٧ .

**المعهد الإسلامى الأوروبى فى بروكسل[1] :**

تم التفكير فى إنشاء معهد للدراسات الإسلامية العليا لتخريج أشخاص قادرين على تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، وبالفعل تمت المباشرة بإنشاء هذا المعهد فى إطار المركز الإسلامى فى بروكسل .

يقول قرار إنشاء المعهد الذى أصدره المجلس القارى للمجالس فى دورته ( بروكسل - المحرم ١٤٠٣ هـ ) : بأنه نظراً لحاجة المسلمين فى أوروبا إلى دعاة من داخل القارة ، قادرين وعارفين بمعطيات البيئة وظروف الحياة والتيارات المعادية للإسلام فقد رئى إحداث ( المعهد الإسلامى الأوروبى ) لتكوين أئمة ودعاة ومدرسين تمهيداً لتحويله إلى معهد أكاديمى عالٍ للعلوم الإسلامية ، وأن يفتتح من السنة الهجرية (١٤٠٣هـ) لتلبية الرغبات المحلية ورغبات البلدان المجاورة ، ورأى المجلس أن تدريب الداعيات والمدرسات أمر هام ، وكذلك معادلة الشهادات حتى تكون لها قيمة فى الدول الأوروبية والعربية والإسلامية .

وأوصى باستقدام بعض الأساتذة الزائرين من المغرب العربى ومن بعض البلدان الإسلامية والاستفادة من العلماء والأساتذة المقيمين في أوروبا كل في اختصاصه .

يمنح المعهد درجة الإجازة فى العلوم الإسلامية بعد دراسة لمدة خمس سنوات بمعدل عشرين ساعة أسبوعياً لأربعة أقسام من المواد : اللغة العربية ( نحو - صرف - بلاغة - منطق ) والعلوم العصرية ( علم نفس - تربية - اجتماع - فلسفة - تاريخ وجغرافيا وتاريخ الأديان ومقارنتها - وقضايا الفكر الإسلامى المعاصر ) ودراسة الشريعة الإسلامية ( علوم القرآن والحديث وعلم التجويد ) أما القسم الرابع من المنهج فيختص بتدريس اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية والأسبانية ) .

---

(١) مجلة « الأمة » - شوال ١٤٠٤ - يوليو ١٩٨٤ - ص ٤١ ، ٤٢ .

## الجالية الإسلامية فى هولندا

تقع هولندا شمال غرب أوروبا ، تحدها ألمانيا من الشرق ، وبلجيكا من الجنوب ، وبحر الشمال من الغرب والشمال ، وتقع بين دائرتى عرض ٥١ درجة شمالًا ، ٥٤ درجة جنوباً ، وقد برزت قوتها البحرية فى القرن الحادى عشر الهجرى – السابع عشر الميلادى – فاحتلت مناطق تفوق مساحتها عدة مرات منها : إندونيسيا ومناطق من أفريقيا ومن جزر الهند الغربية وأمريكا الجنوبية ، وظهرت كمملكة سنة (١٢٣١ هـ – ١٨١٥م) احتلتها ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية ، وعاد لها استقلالها فى نهايتها .. وتبلغ مساحة هولندا (٤٠,٨٤٤ كيلو مترًا مربعًا ) وتنقسم إلى ١١ مقاطعة ، وسكانها حوالى ١٥ مليون نسمة ، والعاصمة أمستردام .

**منافذ الإسلام إلى هولندا :**

يعود وجود المسلمين فى هولندا إلى هجرة عدد كبير من مسلمى المستعمرات الهولندية ، خاصة إندونيسيا وسورينام وذلك قبل الحرب العالمية الثانية ، وبعدها تزايدت هجرة العمال المسلمين من البلدان العربية والإسلامية ، خاصة من تركيا وماليزيا وبلاد المغرب العربى .

ويصل عدد الجالية الإسلامية فى هولندا إلى نحو نصف مليون مسلم ، كما أكد الشيخ أحمد برهون – إمام مسجد الفتح بمدينة هلفرسم التى تبعد عن أمستردام نصف ساعة بالقطار ، وهو نفس ما قاله الصحفى الهولندى « رودى فان ميرو » وما تشير إليه بعض الإحصاءات الهولندية ، ويتركز المسلمون فى بعض المدن مثل : أمستردام العاصمة ، لاهاى ، دون هاج ، وفى مدينة « أوتريخت » التى توجد بها منطقة « لومبو » التى تشبه حى السيدة زينب بمحالها العربية الكثيرة وازدحامها بالمغاربة والأتراك والمصريين ،

ومن السهل أن تجد أسماء عربية للمحال ولافتات مكتوباً عليها (حلال .. كل أكلاتنا حلال) وغالباً ما يملكها مغاربة أو مصريون ، حيث يبلغ عدد الأتراك أكثر من ٢٥٠ ألفاً ، والمغاربة ٢٠٠ ألف ، والمصريين من ١٥ - ٢٠ ألفاً .. ويلاحظ أن لليهود نفوذاً فى هولندا يتمثل فى السياسة والإعلام ، ويقارب عددهم عدد المسلمين[1] .

**نشاط الجالية الإسلامية فى هولندا :**

تكونت جمعيات إسلامية مختلفة فى هولندا ، فلكل جماعة تتحدث لغة واحدة جمعية إسلامية ومنها : جمعية الشباب المسلم فى أوروبا ، ومقرها مدينة « دون هاج » وهى جمعية إندونيسية وبنفس المدينة مدرسة إسلامية إندونيسية ، وقد تأسست الجمعية سنة (١٣٨٩هـ - ١٠٦٩م) ، وتصدر مجلة « الفلاح » وللجمعية فروع فى « روتردام » و « فرويتخن » ، وهناك « مؤسسة المسجد » وهى جمعية معترف بها رسمياً سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) هدفها إنشاء المسجد فى مختلف مدن هولندا ، وأعضاؤها مغاربة ، وجمعية اتحاد المسلمين فى هولندا ، وهى للأتراك ، واتحاد الجمعيات الإسلامية ، وهو جمعية هندية نشأت فى (١٣٨٩هـ) وتضم المسلمين المتحدثين بالأوردية ، كما توجد جمعية النساء المسلمات فى « أمستردام » ، وهيئة الشباب المسلم فى « روتردام » ، وقد انتظمت هذه الجمعيات فى اتحاد الجمعيات الإسلامية فى هولندا ، الذى تولى الدفاع عن الجالية المسلمة .. ويُذكر أن الحكومة الهولندية تكفل حرية الأديان ، وتسمح بالمدارس الإسلامية لتعليم أبناء المسلمين .. وقد صدرت أول ترجمة لمعانى القرآن الكريم بالهولندية سنة (١٠٥١ هـ - ١٦٤١م) ، ثم ترجمة جلاسماكر وطُبعت فى « ليدن » (١٠٦٩ هـ - ١٦٥٨م) ، وفى سنة ١٢٢١هـ - ١٨٠٦م) صدرت ترجمة د/ ركيزر وطُبعت فى مدينة هارلم[2] .

---

(١) صحيفة الشعب ١٩٩٥/٨/٨م .

(٢) سيد بكر - مرجع سابق - ص ٢٩٣ - ٢٩٦ بتصرف .

وبيلغ عدد المساجد فى هولندا أكثر من ٢٠٠ مسجد بنى معظمها المغاربة الذين أعطاهم التليفزيون الهولندى نصف ساعة إرسال أسبوعياً وهذا البرنامج يهتم بتعريف المسلمين أحكام دينهم ، ويستضيف أحد علماء المسلمين خلال شهر رمضان ، ويرسل الأزهر الشريف عالمين أو أكثر طوال الشهر الكريم .

ويقدر عدد الهولنديين المعتنقين للإسلام بنحو ألفين ، أبرزهم «عبد الواحد فان بومل» مدير المركز الإسلامى للإعلام بـ «لاهاى» ، والبروفسير «محمد سراج اليسخوت» أستاذ الاقتصاد بالجامعة ، وقد كتبا منفردين عدداً من الكتب عن الإسلام ، كما يُصدران معاً المجلة الإسلامية الوحيدة فى هولندا : (القبلة) [1] .

* * *

(١) مجلة الأزهر شوال ١٤٠٨ - مايو ١٩٨٨ - ص ١٣١٦ .

# الفصل الثانى

## الجالية الإسلامية فى وسط أوروبا

المانيا

سويسرا

النمسا

بولندا

المجر

تشيكوسلوفاكيا

## تمهـــيد[1]

يشمل هذا القطاع كلاً من ألمانيا والنمسا وسويسرا وبولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا .

ويصل عدد الجالية المسلمة به إلى أكثر من ثلاثة ملايين نسمة ، بينما عدد سكان دول القطاع حوالى ١٥٥ مليون نسمة ، وبذلك تصل نسبة المسلمين إلى السكان إلى حوالى ٢٪ ، وبذلك يحتل هذا القطاع الترتيب الرابع بين سائر قطاعات أوروبا من حيث حصة الجالية المسلمة بالقارة الأوروبية .

ومعظم الجالية المسلمة بهذا القطاع من عناصر مهاجرة حديثاً - خاصة من الأتراك والجمهوريات الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى السابق - وهناك أعداد قليلة مهاجرة منذ عدة قرون ، واستوطنت المنطقة ، كما توجد عناصر من أصول محلية اعتنقت الإسلام .

ويُلاحظ أن نسبة المسلمين بهذا القطاع - باستثناء ألمانيا ضئيلة للغاية ، وهذا يثير الدهشة ، لأن بعض أجزاء هذا القطاع خضعت لحكم إسلامى ممثلة فى المجر وتشيكوسلوفاكيا ، ولكن الظروف التى مر بها الإسلام فى هذه المناطق تزيل الدهشة ، فقد تعرض المسلمون لاضطهاد حكم امبراطورية النمسا بعد زوال الحكم التركى العثمانى ، مما أدى إلى هجرة معظم المسلمين من هذه المناطق ، وعرقلة جهود الدعوة الإسلامية .

* * *

---

(١) سيد بكر - مرجع سابق - ص ٣٤ ، ٣٥ .

# الجالية الإسلامية فى ألمانيا

تقع ألمانيا بين الدول الإسكندنافية فى الشمال ، ودول الألب فى الجنوب ، وتدخل بذلك ضمن دائرة المنطقة المعتدلة الباردة .

احتلتها دول الحلفاء مع نهاية الحرب العالمية الثانية ، وقسمتها إلى قسمين : ألمانيا الشرقية ، وكانت عاصمتها « برلين » وسيطر عليها الاتحاد السوفيتى ، وألمانيا الغربية ، وكانت عاصمتها « بون » وقسمت بين دول الحلفاء الأربعة .

وقد تم توحيد ألمانيا مع بداية السبعينيات وأصبحت عاصمتها برلين الموحدة ، وذلك عقب انهيار النظام الشيوعى فى العالم .

تبلغ مساحة ألمانيا الموحدة (٣٥٦٫٨٦٩ كيلو مترًا مربعًا ) ، ويبلغ عدد السكان حوالى ٨٨ مليون نسمة ، ومن أهم المدن : هامبورج ، وهى أهم الموانى ، وميونخ عاصمة الجنوب الألماني ، وكولونيا ، وشتوتجارت ، وفرانكفورت .

## منافذ الإسلام إلى ألمانيا :

عرف الإسلام طريقه إلى ألمانيا من خلال المنافذ التالية :

### ١ - الحروب الصليبية [(١)] :

كان أول اتصال الألمان بالعالم الإسلامى خلال الحروب الصليبية ، فلقد اشترك الألمان فى هذه الحروب ، وكان لهذا الاتصال أثره فنتج عنه رغبة المفكرين الألمان فى التعرف على حقيقة الإسلام ، وأدى ذلك إلى ثورة « مارتن لوثر » مؤسس البروتستانتية على الكنيسة الكاثوليكية ، فقد درس لوثر القرآن الكريم رغم التراجم المحرفة ، وتأثر « جوته » المفكر الألمانى بتعاليم الإسلام ، وكذلك « هيجل » .

---

(١) المرجع السابق - ص ٢٣٢ .

## ٢ – علاقات الدولة العثمانية بالدولة البروسية[1] :

يذهب بعض المؤرخين إلى أنه فى مطلع القرن الثامن عشر الميلادى قامت علاقات سياسية بين الدولة العثمانية والدولة البروسية – الألمانية – فى عهد السلطان محمد الثانى ، استعان من خلالها البروسيون بالفرسان المسلمين لتدريبهم على الفروسية ، حتى بلغ عددهم فى الجيش البروسى ألف فارس مع نهاية القرن الثامن عشر .. ويُذكر أنه فى ١٧٣٢م أمر القيصر الألمانى « فريدريك » ببناء مسجد فى « برلين » للجنود المسلمين فى الجيش البروسى ، وكذلك إنشاء مقبرة خاصة بهم ، وقد فضَّل كثير من الجنود العثمانيين البقاء والعيش فى بروسيا بعد انقضاء مدة خدمتهم فى جيش القيصر ، وتزوجو ألمانيات وأسسوا عائلات مسلمة ، أما القيصر الألمانى « كارل تيودور » قيصر ولاية « بادن » فقد بنى مسجداً فى مدينة « شويتشجنن » على الطراز الإسلامى وأحاطه بحديقة كبيرة .

## ٣ – هجرة العمالة عقب الحرب الثانية[2] :

مع نهاية الحرب العالمية الثانية بدأت أعداد ضخمة من مسلمى الجمهوريات السوفيتية بالنزوح إلى ألمانيا ، إما هرباً من الاضطهاد أو سعياً وراء لقمة العيش أو طلباً للعلم .. إلا أن غالبية مسلمى ألمانيا يعودون فى أصولهم إلى الهجرات العمالية الأولى من تركيا ، ثم المغرب وتونس ، وغيرهما من الدول العربية إلى جانب القادمين من الهند والباكستان ، وقد اعتمدت عليهم ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية فى تحقيق نهضتها الصناعية والاقتصادية .

وقد كان عمداء المدن الألمانية يهرَعون إلى المطارات تحيط بهم الجوقات الموسيقية لاستقبال أفواج العمال القادمين إلى مهجرهم الجديد ، سعياً وراء وضع أفضل ، ولسد العجز فى الأيدى العاملة الذى كانت تواجهه الصناعة الألمانية المتنامية .

---

(١) ، (٢) مجلة رسالة الجهاد – مايو ١٩٩٠ – ص ٩ – ١١ .

وهذا الترحيب كان جزءاً من سياسة شاملة انتهجتها الحكومات الألمانية المتعاقبة ولعبت دوراً رئيسياً فى تحقيق ما بلغته من تقدم صناعى .

ونظراً للأوضاع الاقتصادية التركية السيئة فى عهد «عدنان مندريس» من ناحية وحاجة ألمانيا للأيدى العاملة بعد الحرب لإعادة بناء الدولة من ناحية أخرى ، فقد بدأ منذ عام (١٩٥٥م) كثير من العاملين يأتون إلى ألمانيا عن طريق اتصالات خاصة .

وفى عام (١٩٦١م) سمح للعمال فقط بالهجرة إلى ألمانيا بطريقة قانونية منظمة ، فجاء العمال فقط دون أسرهم ، واستمر هذا النهج إلى أن وصل قمته عام ١٩٧٢م حينما عُقدت بين تركيا وألمانيا اتفاقية لجمع شمل هذه الأسر .. ويبلغ عدد الجالية الإسلامية فى ألمانيا حالياً قرابة الثلاثة ملايين ، معظمهم من الأتراك .

## النشاط الإسلامى فى ألمانيا

توجد فى ألمانيا سبعة مراكز إسلامية كبيرة ، وهى فى المدن التالية : أخن - ميونيخ - دو لسدورف - بون - برلين - فرانكفورت - كولونيا ، وسوف نتحدث بإيجاز عن المراكز الثلاثة الأولى :

**المركز الإسلامى فى آخن:**[1] :

كانت بدايته إنشاء مسجد «بلال» وجمعيته الخيرية من قبل الطلبة المسلمين سنة (١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧م) ، ثم جرت توسعة كبيرة عام (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م) ليتم تشييد المركز الذى تتعدد أنشطته ، حيث يقوم بتعليم المئات من أطفال المسلمين القرآن الكريم واللغة العربية والثقافة الإسلامية ، وتقام الصلوات الخمس جماعة فى أوقاتها بالمركز ، الذى يقوم بحساب المواقيت بالحاسب الآلى ، ويرسلها دورياً إلى الجمعيات والسفارات

---

(١) صحيفة العالم الإسلامى ١٣/١١/١٩٩٥م .

الإسلامية ، وتقام به أيضاً صلاة الجمعة التي يحضرها أكثر من ٥٠٠ مسلم حيث تُترجم من العربية إلى الألمانية ، وكذلك تُقام جلسات يومية لتلاوة القرآن وتفسيره ، وأسبوعية للفقه ، وندوة شهرية ، ومؤتمر سنوى بالتعاون مع اتحاد الطلبة المسلمين ، واتحاد العمال المسلمين ، كما يسهم مسرح بلال بالمركز من خلال عروضه الفنية فى تعريف الناشئة - من طريق مسرح العرائس - والكبار بتاريخهم وثقافتهم الإسلامية ، كما يقوم المركز فى إطار الدعوة باستضافة مجموعات من المدارس والجمعيات والهيئات الألمانية لتعريفهم بالإسلام ، كما يقوم المركز بالإشراف على المقبرة الإسلامية وتجهيز الموتى .

**المركز الإسلامى فى ميونيخ[1] :**

تم افتتاحه عام (١٩٧٣م ) على مساحة ٣٠٠٠ متر ، ويتكون من ثلاثة طوابق تشمل قاعة المحاضرات والمكتبة والإدارة إلى جانب المسجد الذى يشغل طابقاً كاملاً ، تعلوه شرفة مخصصة للنساء ، ويقوم المركز بمعظم الأنشطة التى ذكرناها فى الفقرة السابقة ، ويصدر مجلة « الإسلام » باللغة الألمانية ، وكان يوجد أمام المسجد منزل كان عبارة عن ماخور دعارة استطاعت إدارة المركز بفضل الله تعالى شراءه ليتحول من مكان يُعصى فيه الخالق إلى مكان يطاع فيه ، فتم تحويله إلى مكتبة كبيرة ، ومطعم إسلامى ، وملاعب رياضية لكل الأعمار .

ويعد المركز أول ثمرة لجهد الجماعة الإسلامية فى جنوب ألمانيا ، التى أسسها الطلبة المسلمون عام (١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م) .

* * *

(١) مجلة منار الإسلام - ربيع الأول ١٤٠١هـ - ديسمبر ١٩٨٣ - ص ٤٤ .

## المركز الإسلامى فى دوسلدورف[1] :

تعد مدينة « دوسلدورف » عاصمة إقليم شمال الراين من أكبر المدن الألمانية ، ومركزاً صناعياً هاماً ، يقطنها نحو ٥٠ ألف مسلم كانوا فى حاجة إلى تلبية احتياجاتهم الدينية والثقافية والاجتماعية ، فتم بعون الله تعالى إنشاء المركز عام (١٩٨٢م) ، ومنذ تلك اللحظة وهو مركز إشعاع ، ومكان التقاء ، ومقعد دراسة ، ومسجد للشعائر .. وكللت جهود التطوير بالحصول على مركز ثابت وسط المدينة وعلى بعد خطوات من محطة السكة الحديد فى أبريل (١٩٨٢ م) .

وقد تمكن المركز من إصدار عدة كتب لتعليم الأطفال باللغتين العربية والألمانية ، وسلسلة للتعريف بالإسلام وتعاليمه للمهتدين الجدد ، وحرصاً منه على مستقبل الأجيال أسس المركز فصولاً دراسية لتعليم اللغة العربية ومبادئ الإسلام للصغار والكبار ، وكذلك جمع الزكاة وصرفها فى مصارفها الشرعية .

## التعليم الإسلامى :

تتنوع أنشطة التعليم الإسلامى للجالية الإسلامية فى ألمانيا وأبنائها ، فعلاوة على نشاط المركز الإسلامى ، توجد أنشطة أخرى :

## المركز الدولى للعلوم الإسلامية :

يعد منارة علمية تنأى بالجالية الإسلامية عن خطر الذوبان ، والحفاظ على هويتها الإسلامية ، وقد بدأ المركز نشاطه بعد حصوله على اعتراف الحكومة الألمانية عام (١٩٨٩م) وهو بمثابة كلية للشريعة تهدف إلى نشر العلوم والثقافة الإسلامية بين المسلمين ، وتعليمهم اللغة العربية ، وإنشاء مجلس للفتوى ، ويسعى المركز إلى ربط جسور التعاون العلمى والثقافى مع

---

(١) مجلة الوعى الإسلامى - صفر ١٤١٦ - يوليو ١٩٩٥ - ص ٦٨ - ٦٩ .

المؤسسات الإسلامية والاستعانة بالمفكرين والعلماء والباحثين الإسلاميين من خلال الندوات والمحاضرات ، ويقوم المركز بتنظيم دورات علمية تُدرس بها مناهج محددة لإعداد معلمين ودعاة أكفاء [1] .

**المدرسة الإسلامية الألمانية :**

أقيمت فى ١٣ من ذى الحجة ( ١٤٠١هـ ) ، وتعتبر أول هيئة تعليمية إسلامية ترعى أبناء المسلمين فى ألمانيا ، وقد أنشئت على مساحة ٥٠٠٠ متر ، وهى تشتمل على جناحين ، الأول : وفيه صالة كبرى للمحاضرات المدرسية والنشاط الاجتماعى ، ومطعم ، وروضة للأطفال ، وفصول المدرسة ، والثانى فيه الإدارة والمكتبة ، وتقوم المدرسة بتدريس المنهجين العربى والألمانى ، للاعتراف بشهادتها فى ألمانيا والدول العربية ، وتنقلب المدرسة فى الفترة المسائية إلى خلية نحل حيث يلتحق الألمان والأتراك لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، ويُذكر أن المدرسة تتبع الجماعة الإسلامية لجنوب ألمانيا [2] .

وارتباطاً بذلك فقد اعترفت الحكومة الألمانية بروضة الأطفال الملحقة بالمدرسة بحيث تتحمل الحكومة بموجب الاعتراف ٨٠٪ من أجور العاملين بها [3] .

ويُذكر أن ولاية « نورد راين ويستفالن » قد قررت منذ عام (١٩٩٥م) إدخال الدين الإسلامى فى المناهج التعليمية الابتدائية والمتوسطة والإعدادية اعترافاً منها بالإسلام وعدد الطلاب المسلمين فى مدارس الولاية يقدر بـ ١٠٠ ألف طالب ١٢٪ من إجمالى الطلاب [4] .

---

(١) صحيفة الرأى العام ١٩٩٥/٥/٤ .

(٢) مجلة منار الإسلام - ربيع الأول ١٤٠٤ - ديسمبر ١٩٨٣ ص ٥٣ + مجلة الأمة - شوال ١٤٠٣ - يوليو ١٩٨٣ ص ٨٤ .

(٣) صحيفة المسلمون ١٩٩٦/١/١٢ .

(٤) صحيفة الشعب ١٩٩٥/٩/٥ .

## أكاديمية الملك فهد فى بون :

افتُتحت فى ١٥ من سبتمبر (١٩٩٥م) ، وتضم مدرسة من المرحلة الابتدائية وحتى الثانوية ، وتستوعب ٦٠٠ تلميذ وطالب ، وجامعاً يتسع لـ ٧٠٠ شخص ، وقاعات محاضرات كبيرة ومكتبة وملعباً ، ويقع مجمع الأكاديمية الذى صمم على أساس العمارة الإسلامية الممزوجة بالعمارة الحديثة على طريق رئيسية وسط « بون » وتكلف ٢٠ مليون دولار على نفقة الملك فهد ابن عبد العزيز الذى سبق أن أنشأ أكاديميتين فى واشنطن ولندن [١] .

## اعتناق الإسلام :

أول اسم توثق المصادر التاريخية اعتناقه للإسلام هو « جوستاف أدولف فون فريدى » عام (١٨٣٥م) ، والذى ظهر فيما بعد فى خدمة الجيش العثمانى فى استنبول ، ثم برز اسم الألمانى المتخصص فى الدراسات الأفريقية ( د/ إدوارد سنبسر) الذن اعتنق الإسلام عام (١٨٧٥م) وأصبح اسمه « محمد أمين باشا» حاكم المقاطعة الاستوائية المصرية عام (١٨٧٨م) [٢] .

وقد تتابع اعتناق الألمان للإسلام رجالاً ونساءاً ، فخلال عام (١٩٩٤م) اعتنقت ١٠ آلاف ألمانية الإسلام وفقاً لتقديرات مجلة « دير شبيجل » التى قالت : إن الإسلام منهاج حياة متكامل ، ونشرت آراء بعض السيدات المسلمات اللاتى اعتنقن الإسلام ، فقالت إحداهن : لأول مرة فى حياتى أشعر أننى إنسانة ، وقالت فنانة معتنقة للإسلام : إن الإسلام هو الدين الذى يعترف بطبيعة المرأة ويضمن لها شرفها واحترامها وحقوقها ، وفى أبريل (١٩٩٥م) أشهرت إسلامها « كريستيانى باكر » ٢٨ سنة من أشهر مذيعات ألمانيا ، ومن الألمان المشهورين الذين اعتنقوا الإسلام « مراد هوفمان » سفير ألمانيا فى المغرب الذى أصدر كتابه الذى أحدث دوياً فى أوروبا « الإسلام كبديل » ، ومنهم

---

(١) صحيفة الحياة اللندنية ١٩٩٥/٩/١٦ .

(٢) مجلة رسالة الجهاد - مايو ١٩٩٠ - ص ١٠ .

« كريستيان هوفمان » المتحدث الرسمى باسم الحزب المسيحى الديمقراطى الحاكم حتى وقت قريب ، وهو غير مراد هوفمان ، ويذكر أنه تلقى خطابات تهديد من مجهولين ، ولكنه كما يقول : لكل أجل كتاب[1] .

## المستشرقة .. آنامارى شميل :

وسط احتفال مهيب حضره رئيس جمهورية ألمانيا « رومان هرتزوج » وعدد من الوزراء وأبرز الوجوه الثقافية بألمانيا تسلمت الكاتبة الألمانية عاشقة الإسلام جائزة « السلام » ، وهى أهم جائزة أدبية فى ألمانيا ، وتمنحها مؤسسة الناشرين الألمان ، و« شميل » تجيد بالإضافة إلى الألمانية اللغات العربية والتركية والفارسية ، فضلاً عن الأردية والسندية والبنجالية والعبرية ، وكتبت بالإنجليزية وأحاطت بالفرنسية والإيطالية والإسبانية ، ودرَّست الحضارة الإسلامية فى جامعة « هارفارد » ومن كتبها : « ترجمات الشعر التركى وشعر محمد إقبال ، وكتاب عن المرأة فى الإسلام ، ومؤلفات عن : الإنسانية فى الإسلام ، عالم الإسلام ، مواعظ فى الإسلام[2] .

## ترجمات معانى القرآن بالألمانية :

ظهرت أول ترجمة فى القرن السابع عشر وهى ترجمة « هيابل » وترجمة « سكويجر » وطبعت فى « نورنبرج » (١٦١٦م) ، وترجمة « هينكلمان » (١٦٩٤م) ، ثم توالت طبعات قديمة نقلاً عن الإنجليزية ، وفى العصر الحديث ، وفى سنة (١٩٥٣م) صدرت ترجمة « أولمان » ، ثم ترجمة « رودى بارت » (١٩٦٦م) ، وترجمة للمستشرق « ماكس هيننج » فقد صدرت ٢٤ ترجمة لمعانى القرآن الكريم حتى الآن ، إلا أنها جميعها لم تسلم من الأخطاء[3] .

---

(١) صحيفة الشعب ١٩٩٥/٩/٥ .
(٢) فهمى هويدى - الأهرام ١٩٩٥/١٠/٢٤ ، ١٩٩٥/١٠/٨ .
(٣) سيد بكر - مرجع سابق - ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

**ترجمة دار بافاريا الإسلامية :**

فى أوائل الثمانينيات من هذا القرن وصل إلى ألمانيا الداعية الإسلامى عبد الحليم خفاجة - مؤسس دار بافاريا للنشر والإعلام فى مدينة ميونيخ بألمانيا ، فصارت أول دار نشر عربية إسلامية هناك ، وأدركت الدار خطورة عدم توافر ترجمة ألمانية صحيحة لمعانى القرآن ، مما يفتح المجال واسعاً أمام طعنات الحاقدين ، فأنشأت مشروعاً عملاقاً لترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية ، ووضع القائمون على الدار نصب أعينهم منذ البداية القيام بدور فعال لتصحيح الترجمات السابقة ،وبعد سنوات من العمل المضنى ، نجحت مؤسسة بافاريا فى إخراج ترجمة وافية وصحيحة لمعانى القرآن الكريم .

وتعتبر هذه الترجمة هى أول ترجمة أمينة لمعانى القرآن الكريم تجمع ثلاثة أشياء فى كتاب واحد : النص العربى وترجمته وتفسيره .. كل ذلك بدقة وإتقان بطريقة تريح القارئ بحيث يقرأ الآيات القرآنية فى الجزء الأيمن من النصف الأعلى للصفحة ، وتقابلها فى الجزء الأيسر ترجمة معانيه بالألمانية ، أما النصف الأسفل من الصفحة فيجد فيه القارئ تفسير الآيات القرآنية كما وردت فى أهم كتب التفسير الإسلامية ، وهذا الأسلوب أفضل بكثير من الأسلوب الذى اتبعه « بارت » حيث جعل الترجمة فى مجلد ، ونشر مجلداً ثانياً يحتوى على بعض الشروح المقتضبة[1] .

* * *

---

(١) صحيفة الحياة اللندنية ١٩٩٥/١٢/٢٤ ، بقلم ثابت عيد .

## الجالية الإسلامية فى سويسرا

سويسرا بلاد مغلقة بجبال الألب ، تقع وسط أوروبا ، وهى عبارة عن اتحاد كونفيدرالى من ٢٢ مقاطعة ، تحيط بها ألمانيا شمالاً ، والنمسا شرقاً ، وإيطاليا جنوباً ، وفرنسا غرباً ، مساحتها (٤١ر٢٩٣ كيلو مترًا مربعًا) ، وسكانها فى (١٩٨٢م) ٦ر٥٧٣,٠٦٩ نسمة ، وعاصمتها « برن » ، ولغاتها الرسمية : الفرنسية والألمانية والإيطالية ، وتتمتع بالحياد وقد جنبها ذلك مشاكل الحروب ، لذلك كانت مقراً للعديد من المنظمات الدولية ، أهم مدنها : بازل ، زيوريخ ، جنيف .

**منافذ الإسلام إلى سويسرا :**

عرفت الإسلام مبكراً ، فقد أسس بعض البحارة المسلمين الأندلسيين دولة جنوب فرنسا ، وسنة (٣٢١هـ - ٩٣٩م) وصلوا إلى بلدة سان غال فى سويسرا ، وبنوا أبراجاً فى أماكن متعددة من جبال الألب ، وبعد سقوط الأندلس هاجر بعض المسلمين فراراً من الاضطهاد الدينى إلى أودية جنوب سويسرا ، وفى العصر الحديث وصلت هجرات إسلامية بعد الحرب العالمية الثانية ، ونتيجة لجهود بعض الدعاة اعتنق عدد من السويسريين الإسلام ، ومنهم الشاعر : « فريشيوف شون » ، وقد أسلم على يديه بعض السويسريين ، وأخذ عدد المسلمين يتزايد نتيجة الهجرة إليها ، أو الاستيطان بها ، وكان عدد المسلمين بسويسرا سنة (١٣٧١هـ - ١٩٥١م) يُقدر بألفين ، وتضاعف عدة مرات خلال ٢٠ عاماً ، ففى سنة (١٣٩١هـ - ١٩٧١م) زاد على ٣٠ ألفاً ، ثم بلغ مؤخراً أكثر من ٧٥ ألف مسلم ، منهم ٣٠ ألف تركى ، ١٠ آلاف سويسرى ، ويوجد المسلمون فى معظم المدن السويسرية الكبرى ، جنيف ، زيوريخ ، لوزان ، بازل ، غير أن أكبر عدد فى جنيف ، ويتكون كثير من المسلمين من جماعات مقيمة مؤقتاً كالطلاب والعمال

وأعضاء السلك الدبلوماسى والأعضاء المسلمين فى المنظمات الدولية [1] .

**النشاط الإسلامى فى سويسرا :**

فى مدينة « جنيف » أسس الأستاذ سعيد رمضان أول مركز إسلامى هناك بعد رحيله من مصر ، واستأنف من خلاله إصدار مجلة « المسلمون » لفترة بالعربية والفرنسية ، ثم انحسر نشاط المركز نظراً لأسباب مادية أساساً ، وقد توفى مؤسس المركز في العام (١٩٩٥م) ، وفى إطار الدعوة لابد من الإشارة إلى الجهود الذاتية للمهندس محمد توفيق أحمد منذ أكثر من ٦٠عاماً بعد سفره لدراسة الهندسة فى سويسرا ، حيث أصدر من مدينة « بادن » مجلة « البريد الإسلامى » عن دار تبليغ الإسلام ، بالإضافة إلى رسائل وكتيبات بعنوان « الإسلام دين الجميع » .. وكانت المجلة والكتيبات بمختلف اللغات توزع بالمجان ، وفي جمادى الآخرة (١٣٩٥هـ) وضع الملك فيصل - رحمه الله - الحجر الأساسى لـ « المؤسسة الثقافية الإسلامية » بجنيف بالقرب من المقر الأوروبى للأمم المتحدة ، وتتكون من مسجد فسيح يتسع لخمسمائة مصل ، وطابق يتسع لمائة مصلية ، ومدرسة من سبعة فصول لتعليم أبناء المسلمين القرآن الكريم ، واللغة العربية ، ومكتبة ومختبر للغات ، وردهة فسيحة تتوسط مبنى الإدارة ، والمتحف ، وقاعات للاجتماعات والمحاضرات ، وفى الوسط نافورة تتميز مع سائر المبنى بالطابع المعمارى الإسلامى - فى المغرب العربى - وقد أوقفت عمارة سكنية للإنفاق على المؤسسة ، التى تحصل على نصف ساعة يومياً من الساعة ٨ - ٣٠ر٨ مساءً فى إذاعة جنيف على موجة .F.M ، وتنقل خطبة الجمعة على هذه الموجة [2] .

**انشطة إسلامية أخرى :**

كان قد انعقد فى عام ١٩٩٥ فى مدينة « دافوس » السويسرية مؤتمر « نحو الوحدة الإسلامية فى أوروبا » برئاسة الدكتور أحمد عبد الرحيم

---

(١) ، (٢) سيد بكر - مرجع سابق - ص ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ .

صان رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية فى « النمسا » ، وقد ركز البيان الختامى للموتمر على ضرورة متابعة التوصيات التى اتخذت فى المؤتمرين السابقين اللذين عقدا فى « سويسرا » فى عامى (١٩٩٣) ، (١٩٩٤م) [1] .

وقد تم تنظيم أول عرض من نوعه فى أوروبا لأزياء المحجبات فى مدينة « نيوشاتل » بسويسرا نظمته الجمعية الثقافية للنساء المسلمات ؛ لتعريف الأوروبيات بالزى الإسلامى الذى يحفظ كرامة المرأة - والذى ثارت بسببه ضجة فى بعض دول أوروبا - وكان العرض نشاطاً أنثوياً بحتاً إعداداً وإخراجاً [2] .

ومن المنظمات الإسلامية الأخرى : المعهد الإسلامى فى جنيف ، والآخر فى زيوريخ ، ومعهد الطلاب المسلمين فى ليون سيديكس ، والجمعية الإسلامية للناطقين بالألمانية فى زيوريخ .

* * *

---

(١) صحيفة الأهرام بتاريخ ١٩٩٦/٢/٢٠ .
(٢) صحيفة المسلمون بتاريخ ١٩٩٥/١٠/١٣ .

## الجالية الإسلامية فى النمسا

هى ما تبقت من امبراطورية النمسا السابقة ، وتقدر مساحتها بحوالى (٨٣٫٨٥٥ كيلو مترًا مربعًا ) وسكانها (٧٫٥٥٥٫٧٣٣) نسمة ، والعاصمة « فيينا » ، وأهم مدنها : جراتز ولينز وسالزبورج ، وتنقسم إلى تسع مقاطعات ، ولغتها الرسمية الألمانية ، واحتلتها ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية ، ثم احتلها الحلفاء بعد هزيمة ألمانيا ، وتكونت النمسا المستقلة سنة (١٩٥٥م) ، وتحدها ألمانيا ، وتشيكوسلوفاكيا من الشمال ، وصربيا وإيطاليا من الجنوب ، وسويسرا من الغرب ، والمجر من الشرق [١] .

### منافذ الإسلام إلى النمسا :

كان أول وصول للإسلام إلى وسط أوروبا أثناء التقدم التركى العثمانى نحو فيينا ، حيث كان أول حصار تركى لها فى سنة (٩٣٦هـ - ١٥٤٩م) وجاء الحصار الثانى سنة (١٠٩٥هـ - ١٦٨٣م ) ، ولم يتقدم الأتراك أكثر من ذلك ، ولكن عندما توسعت النمسا دخلت فى حوزتها مناطق إسلامية كالبوسنة والهرسك .. ولكن أهم وصول للإسلام إلى النمسا كان عقب الحرب العالمية الأولى ، حيث هاجر إليها بعض المسلمين من أوروبا الشرقية ، ثم زادت الهجرة بعد الحرب الثانية ، فوصلت إليها هجرات إسلامية من يوغوسلافيا ، والعديد من العمال الأتراك ، وكان عدد المسلمين فى النمسا سنة (١٣٧١هـ - ١٩٥١م) نحو ٣٠٠٠ ، وصل بعد ٢٠ عاماً إلى ٣٥ ألفاً أى تضاعف أكثر من عشر مرات ، وقد وصل فى الآونة الأخيرة إلى أكثر من مائة ألف مسلم ، وحوالى نصف هذا العدد من أصل يوغسلافى ، وهناك مسلمون أتراك ومن أصل نمساوى ، وكذلك من الألبان .. وإلى جانب هؤلاء أقلية عربية [٢] .

---

(١) ، (٢) سيد بكر - مرجع سابق - ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ مع تعديل فى الإحصائيات .

**النشاط الإسلامي في النمسا :**

تعترف النمسا في دستورها بالإسلام ، وتسمح بتدريسه في مدارسها لأبناء المسلمين ، وافتتح المركز الإسلامي بـ « فيينا » سنة (١٤٠٠هـ) ويقوم بالعديد من الأنشطة لخدمة أبناء الجالية حيث يضم مسجداً ضخماً ، ومدرسة إسلامية ، وجمعية لتحفيظ القرآن ، وكان أول مدير للمركز هو الدكتور عبد الله عبد الشكور من مصر .. هذا ويوجد بالنمسا بعض الجمعيات الإسلامية مثل : جمعية الثقافة الإسلامية ، جمعية مسلمي النمسا جمعية الخدمات الإسلامية الاجتماعية ، اتحاد الطلبة المسلمين [١] .

* * *

---

(١) مجلة الأمة القطرية عدد ٦١ محرم ١٤٠٦ - سبتمبر ١٩٨٥ ص ٤٠ - ٤٥ .

## الجالية الإسلامية فى أسبانيا[1]

تشغل أسبانيا أربعة أخماس شبه جزيرة أيبريا ، وتفصلها جبال البرانس عن فرنسا من الشمال الشرقى ، ويحدها المحيط الأطلنطى والبرتغال غرباً ، وخليج بسكاى شمالاً ، والبحر المتوسط جنوباً وشرقاً ، وفى جنوبها يلتقى اليابس الأوروبى بالأفريقى شمالاً فى جبال طارق .

وتبلغ مساحة أسبانيا ٥٠٤ر٨٧٢ كيلو مترًا مربعًا ، وسكانها (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) حوالى ٣٨ مليون نسمة ، والعاصمة « مدريد » - كانت تسمى عربياً « مجريط » - وأهم المدن : برشلونة ، أشبيلية ، بلنسية ، قرطبة ، سرقسطة ، غرناطة ، مرسية .. واضح أن معظم الأسماء عربية ، ويضم القاموس الأسبانى حوالى ٦٠٠٠ كلمة عربية .. حيث حكم المسلمون أسبانيا ثمانية قرون .

### منافذ الإسلام إلى أسبانيا :

عرفت الإسلام مبكراً ، عندما فتح المسلمون شبة جزيرة أيبريا سنة ٩٣هـ - ٧١١م بقيادة طارق بن زياد ، وإمدادات موسى بن نصير ، وانتشر الإسلام بين الأهالى فى أرجاء شبه الجزيرة بفضل التسامح الدينى للمسلمين ، وبهذا الفتح تحول الأندلس أو المغرب الثانى كما كان يسمى إلى مشعل من ألمع مشاعل الحضارة الوسيطة ، وكانت الأندلس قبلة الحضارة فى أوروبا .

وبدأ تقهقر المسلمين واختزال المساحة التى يسيطرون عليها فى أسبانيا (١٢٣هـ - ٧٤٠م ) ، وزاد التقهقر فى عهد ملوك الطوائف ، وظلت هذه المساحة تتقلص حتى غربت شمس الأندلس - ولم تغرب شمس الإسلام

---

(١) سيد بكر - مرجع سابق - ص ١١٧ - ١٢٥ بتصرف .

وتكونت فى شهر مارس ١٩٨٩م « جمعية الطلبة المسلمين » ، وتتألف أساساً من الطلبة المسلمين الذين يدرسون العلوم الإسلامية فى مدرسة خسرويك الإسلامية فى « البوسنة والهرسك » قبل أن يجتاحها الصرب الكلاب – نسأل الله أن يتم نصر إخواننا فى البوسنة – حيث ينعدم التعليم الإسلامى فى بولندا إلا من خلال الجهود الذاتية فى المنازل والمساجد القليلة ، وكان للمسلمين مجلة فى وارسو سنة (١٩٧٣م) سميت « بالمجلة الإسلامية » ، ويمكن مشاهدة آثار إسلامية فى المتاحف البولندية حيث تثير الفخر والاحترام ، وقد اعتنق بعض البولنديين الإسلام مؤخراً .. ويشكو المسلمون فيما يتعلق بالنشاط الإسلامى من قلة الإمكانيات المادية .

* * *

## الجالية الإسلامية فى المجر[1]

ظهرت كدولة بعد الحرب العالمية الأولى ، فى أعقاب هزيمة النمسا التى سيطرت عليها فترة طويلة ، وهى دولة لا سواحل لها ، ومخرجها عن طريق نهر الدانوب ، تبلغ مساحتها (٩٣٫٠٣٦ كيلو.مترًا مربعًا ) ، وسكانها فى (١٩٨٢م) ١٠٫٧١١٫٠٠٠ نسمة ، والعاصمة « بودابست » ، وأهم مدنها : دبرتشن ، بشن ، سزجد .. يحد المجر تشيكوسلوفاكيا شمالاً وصربيا جنوباً ، ورومانيا شرقاً ، والنمسا غرباً ، وروسيا من الشمال الشرقى .

### منافذ الإسلام إلى المجر :

وصلها الإسلام مبكراً ، عندما هاجرت إلى المجر بعض القبائل البلغارية المسلمة آواخر القرن الرابع الهجرى ، وقد أشار « ياقوت الحموى » إلى حديث دار بينه وبين أحد هؤلاء البلغار سكان المجر ، قال فيه : إنه من بلاد « الهنكر » وهو الاسم الحالى للمجر ، حيث تُعرف بـ « هنجاريا » ، وذكر أن فى بلادهم ٣٠ قرية مسلمة .

وعندما فتح العثمانيون المجر سنة (٩٤٩هـ - ١٥٨٦م) أقبل بعض السكان على الإسلام ، وزاد عدد المسلمين بالمجر ، واستقرت جماعات تركية بالبلاد ، وبقيت بها بعد خروج الأتراك من المجر سنة (١٠٩٨هـ - ١٦٨٧م) ، وكان فى بودابست فى عهد الحُكم العثمانى ٦١ مسجداً ، و٢٢ مصلى ، و١٠ مدارس إسلامية ، منها مدرسة « مصطفى سكولى باشا » وعدد من المكتبات ، وكانت بودابست ذات طابع إسلامى .

---

(١) المرجع السابق - ص ١٨٣ - ١٩٦ بتصرف .

وعندما خرج الأتراك من المجر ، تعرض المسلمون والمنشآت الإسلامية إلى التعصب الدينى فأرغموا على الهجرة أو اعتناق المسيحية ، وحطم المتعصبون الآثار الإسلامية ، ولم ينج من تخريبهم سوى القليل من الآثار الإسلامية ، فهناك مسجد واحد فى بودابست وحمام وضريح الشيخ « بابا » ، وفى مدينة « بيش » جنوب المجر يوجد مسجد أثرى ، وهناك آثار إسلامية فى مدينة « كنتسة » ، وقرية « حمزة بك » .. وكان عدد المسلمين عقب الحرب العالمية الثانية ثلاثة آلاف مسلم ، وقد تضاعف عددهم مؤخراً ليصل إلى ستة آلاف مسلم .

* * *

## الجالية الإسلامية فى تشيكو سلوفاكيا[1]

هى دولة اتحادية تتكون من جمهوريتين ، جمهورية تشيكية ، وعاصمتها « براغ » ، وتتكون من سبع مقاطعات ، وجمهورية سلوفاكيا وعاصمتها « براتسلافا » وتتكون من ثلاث مقاطعات ، ولكل جمهورية لغتها الخاصة ، وقد حاربها العثمانيون ، وخضعت لنفوذهم سلوفاكيا ، أما تشيكيا فكانت تحت سيطرة النمسا ، ولم يستمر الحكم العثمانى طويلاً ، فسيطرت النمسا على القسمين معاً .. وبعد الحرب العالمية الأولى تكونت دولة تشيكوسلوفاكيا (١٣٣٧ هـ - ١٩١٨م) على إثر هزيمة النمسا .

ويُذكر أنه مع انهيار النظام الشيوعى فى العالم تم حل دولة تشيكوسلوفاكيا إلى جمهوريتين كما كانتا من قبل .

وتحدها بولندا شمالاً ، وألمانيا غرباً ، والمجر والنمسا جنوباً ، وروسيا شرقاً ، تبلغ مساحتها ١٢٧٫٨٨٩ كيلو مترًا مربعًا ، وسكانها سنة (١٤٠٤هـ - ١٩٨٢م) حوالى ١٥٫٣٩٦٫٥٨٣ نسمة .

### منافذ الإسلام إلى تشيكوسلوفاكيا :

كانت الفترة التى حكم العثمانيون فيها تشيكوسلوفاكيا كافية لنشر الإسلام بين بعض السكان ، كما هاجر إليها بعض المسلمين الأتراك ، ولقد بقى من آثار هذه الفترة بعض الآثار الإسلامية ، ومنها : مسجد فى بلدة « لدنيج » قرب مدينة « بركلان » فى ولاية « برنو » قرب الحدود مع النمسا ، وقد توقفت الصلاة بهذا المسجد بسبب قدمه .

---

(١) سالمرجع السابق - ص ١٨٣ - ١٩٦ بتصرف .

والمسلمون الآن عددهم قليل ، حوالى ثلاثة آلاف ، وأكثرهم من الطلاب الذين يدرسون هناك من أبناء العالم الإسلامى ، وقد تأسست هناك مدرسة لأبناء المسلمين .

أما من حيث المؤسسات الإسلامية فلا وجود لها نظراً لقلة عدد المسلمين من ناحية ، ولكون البلد كانت تحكمها الشيوعية من ناحية أخرى .

* * *

# الفصل الثالث

## الجالية الإسلامية فى جنوب أوروبا

اسبانيا

إيطاليا

اليونان

البرتغال

## الجالية الإسلامية فى بولندا[1]

يحد بولندا بحر البلطيق شمالاً ، وتشيكوسلوفاكيا جنوباً ، وروسيا شرقاً ، وألمانيا غرباً ، مساحتها (٣١٢ر٦٨٣ كيلو مترًا مربعًا ) ، وسكانها سنة (١٩٨٢م) ٣٦ر٢٢٨ر٠٠٠ نسمة ، عاصمتها «وارسو» أهم مدنها : كراكاو ، بوزنا ، ولها ميناءان على بحر البلطيق : شتيتن ، جدانسك ، وتنقسم البلاد إدراياً إلى سبعة عشر قسماً .

### منافذ الإسلام إلى بولندا :

بدأ أول اتصال بالمسلمين عندما استعان البولنديون بالتتار المسلمين لصد هجمات الألمان ، وهكذا تكونت أول جالية إسلامية فى بولندا ، وفى القرن التاسع الهجرى - الخامس عشر الميلادى كانت حدود بولندا تشترك مع دولتين إسلاميتين هما : تتار القرم ، وعاصمتها «بفش سراى» ويسميها الروس الآن «سفربول» ، والدولة العثمانية التى شابت علاقاتها مع بولندا حروب متعددة ، ورغم هذا كانت الجالية المسلمة تتمتع بالحرية وظلت أعداد المسلمين فى بولندا تتزايد وتتناقص تبعاً لتزايد مساحتها أو تناقصها نتيجة الحروب والتحالفات الدولية ، ويتراوح عددهم الآن بين ١٧ - ٢٠ ألفاً ، يتركزون فى مدن : بياوستوك ، جدانسك ، بوخونيكى ، كروزشانى .

### النشاط الإسلامى فى بولندا :

تنتظم المسلمين الجمعية الإسلامية البولندية ، وتوجد عدة مساجد فى المدن المذكورة سابقاً ، كما يوجد المركز الإسلامى فى «وارسو» ، وكان عبارة عن فيلا سكنية تم تهيئتها لتكون مسجداً تحيطه حديقة من ٣٠٠ متر ،

---

(١) سيد بكر - مرجع سابق ص ٢١٧ - ٢٢٣ + مجلة الوعى الإسلامى - العدد ٣٤٣ + منار الإسلام ٩٢/١١ .

عن الأندلس - بسقوط غرناطة سنة (٨٩٨هـ - ١٤٩٢م) بعد تعهد فرديناند وإيزابيلا ملكا أسبانيا باحترام الدين الإسلامي ، ولكن بعد استقرار الأمور لهم نقضوا المعاهدة ، ونصبوا محاكم التفتيش للمسلمين ، والتى أنشأها الراهب الحاقد توماس توركيمادا ، وأدارها بالنار والحديد ، فهاجرت أعداد كبيرة من المسلمين إلى بلاد المغرب حفاظاً على عقيدتهم ، وقام الأسبان بطرد ملايين المسلمين «الموريسكيين» وهو الاسم الذى كان يُطلق على من بقى واحتفظ بإسلامه سراً .

ويقدر عدد المسلمين فى أسبانيا حالياً بأكثر من مائة ألف من المقيمين الأجانب ومن الأسبان ، وعمال مؤقتين من المغرب ، ومن الطلاب .

## النشاط الإسلامى فى اسبانيا :

كون الطلاب المسلمون اتحاداً عاماً فى غرناطة باسم «الجمعية الإسلامية فى أسبانيا» وله فروع فى مدن أخرى ، ومهمة الاتحاد تعليم أبناء المسلمين أمور دينهم ، وهناك الاتحاد الإسلامى ، وله فروع فى بعض المدن ، وهناك المركز الإسلامى فى مدريد ، والمركز الإسلامى فى غرناطة ، وهناك محاولات لاسترجاع المسجد الجامع فى قرطبة ، ولا وجود للمدارس الإسلامية ، إلا من بضعة فصول ملحقة بأماكن الصلاة إلا أن هناك معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، وأسس سنة (١٩٥٤م) ويهتم بالآثار الإسلامية ، وقد أصدرت الحكومة الأسبانية قانون حرية الأديان بها سنة (١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م) .

وقد ذكرت صحيفة الوفد بتاريخ ١٩٨٩/١٢/١م أنه فى منتصف شهر يوليو من نفس العام قد اعترفت الحكومة الأسبانية بالدين الإسلامى .

## سبتة ومليلية[١] :

مدينتان مغربيتان تاريخياً وجغرافياً ، ولكن موقعهما المتميز جعلهما

---

(١) صحيفة المسلمون - عدد ٥٤٢ - الجمعة ٢١ شعبان ١٤١٦هـ - ١٢ يناير ١٩٩٦م .

هدفاً للاستعمار البرتغالى ثم الأسبانى الذى لا يزال حتى الآن .

وفى مدينة « سبتة » يبلغ عدد المسلمين ٣٠ ألفاً ، والأسبان ٤١ ألفاً نصفهم من الجيش ، و٤ آلاف يهودى .. أما مدينة « مليلية » فالمسلمون ٢٣ ألفا ، والأسبان ٦٠ ألفاً نصفهم من الجيش .

وقد أمكن الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية للمدينتين رغم الاحتلال ، حيث عقدت اتفاقية بين المغرب وأسبانيا سنة (١٩٩٢م) تسمح بحرية المسلمين فى المدينتين فى ممارسة أنشطة دينهم ، وقد تعددت الجمعيات والجماعات الإسلامية فيهما ، وتساعد المغرب مواطنيها فى المدينتين المحتلتين بالأئمة والوعاظ وقراء القرآن ومعلميه على نفقتها .

ويوجد فى « سبتة » ١٣ مسجداً ، ٦ زوايا تنشط فى ترسيخ الهوية الإسلامية للمغاربة ، وقد نجح فى آخر انتخابات بـ « مليلية » أربعة مغاربة بالمجلس البلدى ، كما ترشح فى الانتخابات البلدية لمدينة « سبتة » وفاز فيها « مصطفى مزيان » رئيس الحزب الديمقراطى الاجتماعى ، الذى أسسه سنة (١٩٩٥م) .

* * *

## الجالية الإسلامية فى إيطاليا

من دول البحر المتوسط ، تحدها سويسرا شمالاً ، والنمسا من الشمال الشرقى ، وفرنسا من الشمال الغربى ، وبحر الأدرياتيك شرقاً ، والبحر التيرانى غرباً ، والبحر المتوسط جنوباً .. تبلغ مساحتها (٣٠١ر٢٦٣ كيلومترًا مربعًا ) وسكانها سنة (١٩٨١م) ٥٦ر٢٤٣ر٩٣٥ نسمة ، وعاصمتها روما ، وأهم مدنها : ميلانو ، نابولى ، تورينو ، جنوا ، باليرمو ، وتضم إيطاليا دولة الفاتيكان عاصمة المذهب الكاثوليكى [1] .

### منافذ الإسلام إلى إيطاليا :

وصل الإسلام إلى ثلاث مناطق تتبع إيطاليا حالياً ، الأولى : جزيرة صقلية ، حيث وصلها الإسلام حين فتحها أسد بن الفرات سنة (٢١٢هـ - ٨٢٧م ) ، والثانية : سردينيا التى فتحها المسلمون سنة (١٩٤هـ - ٨٠٩م ) والثالثة : منطقة جنوب شبه جزيرة إيطاليا ، حيث فتح المسلمون مدن : برنديزى - نابولى - كابوه - تورنتو - و... وروما أيضاً ، وأجبر البابا على دفع الجزية ، وذلك فى الفترة من (٨٣٦ - ٨٤٦م) [2] .

أما عن الوجود الإسلامى فى العصر الحديث ، فقد بدأ عبر الطلبة العرب والمسلمين فى الأربعينيات من القرن الحالى ، ثم تزايد عبر تواجد عمالى بسيط فى الستينيات ، خاصة من بلدان المغرب ، ومن المعروف أن إيطاليا كانت قد استعمرت ليبيا ، وكذلك مناطق فى ألبانيا والصومال ، وارتفع عدد الطلبة المسلمين فى السبعينيات ، ثم بدأ تدفق أكبر للعمال المسلمين منذ مطلع الثمانينيات ليصبح عدد المسلمين فى إيطاليا يفوق ٦٠٠ ألف نسمة حسب أكثر التقديرات تحفظاً ، ويصل بهم البعض إلى مليون أو أكثر .. ليصبح الإسلام الدين الثانى بإيطاليا [3] .

---

(١) ، (٢) سيد بكر - مرجع سابق - ص ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٠٦ بتصرف .
(٣) صحيفة الشعب بتاريخ ١٩٩٥/٨/٢٠م .

**النشاط الإسلامى فى إيطاليا :**

تأسست « جمعية الاتحاد الإسلامى فى الغرب » لرعاية شئون المسلمين اللاجئين فى أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية فى العاصمة روما ، وقامت بتأسيس مدرسة إسلامية بمساعدة رابطة العالم الإسلامى ، ويوجد اتحاد الطلبة المسلمين بإيطاليا وله خمسة فروع بها .. ويوجد كذلك المركز الإسلامى فى روما ، وفى ميلانو .

**المركز الإسلامى فى روما :**

قام الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله - عام (١٩٧٦م) بزيارةرسمية إلى إيطاليا حيث وضع حجر الأساس نظرياً ، ثم قامت بلدية إيطاليا فى روما بالتبرع بقطعة أرض تبلغ ٣٠ ألف متر فى حى « باريولى » وصدرت كل القرارات اللازمة بعد مسيرة بيروقراطية معقدة تخللتها حملات عنصرية عنيفة ضد بناء المسجد - المركز - الذى وضع حجر الأساس له فعلياً سنة (١٩٨٤م) فى احتفال مهيب حضره رئيس جمهورية إيطاليا آنذاك « ساندروبرتينى » فى ١١ ديسمبر من تلك السنة ، وكان مقرراً أن يكون ارتفاع المئذنة ٨٠ متراً ، وبعد مساومات طويلة بين المركز وبلدية العاصمة ثبت طولها على ٣٩٫٢٠ متراً ، ويشتمل المركز على مسجد يتسع لـ ٢٠٠٠ مصل داخله ، بينما يتسع صحنه الخارجى لـ ٢٠٠٠ آخرين ، بينما يوجد مسجد خاص للصلوات الخمس يتسع لـ ١٠٠ مصل ، كما يشتمل المركز على مدرسة من خمسة فصول وقاعة للمحاضرات تتسع لـ ٥٠٠ شخص ، ومتحف إسلامى ، ومكاتب إدارية ومرافق سكنية ، ومواقف للسيارات ، وحدائق عامة[1] .

**المركز الإسلامى فى ميلانو :**

يوجد أكثر من ٥٠ ألف مسلم فى ميلانو ، حيث تأسس أول مركز

---

(١) صحيفة المسلمون - عدد ٥٤٢ - الجمعة ٢٥ محرم ١٤١٦هـ - ٢٣ يونيو ١٩٩٥م .

إسلامى بإيطاليا فيها سنة (١٩٧٦م) ، فتقام به الصلوات الخمس ، والجمعة ، كما يقيم المركز ندوات دينية وثقافية تدرس فيها العلوم الشرعية والدعوية المختلفة ، ويعتبر المركز عضواً أساسياً فى لجنة الدفاع عن حقوق الأجانب ، حيث استطاع السماح للمرأة المسلمة بعمل الوثائق الرسمية والمستندات بالصورة الفوتوغرافية وهى بالحجاب الشرعى ، وكذلك بذل المركز مساعيه لدى بلدية ميلانو للاعتراف بشهادات عقود الزواج وإشهار الإسلام الصادرة من المركز ، فضلاً عن السماح للعمال المسلمين بأداء صلاة الجمعة بعد التنسيق مع الهيئات الإيطالية ، ويصدر المركز مجلة «رسالة الإسلام» أو «المساجيرو» باللغة الإيطالية لتعريف الإيطاليين بالإسلام .. وتوزع ٥٠٠٠ نسخة ، ويعتزم المركز طبع معانى القرآن الكريم باللغة الإيطالية ، كما تُبذل المساعى حالياً لبناء مسجد كبير فى مدينة ميلانو[١] .

* * *

(١) المرجع السابق .

## الجالية الإسلامية فى اليونان[1]

اليونان من بلدان شبه جزيرة البلقان ، تبلغ مساحتها (١٠٧ر١٩٤ كيلو مترًا مربعًا) ، وسكانها حالياً أكثر من عشرة ملايين نسمة ، عاصمتها أثينا ، وهى من بلدان البحر المتوسط ، تحدها تركيا من الشمال الشرقى ، وبلغاريا وصربيا شمالاً ، وألبانيا من الشمال الغربى ، والبحر المتوسط جنوباً وغرباً ، وبحر إيجه شرقاً .

### منافذ الإسلام إلى اليونان :

عرفت الإسلام منذ وقت مبكر حين فتح الأمويون جزيرة « رودس » ثم فتح الأندلسيون جزيرة « كريت » سنة (٢١٢هـ - ٨٢٧م) ، ثم كان المنفذ الرئيسى مع سيطرة الأتراك على شبه جزيرة البلقان ومنها اليونان التى خضعت لحكم الأتراك لعدة قرون ، وهاجر إليها العديد من الأتراك والبلغار والألبان المسلمين ، واعتنق الإسلام بعض اليونانيين ، وفى نهاية القرن الماضى تدخلت الدول الأوروبية إلى جانب اليونان ضد تركيا حتى استقلت اليونان بمقتضى معاهدة « لوزان » ، وعقب ذلك تناقص عدد المسلمين فى اليونان بصورة كبيرة بفعل الهجرة هرباً من الاضطهاد ، ليصل عددهم الآن إلى ١٥٠ ألفاً ، يتركزون فى : تراقيا الغربية ، وجزيرة رودس ، ومنطقة بحر إيجه ، والبحر الأدرياتيكى ، وإيبروس ، وأثينا العاصمة .

### النشاط الإسلامى فى اليونان :

للمسلمين ثلاث دور للإفتاء والقضاء الشرعى ، ولهم أربع جرائد محلية صغيرة باللغة التركية ، ومجلة شهرية اسمها « الدعوة إلى الحق » ، وفى اليونان نحو ٣٠٠ مسجد ومصلًى ، و٢٩٢ مدرسة ، منها : ثانويتان ،

(١) سيد بكر - مرجع سابق - ص١٢٧ - ١٣١ بتصرف .

ومعهد دينى واحد ، عدد التلاميذ المسلمين ١٣٫٤٧٨ تلميذاً ، يدرس لهم ٤٢٨ مدرساً .

وقد سعى المسلمون - دفاعاً عن وجودهم - إلى تأسيس أول حزب إسلامى فى اليونان عام (١٩٨٩م) ، وللحزب نائبان فى البرلمان اليونانى منذ (١٩٩١م) ، وترتبط أحوال مسلمى اليونان بمؤشر مدى تحسن العلاقات مع تركيا ، وترسل الجالية الإسلامية فى اليونان بعض أبنائها للتعليم فى الجامعات العربية والإسلامية خاصة فى تركيا .

* * *

## الجالية الإسلامية فى البرتغال[1]

توجد جنوب غربى أوروبا ، تحدها أسبانيا شمالاً وشرقاً ، والمحيط الأطلنطى جنوباً وغرباً .. والبرتغال دولة صغيرة مساحتها ٩٢٫٠٢٧ كيلو مترًا مربعًا ، وسكانها حالياً ١٠ ملايين نسمة ، والعاصمة لشبونة ، أهم المدن : أبورتو - أمادورا .

**منافذ الإسلام إلى البرتغال :**

كانت البرتغال جزءاً من الأندلس حيث عرفت «بغرب الأندلس» ، ولازال جنوبها يحمل هذا الاسم حتى الآن ، ففتحت ضمن بلاد الأندلس فى نهاية القرن الهجرى الأول عندما توغلت الجيوش الإسلامية بقيادة طارق ابن زياد فى هذه المناطق ، وحينما حدثت مجاعة بشمال الأندلس هجر المسلمون المنطقة وارتحلوا جنوباً ، فانتهز المسيحيون هذه الفرصة وتكونت إمارة صليبية صغيرة سنة (١٣٣ هـ - ٧٥٠م) فى القسم الشمالى من البرتغال ، وكانت هذه هى النواة التى أدت إلى ظهور دولة البرتغال واتخذت من مدينة «أبورتو» عاصمة لها .

وأخذت البرتغال تتوسع على حساب المناطق الإسلامية كلما ظهر ضعف فى نطاق الحدود معها ، وظل هذا التوسع فى الازدياد حتى عام (٦٤٧هـ - ١٢٤٩م) حيث تم استيلاء البرتغال على غربى الأندلس بعد حكم إسلامى دام أكثر من خمسة قرون ، وعندما تم لهم ذلك طردوا جميع المسلمين على مراحل .

---

(١) سيد بكر - مرجع سابق - ص١٢٧ - ١٣١ بتصرف .

وتوجد بالبرتغال حالياً جالية مسلمة قليلة لا تتجاوز بضعة آلاف ، وهى عناصر مهاجرة من المستعمرات البرتغالية السابقة فى آسيا وأفريقيا ، حيث هاجر إليها عدد من مسلمى موزمبيق ، ورغم صغر حجم الجالية فقد نظمت شئونها وأسست جمعية إسلامية فى لشبونة العاصمة منذ سنة (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) ، وتم الاعتراف بها رسمياً ، ولها مجلة شهرية تصدر بالبرتغالية اسمها « الإسلام » .

* * *

# الفصل الرابع

# الجالية الإسلامية فى شرق وشمال أوروبا

بلغاريا

رومانيا

السويد

الدانمرك

النرويج

فنلنده

## الجالية الإسلامية في بلغاريا [1]

إحدى دول البلقان ، وشرق أوروبا ، يحدها البحر الأسود شرقاً ، وصربيا غرباً ، وتركيا واليونان جنوباً ، ورومانيا شمالاً ، تبلغ مساحتها (١١٠ر٩١١ كيلومترًا مربعًا) ، وسكانها سنة ١٩٨١م (٨ر٨٩٠ر٠٠٠) نسمة ، وعاصمتها صوفيا ، وأهم مدنها : بلوفديف - فارنا - روس - بورغازى .

**منافذ الإسلام إلى بلغاريا :**

فتح العثمانيون - فى إطار فتح البلقان - مدينة بلوفديف ، وصوفيا ، وتوالت الفتوح حتى تم فتح بلغاريا كلها سنة (٧٩٦هـ - ١٣٩٣م) وظل الأتراك يحكمونها لمدة خمسة قرون ونصف .. ففى نهاية القرن ١٩ تدخلت روسيا ضد تركيا ، وتم منح بعض المناطق البلغارية الحكم الذاتى ، وكان ذلك تمهيداً لقيام مملكة بلغاريا المستقلة عن الدولة العثمانية سنة (١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م) ، وكان الإسلام قد انتشر فى العهد التركى ، وبعد استقلال بلغاريا تعرض المسلمون للاضطهاد حتى أصبحوا أقلية بعد أن كانوا أكثرية ، حيث كان من نتيجة الضغوط والمضايقات هجرة الكثير منهم إلى خارج بلغاريا ، فقامت السلطات باستقدام العناصر البلغارية من البلدان المحيطة ليحلوا محلهم .

وفى مؤتمر المجلس العالمى للدعوة والإغاثة المنعقد فى القاهرة سنة (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) ذكر الشيخ فكرى صالح - مفتى بلغاريا - أن عدد المسلمين هناك يبلغ نحو ثلاثة ملايين ، وإن كانت مصادر أخرى تقدرهم بأقل من ذلك .

---

(١) سيد بكر - مرجع سابق - ص١٢٧ - ١٣١ بتصرف .

**النشاط الإسلامى فى بلغاريا :**

كان فى بلغاريا نحو ١٢٠٠ مسجد ، لم يبق منها الآن سوى ثلاثة مساجد فى صوفيا ، تحول أحدها إلى متحف لفنون العمارة ، وظل الثانى منتصباً غريباً وسط العاصمة تحيط به الأكشاك ومواقف الانتظار ، ونصابو تغيير العملة ، والسكارى والعاطلون والزحام الكثيف ، والمسجد الآخر فى بلوفديف ، ويسمى مسجد الجمعة ، هو لأمور السياحة فقط ، ويوجد مسجد مغلق فى مدينة « بلشيكا » ، ومسجد شريف باشا فى مدينة « شومين » ، ولا يوجد غير تنظيم شكلى يرعى المسلمين يرأسه المفتى الأكبر، ولا توجد مدارس أو منظمات أو جمعيات إسلامية .

* * *

## الجالية الإسلامية فى رومانيا[1]

من دول شرق أوروبا ، وتوجد شمال شبه جزيرة البلقان ، تحدها روسيا من الشمال ، والشمال الشرقى ، وبلغاريا جنوباً ، والمجر غرباً ، وصربيا من الجنوب الغربى ، والبحر الأسود شرقاً ، مساحتها ( ٢٣٧٫٥٠٠ كيلو مترًا مربعًا ) ، سكانها سنة (١٩٨١م) ٢٢٫٠٠٤٫٠٠٠ نسمة ، عاصمتها بوخارست ، أهم مدنها : براسوف - كلوج - قنسطنطة .

**منافذ الإسلام إلى رومانيا :**

يرجع تاريخ وجود الإسلام فى رومانيا إلى القرن ١٣ الميلادى ، ففى عام ١٢٦٣م استقر نحو ١٠ آلاف تركى مسلم فى شمال دوبرودجا على يد التارى المسلم خان جمال الدين إبراهيم ، وكان زعيم المسلمين فى رومانيا آنذاك هو الداعية المسلم الشهير « سارى سالتيك بابا » الذى أطلق اسمه على مدينة بابا داج فى دوبرودجا .

وخلال القرنين ١٣ ، ١٤ الميلادى ، ولأن المناطق الشرقية من الدولة الرومانية كانت خاضعة للامبراطورية التارية المسلمة فإن الوجود الإسلامى فى تلك المناطق كان نشيطاً .

وقد تضاعف عدد المسلمين الأتراك فى دوبرودجا فى تلك الحقبة واستقر عدد منهم فى « أجوزى » و « تتار » وكانت لهم مدن هامة فى رومانيا مثل : سليسترا ، بابا داج ، كاروزو ، وكان بها العديد من المساجد والمدارس والمكتبات والأوقاف الإسلامية .

وهكذا ظل الإسلام فى رومانيا بعد أن فتحها الأتراك حتى نهاية الحرب

(١) سيد بكر - مرجع سابق - ص ١٣٥ ، ١٣٩ - ١٤١ بتصرف + مجلة الأزهر - جمادى

العالمية الأولى ، وبعد هزيمتهم فيها تعرض المسلمون للاضطهاد فهاجر أكثرهم إلى تركيا ، وقد تناقص عددهم أكثر فى ظل الشيوعية البائدة ، ويصل عددهم الآن إلى ١٠٠ ألف مسلم .

**النشاط الإسلامى فى رومانيا :**

بها نحو ٧٠ مسجداً ، منها مسجد يتيم فى العاصمة بوخارست فى أقصى ضواحيها لا تؤدى فيه سوى صلاة الجمعة نظراً لبعده ، وكانت هناك مدرسة لإعداد الدعاة وتم إغلاقها فى عام ١٩٦٧م الذى وصل فيه الديكتاتور « شاوسيسكو » للحكم ، وقد أعيد افتتاحها مؤخراً ، وهى تقع فى مدينة بقى لها اسمها الإسلامى « مجيدية » وللمسلمين نائبان فى البرلمان الرومانى ، ٤٣ مستشاراً فى المجالس البلدية .

* * *

## الجالية الإسلامية فى السويد [1]

من دول شمال أوروبا الإسكندنافية ، مساحتها (٤٤٩٫٩٦٤ كيلو مترًا مربعًا) ، وسكانها سنة ١٩٨١م (٨٫٣٢٣٫٠٣٣) نسمة ، والعاصمة : استكهولم ، وأهم مدنها : جوتنبرج - مالمو - فستروس .

وتشغل السويد القسم الشرقى من شبه جزيرة اسكندنافيا ، تحدها النرويج غرباً ، وفنلنده من الشمال ، والشمال الشرقى ، وبحر البلطيق شرقاً ، ومضيق كاتيجان من الجنوب الغربى .

**المنافذ .. والنشاط الإسلامى فى السويد :**

يرجع الوجود الإسلامى إلى الهجرات الحديثة للعمال والطلبة المسلمين عقب الحرب العالمية الثانية ، وخاصة من تركيا ومنطقة البلقان ، إضافة إلى السويديين المعتنقين للإسلام ، وقد أجرت جامعة « يوتبورى » إحصاءً للمسلمين فى السويد فذكرت أنهم يزيدون عن ١٢٠ ألفاً ، ولم يشمل الإحصاء الذين أسلموا ، وكذلك الأبناء من زوجات سويديات ، ولهذا فالعدد أكثر من ذلك ، والسويد تعترف بالدين الإسلامى ، ومن حق المهاجر إذا أمضى ثلاث سنوات أن يتمتع ببعض امتيازات المواطن السويدى ، والضرائب التى تؤخذ من المسلمين توجه للجالية الإسلامية .

وهناك المجلس الإسلامى السويدى الذى يضم ست منظمات إسلامية : رابطة الجمعيات الإسلامية بالسويد - اتحاد مسلمى السويد - اتحاد الطلبة المسلمين فى اسكندنافيا - رابطة الشباب المسلم فى السويد - هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية فى السويد - مكتب الإعلام الإسلامى .

---

الآخرة ١٤١٣ + مجلة العربى شعبان ١٤١٦ .

(١) مجلة منار الإسلام - ربيع الآخر ١٤١٣ - أكتوبر ١٩٩٢م .

ويوجد بالسويد مراكز إسلامية فى : استكهولم ومالمو وفالنجائى ، وتوجد بعض الفصول التعليمية الملحقة بالمساجد والمراكز الإسلامية .

وقد انعقد عام (١٩٩٥م) مؤتمر لمنظمات الشبيبة الإسلامية فى أوروبا افتتحته وزيرة الخارجية السويدية ، وأنفقت عليه وزارة التعليم وضم ممثلين عن الجمعيات الإسلامية فى ٨ دول أوروبية ، كما استضافت استكهولم مؤتمراً عالمياً حاشداً لمفكرين مسلمين وأوروبيين لبحث العلاقات المستقبلية بين أوروبا والمسلمين ، وقد أعربت السلطات السويدية فى غير مناسبة عن عدم تعاطفها مع مواقف بعض الدول الأوروبية المناهضة للمسلمين .

* * *

## الجالية الإسلامية فى الدانمرك[1]

تقع شمال غرب أوروبا بين بحرى البلطيق والشمال ، وحدودها بحرية عدا الجنوب حيث تشترك مع ألمانيا فى حدود برية ، وتقترب منها السويد شرقاً والنرويج شمالاً ، غير أن المضايق المائية تفصل بينها ، وهى تعد أصغر الدول الإسكندنافية مساحة ، حيث تبلغ مساحتها (٤٣٫٠٧٥ كيلو مترًا مربعًا) وسكانها سنة ١٩٨٢م يبلغ (٥٫١٢٣٫٠٠٠) نسمة ، والعاصمة : كوبنهاجن ، وأهم المدن : أرهوس - أودنس - البورج .

**المنافذ .. والنشاط الإسلامى فى الدانمرك :**

وصلها الإسلام حديثاً عن طريق هجرة العمال المسلمين ، فضلاً عن الدانمركيين المعتنقين للإسلام ، وقد ذكر الدكتور / محمد فؤاد - رئيس فرع الدانمرك فى اتحاد المنظمات الإسلامية فى أوروبا أن عدد المسلمين فى الدانمرك يبلغ ٧٠ ألف مسلم ، وأن الاتحاد قد أسس مدرسة فى مدينة « أورهوس » حيث استوعبت عدداً كبيراً من الطلبة ، ونسعى - كما يقول - إلى إنشاء مدرسة أخرى فى العاصمة كوبنهاجن حيث توجد جالية إسلامية كبيرة تخشى على أبنائها من الذوبان .

وقد أنشأت رابطة العالم الإسلامى فرعاً لها فى كوبنهاجن سنة (١٣٩٤ هـ) ويضم مسجداً صغيراً وقسماً لتحفيظ القرآن الكريم ، وقسماً للجاليات المسلمة ، وبمبنى الرابطة مدرسة الفيصل لتعليم أبناء المسلمين ، كما توجد مدرسة الأقصى بنفس المبنى ، وتوجد كذلك مدرسة عراقية ، ومدرسة الصامد ، ومدرسة الصفا ، وتقدم الحكومة الدانمركية بعض المساعدات لهذه المدارس .

---

(١) مجلة الوعى الإسلامى - عدد ٣١٦ - ذو القعدة ١٤١٢ + صحيفة الحياة اللندنية ١٩٩٦/٢/١٧ .

وفى الدانمرك المركز الإسلامى الرئيسي فى العاصمة كوبنهاجن ، وكذلك يوجد مركز إسلامى آخر فى مدينة «أرهوس» - ثانية أكبر مدن الدانمرك - أنشأه المغاربة . وقد شيد المسلمون ستة مساجد متواضعة فى أنحاء الدانمرك ، ولا توجد ترجمة صحيحة لمعانى القرآن الكريم باللغة الدانمركية ، ومن الهيئات الإسلامية هناك أيضاً، جمعية الشباب المسلم بالدانمرك .

* * *

## الجالية الإسلامية فى النرويج[1]

من الدول الإسكندنافية وتقع أقصى شمال غرب أوروبا ، ويحدها بحر الشمال جنوباً ، والمحيط الأطلنطى غرباً ، والسويد وفنلنده وروسيا شرقاً ، مساحتها (٣٢٣٫٨٩٥ كيلومترًا مربعًا) ، سكانها سنة ١٩٨١م (٤٫١٠٧٫٠٦٣) نسمة ، والعاصمة : « أوسلو » ، وأهم المدن : تروندهايم - برجن .

وقد وصل الإسلام إلى النرويج خلال العقود الأخيرة عن طريق هجرة العمال المسلمين من البلدان الإسلامية ، وخاصة من : المغرب والباكستان وتركيا ومنطقة البلقان ، ويزيد عدد المسلمين حالياً عن عشرة آلاف شخص .

وتوجد فى النرويج الجمعية الإسلامية الحنيفية وتهتم بتعليم أبناء المسلمين قواعد دينهم ، ويوجد فرع فى العاصمة أوسلو لاتحاد الجمعيات الإسلامية فى الدول الإسكندنافية ، ولرابطة العالم الإسلامى مكتب فى كوبنهاجن بالدانمرك يسهم فى إرسال الأئمة والمدرسين ، حيث يستأجر المسلمون أماكن للصلاة ، وهم فى حاجة ماسة لبناء مسجد أو مركز إسلامى فى أوسلو .

* * *

(١) سيد بكر - مرجع سابق ص ٢٩٩ ، ٣٠٢ - ٣٠٥ + مجلة الوعى الإسلامى ذو القعدة

## الجالية الإسلامية فى فنلنده[1]

تقع شمال أوروبا ، شرق شبه جزيرة اسكندنافيا ، يحدها النرويج شمالاً ، وروسيا شرقاً ، والسويد غرباً ، وبحر البلطيق جنوباً ، مساحتها (٣٣٧,٠٣٢ كيلومترًا مربعًا) ، سكانها سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ٤,٨١٣,٠٩١ نسمة ، والعاصمة : « هلسنكى » ، أهم المدن : تامبرى - توركو .

وقد وصل الإسلام فنلنده منذ سنة ١٨٠٩م عندما هاجر إليها بعض المسلمين التتار كتجار للفراء حيث أسسوا أول جمعية إسلامية سنة ١٨٣٠م ، وعندما استقلت فنلنده عن روسيا فضل المسلمون التتار البقاء فى فنلنده ، فضلاً عن هجرات رجال أعمال ومهنيين مسلمين نظموا أنفسهم حتى اعترفت فنلنده بالدين الإسلامى سنة ١٩٢٥م ، ولا يتجاوز عدد المسلمين فى فنلنده بضعة آلاف يتركزون فى العاصمة هلسنكى ، ومدينة تامبيرى ، ومعظم المسلمين من التتار والمغرب والباكستان ، ومنطقة البلقان ، وقد أسسوا فى هلسنكى مركزاً إسلامياً ونادياً للشباب المسلم ، وتوجد جمعيتان فى فنلنده للمسلمين بينهما تعاون فى هلسنكى وتامبيرو ، وتوجد مقبرتان للمسلمين فى نفس المدينتين .

* * *

١٤١٤هـ .

(١) سيد بكر - مرجع سابق ص ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، وص٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ بتصرف .

# الباب الثاني

# مشكلات الجاليات الإسلامية في أوروبا

- الفصل الأول : مشكلات نابعة من المجتمعات الأوروبية
- الفصل الثانى : مشكلات نابعة من الجاليات الإسلامية
- الفصل الثالث : مشكلات الجهود المضادة للعمل الإسلامى فى أوروبا
- الفصل الرابع : قصور العمل الإسلامى فى أوروبا

## تمهيد

يبدو لنا من نظرة سريعة لواقع العلاقة الحالية بين المسلمين وواقعهم الأوروبى أنها علاقة يشوبها كثير من التوتر بسبب الاختلالات التى تتسم بها نظرة كل منهما للآخر ، ولب المشكلة يكمن فى رؤية الأوروبيين لـ « الآخر » إذ يدلنا الاستعراض التاريخى على أن الخوف من الإسلام من أبرز العناصر التى كونت وبلورت الهوية الأوروبية خلال مراحل الصراع بين أوروبا والإسلام ، لقد كان طبيعياً أن يبحث الأوروبيون عن هوية يحتمون بها حينما استشعروا ضعفهم أمام « الآخر » الإسلامى القادم إليهم من جديد ، بحضارة قوية ، وبذلك يمكن القول : إن الهوية الأوروبية كانت نوعاً من تعضيد الباب أمام تهديد الآخر .

ولقد ورث الأوروبيون المعاصرون عن أسلافهم هذه النظرة المعادية للإسلام أو الخائفة منه عبر القرون ، ولا يزال الرأى الغالب فى أوروبا متأثراً إلى حد بعيد بتلك النظرة السلبية للإسلام والمسلمين فى المجتمعات الأوروبية ، فالإسلام وفقاً لهذه الصورة ، هو دين غير مقدس ولا يرقى لمرتبة الأديان السماوية !! وثقافة هذا الدين ثقافة « متخلفة » ولا « عقلانية » ، ومن طبيعة هذا الدين تحبيذ السلوك الإرهابى ، ومناهضة الديمقراطية وحقوق الإنسان .

هذا هو مجمل الصورة التى يُعاد بثها فى أوروبا .. سواء ما تبثه وسائل الإعلام ، أو ما تقدمه الكتب المدرسية ، أو ما تحتوى عليه بعض الكتب المقدسة - المحرفة - والموسوعات الثقافية ودوائر المعارف وأدبيات الأبحاث التى تصوغ العقل الأوروبى وتشكله .

كما تتجسم الرؤية السلبية للإسلام فى أوروبا من جانب آخر فى غياب التشريعات والقوانين التى تعترف بالوجود الإسلامى ، وتكفل الحقوق الدينية والمدنية للمسلمين بما يتوافق مع معتقداتهم ، فلا يزال الدين الإسلامى غير

معترف به فى معظم الدول الأوروبية ، ولا يزال كثير من المسلمين غير قادرين على تنشئة أولادهم فى مدارس إسلامية ، كما أن بعض الممارسات والتطبيقات الاجتماعية للمسلمين مثار اعتراض ومنع ، إستناداً إلى تفسيرات بعيدة عن فهم طبيعة تلك الممارسات فى سياق التشريعات الإسلامية مثل : حجاب المرأة - تحريم المعاملات الربوية - تحريم لحم الخنزير - ذبح المواشى طبقاً للشريعة ... إلخ .

وتبلغ سياسات بعض الدول الأوروبية التى تهدف طمس هوية المسلمين المقيمين فيها حداً لا يُطاق ، من محاولات لإدماجهم قسراً فى مجتمعاتها ، سواء بفرض التنصير عليهم ، وأو بإجبارهم على الذوبان فى البوتقة العلمانية المناقضة لتقاليدهم الإسلامية .

ومن المؤكد أن كل هذه العوامل السلبية التى تكتنف حياة المسلمين فى أوروبا قد خلقت حالة نفسية متوترة لدى أولئك المسلمين ، وزرعت فى نفوسهم مشاعر الخوف والشك والقلق .

ولقد أفضت هذه الحالة النفسية إلى نشوء مشكلات عديدة ، ومن هنا يمكننا فهم التوتر الظاهر والمستتر الذى يطبع العلاقة بين المسلمين وواقعهم الأوروبى ، فمن جهة يتنامى شعور المسلمين بضرورة تمييز أنفسهم بهوية حضارية مستمدة من انتمائهم الدينى ، ولكنهم يجدون من ناحية أخرى أن واقعهم الأوروبى لا يساعدهم على تلك ، بل هو لا يرحب بهذا التمييز فى الغالب ويمتعض منه ، وقد يصل الأمر لمحاربته بقوة القانون تارة ، وبقوة الضغوط النفسية تارة أخرى ، بل قد يصل الأمر إلى الاضطهاد والطرد والتشريد ، فهل يمكن أن نتوقع فى مثل هذه الظروف أن تنشأ علاقة صحية إيجابية ومثمرة بين الطرفين ؟!

وفى مثل هذه الظروف أيضاً قد تحدث اختلالات ، تصغر أو تكبر داخل التجمعات الإسلامية ذاتها ، فقد تندس عناصر تخريبية بين المسلمين . فتستغل مشاعر الإحباط والخوف لدى فئات معينة ، خاصة الشباب لاستمالتهم نحو العنف .

ولا يمكننا قطعاً تعميم هذا التحليل بكل عناصره على جميع المجتمعات الأوروبية ، ولكننا نعتقد أن مجمل هذا الوصف السلبى للواقع الأوروبى ينطبق على معظم بلدان القارة .

ولذلك لا مناص من أن يعترف الأوروبيون بهذا الواقع ، وإن اختلفوا معنا فى بعض تفاصيله تبعاً لأحوال كل بلد ، وما تحقق فيه من تقدم فى التعامل مع الظاهرة الإسلامية المتنامية .

إن الظروف التى تعيش فيها الجاليات الإسلامية فى أوروبا تتشابه إلى حد كبير مع وجود بعض الاختلافات والفروق الناتجة عن اختلاف وتفاوت المستويات المعيشية والثقافية والتعليمية لأبناء الجاليات فى كل بلد .

والواقع أن الدول الأوروبية لم تفكر فى بداية الأمر فى قضية الوجود الإسلامى ، وتزايده المطرد ، ولا سيما بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث كان همها منصباً آنئذ على إعادة بناء وتعمير ما دمرته الحرب ، وإقامة البنية الصناعية والاقتصادية الحالية .

إلا أن المهاجرين المسلمين الذين استقر بهم المقام فى أوروبا بدءوا يواجهون واقعاً ومجتمعاً غريباً عليهم يصطدم بعقيدتهم وثقافتهم الموروثة ، إضافة إلى أن المجتمعات الأوروبية – ونتيجة لظروف الكساد الاقتصادى والبطالة وبعض العوامل والتغييرات السياسية والاجتماعية – بدأت تنظر إلى المسلمين ووجودهم فيها نظرة تخوف وارتياب وكراهية ، ووصل الأمر فى الآونة الأخيرة إلى حد الملاحقة والطرد .

فالجاليات الإسلامية كانت ولا تزال تحاول تحقيق شخصيتها وذاتيتها الثقافية وخصوصيتها الحضارية ، فى نفس الوقت الذى تحاول فيه التأقلم – دون الذوبان – مع عناصر الثقافات الأخرى السائدة فى المجتمعات الأوروبية ، عملاً بقول أمير الشعراء أحمد شوقى ، مع بعض التعديل :

إنما الأمم « الشخصيات » ما بقيت فإن همو « ذابت شخصياتهم ذابوا»

وسوف نحاول رصد أهم المشكلات التى تعترض الجاليات الإسلامية فى أوروبا ، ويمكن تصنيف هذه المشكلات إلى مستويات أربعة :

- مشكلات نابعة من المجتمعات الأوروبية .
- مشكلات نابعة من واقع الجاليات الإسلامية .
- مشكلات الجهود المضادة للعمل الإسلامى فى أوروبا .
- مشكلات قصور العمل الإسلامى فى أوروبا

وسوف نبسط - مستعينين بالله تعالى - هذه المستويات الأربعة من المشاكل وشواهدها فى فصول أربعة ، على التفصيل التالى :

* * *

# الفصل الأول

## مشكلات نابعة من المجتمعات الأوروبية

أولاً : العنصرية - الاضطهاد - التعصب

ثانياً : التعليم

ثالثاً : الحجاب

رابعاً : عدم الاعتراف بالدين الإسلامى

## أولاً : العنصرية - الاضطهاد - التعصب

منذ أن أطلق المفكر الإنجليزى « جوزيف كبلنج » (١٨٦٥ - ١٩٣٦م ) بيت الشعر الذى يحمل معنى أن « الشرق شرق ، والغرب غرب ، وهما ثقافتان ومفاهيم لن يلتقيا » أخذت حقيقة هذه العبارة تتجذر فى أرض الواقع ، فى الشرق والغرب على حد سواء ، وتترسخ أكثر مما سبق ، ذلك أن هذه الفرقة بين الشرق والغرب ليست وليدة القرن التاسع عشر وحقبة الاستعمار ، وإنما هى أمر يعود إلى صراعات متتالية عبر القرون .

ففى القرن السابع ومع ظهور الإسلام الفاتح بدأ الصراع بين الشرق والغرب ، ومع الألفية الميلادية الثانية شن « الغرب » المسيحى حربه الصليبية ضد « الشرق » ، وحقق « الغرب » انتصاره الأشهر على « الشرق » باستعادة « أسبانيا - الأندلس » لتكون معقل الكثلكة ، وفى المقابل حقق « الشرق » انتصاره الضخم على « الغرب » فى قلعة الامبراطورية البيزنطية « القسطنطينية » لتتحول إلى عاصمة للخلافة العثمانية الإسلامية .

يقول المؤرخ البريطانى الشهير « آرنولد توينبى » : إن دراسة الجنس أو العرق كعامل منتج للحضارة تفترض وجود علاقة بين الصفات النفسية وبين طائفة من المظاهر الطبيعية ، ويعتبر اللون هو الصفة البدنية التى يعول عليها - أكثر من غيرها - المدافعون عن نظريات العرق المتفوق من الأوروبيين ، وإن أكثر النظريات العنصرية شيوعاً هى تلك التى تضع فى المقام الأول السلالة ذات البشرة البيضاء ، والشعر الأصفر ، والعيون الشهباء ، ويدعوها البعض بـ « الإنسان النوردى » أى الشمالى ، ويدعوها الفيلسوف الألمانى نيتشة بـ « الوحش الأشقر » .

ولعل أول من أشار إلى الإنسان « النوردى » نبيل فرنسى يُدعى « الكونت دى نمو بينو » وقد تزامن هذا الإعلان عن الإعلاء من قيمة العرق

مع شيوع نظريات « داروين » (١٨٠٩ - ١٨٨٢م) عن النشوء والارتقاء ، وكذلك انتشار علم البيولوجيا فى القرن التاسع عشر .

وكان كبار المفكرين البريطانيين والفرنسيين فى القرن التاسع عشر يعتبرون الاستعمار هدفاً سامياً ؛ لأنه ينشر الحضارة بين الشعوب المستعمَرة !!

ويُعتبر الرائد الأكبر للنظرية العنصرية هو « أرتودى جوبينو » (١٨١٦ - ١٨٨٢م) الذى عمل فى السلك الدبلوماسى ووضع مؤلفاً بعنوان : « بحث فى عدم التساوى بين الأجناس البشرية » فى عام (١٨٥٣م) ، وتتلخص نظريته فى « أن الاختلاط بين الأجناس الراقية والأجناس السفلى هو السبب الرئيسى فى تدهور حضارات أوروبا السابقة » !! .

وقد انتشرت المدرسة العنصرية فى معظم الدول الأوروبية ، وكان أهم تلاميذ « جوبينو » « هيوستون تشامبرلين » وهو بريطانى عاش معظم حياته فى ألمانيا ، وكتب باللغة الألمانية أهم كتبه تحت عنوان : « أسس القرن التاسع عشر » ، وكان فكره ، وفكر أستاذه « جوبينو » هو الأرضية المشتركة الأساسية التى قامت عليها النظرية العنصرية للفكر النازى فى ألمانيا باعتراف « هتلر » .

وقد ترتب على ما سبق أن سيطرت العنصرية على فكر الإنسان الأوروبى الأبيض مصداقاً للأغنية « الفولكلورية » المستوحاة من التراث الأدبى الزنجى ، والتى تقول :

إذا كنت من البيض .. فأنت على حق ..
وإذا كنت أسمر .. الزم مكانك ..
وإذا كنت أسود البشرة .. فتراجع إلى الخلف

وبإلقاء نظرة فاحصة على واقع المجتمع الأوروبى يتضح لكل ذى بصر وبصيرة أن العنصرية تطل برأسها « الأخطبوطى » فى معظم البلدان الأوروبية ، وسوف نستعرض بعض النماذج والشواهد على العنصرية فى بعض الدول الأوروبية فيما يلى :

- **العنصرية في بريطانيا :**

النازية والعنصرية لم تكن يوماً غريبة عن المجتمع البريطانى ، فبعد انتصار الفاشية فى إيطاليا ، والنازية فى ألمانيا ، أسس البريطانى « أوزوالد موسلى » اتحاد الفاشيين البريطانى عام (١٩٣٣م) ، وقام أعضاء الاتحاد آنئذ من أصحاب « القمصان السوداء » بالهجوم على الأقليات المهاجرة فى أحياء شرق لندن ، وفى مايو من عام (١٩٧٦م) لقى صبى من أبناء المهاجرين فى العاشرة من عمره مصرعه على يد عصابة الحزب القومى من الشباب البريطانى ، حيث صرح أحد قادة الحزب ويُدعى « جون كينجسلى » بتصريح عن الحادث جاء فيه : نعم .. واحد يسقط ضحية ، لكى يغادر مليون إنسان هذا البلد - بريطانيا » .. وقد ظهرت هذه الأفكار العنصرية كتيار رئيسى فى السياسة البريطانية المعاصرة ، يتضح ذلك من خلال تصريح « مارجريت تاتشر » رئيسة الوزراء عام ١٩٨٧م فى برنامج بانوراما بمحطة (B. B. C.) حيث قالت : « سوف يتفاعل الناس مع هذا الأمر ، وحتماً سيحملون مشاعر العداء تجاه الداخلين الجدد » .. ونتيجة لهذا التشجيع فقد ارتفعت نسبة الحوادث العنصرية فى بريطانيا عام (١٩٩٢م) لتصل إلى ٥٤٪ زيادة عن العام السابق فى منطقة لندن طبقاً لتقديرات « لجنة المساواة العرقية » فى بريطانيا .. وكان من ضحايا هذه العنصرية طالب باكستانى يُدعى : « قدوس على » عمره ١٧ سنة ، قام ثمانية من الشباب العنصرى بضربه ضرباً مبرحاً حتى لفظ أنفاسه الأخيرة فى المستشفى ، فى أحد شوارع منطقة « إيسلى أوف دوجز » فى سبتمبر من عام (١٩٩٣م) [١] .

ويذكر مواطنون مسلمون فى بريطانيا أنهم تلقوا فاكسات من جهات مجهولة تُحمِّل المسلمين مسؤولية الحرب فى « يوغوسلافيا » السابقة ، وتحذر

---

(١) مجلة الوعى الإسلامى - جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ - ص ٣٤ .

من أنهم سيقودون « بريطانيا » إلى حمام من الدماء بسبب رغبتهم المتطرفة وسعيهم وراء إقامة دولة إسلامية ، وجاء فى الفاكسات التى حملت عنوان « حرب أهلية : يوغوسلافيا اليوم .. وبريطانيا غدًا » : إن الحرب بدأت فى يوغسلافيا عندما أراد المسلمون إنشاء دولة إسلامية ، تماماً كما قالوا أنهم سيقيمونها هنا ، وهم الآن أنشأوا برلمانهم الإسلامى .. الإسلام أقسم اليمين على السيطرة على أوروبا .. لماذا لا نبادر نحن بإنذارهم ، ونقول لهم : « اخرجوا من بلدنا أيها الأوغاد ، وإلا سنطردكم منها بالقوة ، وألقت البيانات باللائمة على الحكومة البريطانية لعدم وقوفها فى وجه غزو ملايين المسلمين ، ودعت البيانات القراء إلى تأييد الحزب القومى البريطانى « العنصرى » [1] .

يذكر أن قانون العلاقات العنصرية فى « بريطانيا » لا يحمى الانتهاكات القائمة على أساس دينى ، وإنما يُنظر فى الدعاوى القائمة على أساس انتهاكات تصنف وفق اعتبارات عرقية .

وتطالب الجالية الإسلامية منذ سنوات بإصدار قوانين تحمى المسلمين الذين يشكلون نسبة ٦٥٪ من مجموع الأقليات فى بريطانيا من المضايقات التى يواجهونها بسبب انتمائهم الدينى ، ويقولون : إن القوانين العنصرية الحالية لا تحمى المسلم إلا إذا كان أسود ، أو ينتمى إلى أقلية ، علماً بأن قانون حماية الدين من الكفر ينطبق على الديانة النصرانية فقط ، بينما تحمى قوانين معاداة السامية كافة اليهود .

وقد سبب هذا القانون أضراراً فادحة للجالية الإسلامية حيث يضطر المسلمون إلى تعريف أنفسهم على أنهم باكستانيون ، أو بنجاليون ، أو هنود ؛ لأنهم يعلمون أنهم لو قالوا إنهم مسلمون فلن يستمع إلهم أحد !!

وعندما أعلن أحد أصحاب المصانع فى شمال بريطانيا قبل سنوات عن

---

(١) صحيفة المسلمون - ١٩٩٥/١٠/٢٠م .

حاجته إلى عامل ، ووضع فى الإعلان عبارة « لا حاجة لمراجعة من أى مسلم » تمكن من الإفلات من عقاب القانون البريطانى الذى لا يعتبر المسلمين أقلية يشملهم بحمايته ، ولو كان صاحب المصنع ذاته وضع فى الإعلان عبارة « لا حاجة لمراجعة من أى يهودى » ، أو حتى « من أى أسود » لأحدث ذلك ضجة فى وسائل الإعلام وتعرض لعقاب القانون ، لكن المواطنين المسلمين إذا استعرنا عبارة « جورج أورويل » فى كتابه ( مزرعة الحيوانات ) : « أقل تساوياً من الآخرين » فى بريطانيا ، حتى لو كانوا يحملون جواز السفر البريطانى نفسه[١] .

وقد حكمت محكمة محلية فى مدينة « ليدز » شمال بريطانيا لصالح عامل مسلم تعرض للإيذاء والإهانة من قبل مديره فى العمل بأن ألقى القاذورات عليه ورشقه بدم خنزير ونعته بألفاظ بذيئة ، وتم فصله ، وقد أقرت هيئة المحكمة أن « أزهر حسين » قد فصل من عمله بطريقة غير عادلة بعد أن تعرض لتمييز عنصرى .. ويذكر « مقبول جافيد » رئيس جمعية المحامين السود : إن هذه القضية تؤكد أن المسلمين هم أكثر الجاليات تعرضاً للتمييز العنصرى فى بريطانيا ، وأضاف : إنه من الواضح أن « حسين » تعرض للإهانة بسبب معتقده وليس لونه ، لأن الشركة تضم عاملين ملونين لم يتعرضوا للإيذاء[٢] .

وقد حكمت محكمة بريطانية على اثنين من مجلس أمناء « مسجد أبو بكر » فى شارع « فيلزر » فى « ساوث هول » بأن يدفع كل منهما غرامة ٧٠٠ جنيه استرلينى لخرقهما قراراً بمنع استخدام المبنى كمكان للعبادة ، ويأتى هذا الحكم ليضاف إلى سلسلة المشاكل التى يعانى منها المسجد منذ عام (١٩٩٠م) بعد أن رفض المجلس المحلى منحه الترخيص بحجة عدم التأثير على شكل المنطقة السكنية الموجود بها ، غير أنها حجة باطلة ، لأنه

(١) صحيفة الحياة اللندنية ١٩٩٦/٢/١م .
(٢) صحيفة المسلمون - ١٩٩٥/٥/٢٦م .

يوجد فى نفس المنطقة مبنى مخصص للتنصير ، ودار أخرى للسيخ الهنود ، إضافة إلى مبان أخرى غير سكنية[1] .

- **العنصرية فى فرنسا :**

تشهد فرنسا حالات من تنامى العنصرية لأسباب يبررها البعض بالوضع الاقتصادى ويرى فيها آخرون انعكاساً مباشراً لأحداث الجزائر ، بينما يبدى المدافعون عن حقوق الإنسان ومناهضو العنصرية خشيتهم من مؤشرات فعلية على دخول فرنسا فى تيار التطرف والأصولية الذى يميز أواخر القرن الحالى ، خاصة فى ظل المساس بحقوق الإنسان ، وانبعاث بعض التصرفات العنصرية وقيام عدد من رجال الأمن بتصرفات كالعصابات ، إذ لا يترددون فى استخدام وسائل العنف والضرب .

وثمة أسئلة ملحة بدأت تطرح فى الأوساط المدافعة عن حقوق الأجانب والمناهضة للعنصرية ، عما إذا كانت هذه التصرفات ستؤدى بفرنسا إلى الدخول فى فلك بعض جوارها الأوروبى عبر انبعاث الأفكار العنصرية الخطيرة على غرار ما يحصل لأتراك ألمانيا ، حتى وصل الأمر بالوزير السابق المسئول عن سياسة الاندماج « توفى ياميان » إلى حد توجيه رسالة مفتوحة إلى الرئيس الفرنسى « شيراك » عبر الصحف المحلية ينبهه فيها إلى تنامى موجات العنصرية ويحذر من التصرفات الحالية التى تشهدها الساحة الفرنسية ، ومثل هذا التنبيه كثير هذه الأيام ، لا سيما بعد دخول رجال الشرطة مجال العنف[2] .

إن هذه العنصرية البغيضة لها جذور فى النفسية الفرنسية منذ الحروب الصليبية وهاهو « فولتير » الرمز الأكبر للتنوير الفرنسى فى العصر الحديث ، يرسل إلى « كاترين الثانية » قيصرة روسيا ، رسالة يقول فيها : أتمنى لو كنت

---

(١) صحيفة المسلمون - ١٩٩٥/٥/١٩م .

(٢) صحيفة الحياة اللندنية - ١٩٩٥/١٠/٩م .

قادراً على مساعدتك على الأقل بقتل حفنة من الأتراك المسلمين[1] .

وعن التطرف الفرنسي يذكر الأستاذ /. فهمي هويدي أن كلمة « التطرف » تعد تعبيراً مهذباً ورقيقاً للغاية في وصف الحاصل هناك ، الأمر الذي يجعلني أكثر ميلاً إلى اعتباره إرهاباً صراحاً لا يخلو من آثار بغض وكراهية للإسلام والمسلمين في آن واحد ، يلفت النظر في هذا الصدد أن الذين حدثوني عن معاناة المسلمين في فرنسا رجوني ألا أشير إلى أسمائهم ، رغم أنهم مثقفون مرموقون يحملون الجنسية الفرنسية ، لكنهم من وجهة النظر الفرنسية مجرحون بوصمتين ، الأولى أنهم مسلمون ، والثانية أنهم من أصول عربية ، وهو ما يدل على مدى الخوف والترويع الذي يعيشه المسلمون .. ولم ينس المسلمون للعهد الاشتراكي أن رئيس بلدية « إفرى » وهو شيوعي استخدم « البولدوزر » لهدم مسجد بناه المسلمون في المدينة ، ولم ينس المسلمون أن إسلامياً بارزاً هو الدكتور صالح كركر اعتقلته الشرطة مع أسرته ثم حددت إقامتهم منذ ثلاث سنوات ، ورفضت الاستجابة لطلبه بأن يحاكموه أمام القضاء ، لما رفضت إبعاده ، وأصرت على احتجازه في منطقة نائية على هذا النحو الغريب المريب[2] .

وفي حديث خطير لجاك شيراك رئيس وزراء فرنسا وعمدة باريس - الرئيس الفرنسي الحالي - نشرته صحيفة « واشنطن تايمز » بتاريخ ١٠ نوفمبر (١٩٨٦م) قال فيه : إن الإسلام هو الخصم ، وإن قاعدته هي إيران ، وأن الدول العربية التقليدية هي الدفاع الحقيقي عن الغرب ضد هذا العدو القاتل .. ويقول : إن تهديد أمريكا لليبيا وبريطانيا لسوريا هو تهديد كلامي لم يصحبه عمل فعلي ، فهو نباح كلاب دون أن تعض خصمها لدرجة قوله : لو فكرت أمريكا وبريطانيا أن تحول الكلام إلى عمل أو إلى كوماندوز ينزلون على الأرض لشاركناها !![3] .

---

(١) المرجع السابق .
(٢) صحيفة الشرق الأوسط - ١٩٩٥/١٠/٢م .
(٣) مجلة المختار الإسلامي - فبراير ١٩٨٧م .

إن وزير التعليم العالي في فرنسا « جان دي بوشان » يرى أن العرب يغزون الآن فرنسا من شمال أفريقيا والخليج ، والعقال موضة حديثة في باريس ، العرب على رؤوسهم العقال والكوفية ، وفي جيوبهم الدولارات والدنانير ونساء باريس يسرعن إليهم ، ويخشى الوزير على بلاده أن تتحول قريباً إلى بقعة عربية ، المطلوب فقط – على حد تعبير الوزير – بعض أكوام الرمال ، وعدد من الجمال ، ويصبح كل شيء على ما يرام .. لم تكن هذه الأوهام المتخلفة مجرد ثرثرة ، ولكنه سجلها في عمل مكتوب بعنوان : « حبيبتي الضاحية » وهو يرمز لفرنسا بالضاحية ، يريد أن يراها نظيفة من السود والعرب [1] .

من أبرز التطورات التي شهدتها أوروبا مؤخراً فوز الجبهة الوطنية العنصرية بثلاث مدن في الانتخابات البلدية ، وقد أثار هذا الفوز مسلمي فرنسا نظراً لأنه يعني أن الجبهة العنصرية المعادية للمهاجرين من شمال أفريقيا أصبحت تشكل ملمحاً كريهاً ومرفوضاً من ملامح السياسة الفرنسية ، وليس أدل على ذلك من أن « جاك لانج » وزير الثقافة السابق صرح بأن هذا الفوز « ليس ثورة انتخابية ، وإنما نبتة سامة ترسخ جذورها في المجتمع » .. وقد سيطرت حالة من الدهشة والذهول في فرنسا عندما حصلت الجبهة بزعامة « جان ماري لوبن » على ١٧٪ من أصوات الناخبين في انتخابات الرئاسة الفرنسية الأخيرة [2] .

وقد كتب الدكتور أحمد القديري في صحيفة « الشرق » القطرية ، يقول : صدرت في فرنسا مجلة « جولياس » المسيحية المعتدلة تحمل في عدديها ٢٧ ، ٢٨ تحقيقاً ضافياً عما سمته المجلة « عودة الصليبيين » أثبت بالبراهين أن المنظمة المتطرفة المدعوة بالإخاء المسيحي ، ومنظمة إخاء

---

(١) لمعي المطيعي – صحيفة الوفد – ١٩٩٥/٧/٣٠م .
(٢) صحيفة الأهرام – ١٩٩٥/٦/٢٣م .

القديس بطرس قد عقدتا حلفاً سياسياً مع حزب الجبهة الوطنية العنصرية ، وأطلقوا على هذا الحلف اسم « الوطنيون الكاثوليك » ، وهو نوع من التحزب العرقى المتطرف ، وقد نشر القس « لاجيرى » مقالاً فى صحيفة « لوموند » فى ١٩٩٠/٨/١٧ قال فيه : إن المسلمين كلهم كالنساء يضعفون إذا قويت معهم ، ويطغون إذا ضعفت بإزائهم » .. هكذا يتحدث كاتب الإخاء المسيحى ، أما المنظمة الثانية فقد أصدرت مجلة بعنوان : « إعادة الغزو » كتب فيها برنارد لويس مقالاً جمع فيه فى سلك واحد بين الكفر والنازية والشيوعية والإسلام !! والأغرب والأنكى أن هذه المنظمة المتطرفة تلقت من الرئيس الزائيرى « موبوتو » – الذى حدث ضده انقلاب عسكرى وفر إلى المغرب حيث توفى بعد عدة أشهر فى ١٩٩٧/٩/٧ – دعماً مالياً كبيراً مشاركة منه فى أنشطتها المتطرفة .. وهكذا فإن الصليبيين عائدون [1] .

ويذكر أن فرنسا طردت إمام مسجد مدينة « شوشو » ، وكذلك طردت من قبله إماماً تركياً آخر لأحد المساجد ، هو كاظم أونال ، وذلك باتهامهما بالأصولية [2] !!

كما قامت السلطات الفرنسية بطرد أحد أئمة المساجد بتهمة تحريض المسلمين على مخالفة القوانين الفرنسية والإدلاء بتصريحات معادية للسامية ، وقال مسئول فرنسى : إن بلاده أعادت عبد الله حمدون إلى وطنه المغرب لأنه يمثل خطراً على أمن البلاد [3] .

وقد قام ثلاثة من ضباط البوليس الفرنسى بالضرب الوحشى على سيد محمد عمرى ٢٩ سنة ، وهو مواطن فرنسى مغربى الأصل ، وأصدر قاضى المحكمة أمراً بحبس رئيس دورية الشرطة ونائبيه حبساً احتياطياً والتحقيق

---

(١) الشيخ محمد الغزالى – صحيفة الشعب – ١٩٩٢/٢/٢٠ .
(٢) صحيفة الحياة اللندنية – ١٩٩٤/١٠/٣٠م .
(٣) صحيفة الأحرار – ١٩٩٤/١٠/٢٣م .

معهم فيما نسب إليهم من استخدام العنف مع سبق الإصرار والترصد وانتهاك حقوق الإنسان والسرقة [1] .

وقد لقى مواطن مغربى آخر يبلغ من العمر ٥٢ سنة حتفه متأثراً بجروح أصابه بها عسكرى فرنسى فى بايون جنوب غرب فرنسا [2] .

كما لقى مواطن مغربى آخر مصرعه على أيدى متطرفين يمينيين فى باريس وألقوه فى نهرالسين ، وقد تقدم الرئيس الفرنسى - الراحل - ميتران مظاهرة من ١١ ألف شخص للتنديد بوجه العنصرية القبيح ، وعلى ضفاف نهر السين وقف ميتران دقيقة حداداً على روح ضحية العنصرية ، المغربى إبراهيم بوعرام [3] .

وهذا مهاجر مغربى آخر يُدعى عبد المجيد مهدى (٤٥ سنة ) أُبعد عن فرنسا بعد أن قضى فيها ٢٢ عاماً ، ومنذ طرده عام ١٩٩٢م كتب أكثر من ١٢٠ عريضة احتجاج مطالباً السلطات الفرنسية بإلغاء قرارها بإبعاده نظراً لنشاطه فى جمعيات تعمل لصالح المهاجرين [4] .

مقال خطير نُشر فى جريدة « ليبراسيون » الفرنسية بتاريخ ١٩٩٥/٧/٣م بقلم عالم الاجتماع الفرنسى « جان بودريان » يقول فيه : إن الرأى العام الغربى قد اعترف أخيراً أن الجانب المعتدى فى حرب البلقان هم الصرب ، لكن أحداً لن يستخلص النتيجة العملية لهذه الحقيقة الواضحة ، والحقيقة كما يقول هى أن الصرب هم حلفاء الغرب فى عملية التنقية لتخلص أوروبا من الأقليات غير المرغوب فيها ، من أجل إقامة نظام عالمى جديد تختفى فيه أية معارضة راديكالية لقيم الغرب التى وصفها الكاتب

---

(١) صحيفة الأهرام - ١٩٩٥/٨/١٥م .
(٢) صحيفة الشرق الأوسط - ١٩٩٥/١٠/٤م .
(٣) صحيفة الوفد - ١٩٩٥/٥/٥م .
(٤) صحيفة الشرق الأوسط - ١٩٩٥/١٠/٢٤م .

بأنها قيم الديكتاتورية الديموقراطية لحقوق الإنسان وشفافية آليات السوق ..
ويضف « بورديان » إن الغرب قد صنف الصرب كمعتدين لكنه يأبى أن
يضعهم فى مصاف الأعداء ، والسبب كما يقول : إننا نحن الأوروبيين
نحارب نفس العدو الذى يحاربه الصرب ، وهو الإسلام والمسلمون ،
فضحية هذه الحرب هى الثقافة الأخرى التى تتعارض مع نظام دولى بلا قيم
يريد فرض قيمه على الجميع[1] .

* * *

---

(١) صحيفة الأهرام - ١٩٩٥/٧/١١م .

وفى باريس لطخ مجهولون المركز الإسلامى بالشعارات العنصرية المندّدة بالمسلمين قبيل إقامة صلاة الجنازة على المهاجر المغربى بوعرام - الذى أغرقه العنصريون فى نهر السين - كما صب المخربون بعض المواد الغروية فى الأقفال الخارجية للمسجد ، وقال إمام المسجد : « نأمل أن تشدد المراقبة على مسجد باريس وسائر مساجد فرنسا فى هذه المرحلة المضطربة ، ملمحاً إلى مقتل اثنين من المسلمين مؤخراً ، كما قتل أعضاء فى الجبهة الوطنية المتطرفة شاباً مسلماً من جزر القمر ( ١٧عاما ) بالرصاص » (١) .

وقد قضت محكمة فى مدينة « جرينوبل » الفرنسية الوقعة بجبال الألب بتغريم ستة سياسيين يمينيين محليين مبلغ خمسة آلاف فرنك لكل منهم لإثارتهم مشاعر الكراهية العنصرية فى منشور انتخابى يقول : إن الإسلام يشكل خطراً على المجتمع الفرنسى ، وحكم عليهم أيضاً بدفع عشرين ألف فرنك تعويضاً لثلاث جماعات مناهضة للعنصرية تولت رفع القضية(٢) .

**العنصرية فى ألمانيا :**

هذا تحقيق رائع مفصل عن العنصرية فى ألمانيا ضد المسلمين نشرته مجلة « رسالة الجهاد » الليبية فى عدد شهر مايو (١٩٩٠م) جاء فيه : يرى أحد علماء الطبيعة الألمان أنه أحب إليه أن يُبنى « مفاعل ذرى » أمام بيته من أن يُبنى مركز إسلامى ، ذلك لأن « المفاعل الذرى » يمكن أن يحسب حسابه ، بينما لا يدرى أحد متى ينفجر المركز الإسلامى .. ومدى الأخطار التى قد تنجم عن ذلك !!

ففى المجتمع الألمانى صار المسلم عامة ، والتركى خاصة قضية الساعة ، فإذا تحدث الناس عن البطالة أُقحم الأتراك على أنهم السبب فى تفشيها ،

---

(١) صحيفة المسلمون - ١٢/٥/١٩٩٥م .
(٢) مجلة الوعى الإسلامى - سبتمبر ١٩٩٢م .

رغم أن الألمان دفعوا بهم فى الأعمال التى يأنفون منها مثل : المناجم - شق الطرق ، وسائر الأعمال الخطيرة ، وإذا استعر النقاش حول مشاكل البيئة زُجّ بهم أيضاً لأن « ذبائحهم الحلال » سبب القذارة .

« أخرجوا أيها الأتراك » .. إنه وسام الاستحقاق الأكبر على طريقة النازية الجديدة ، إنه الشعار الذى يرفعونه ويطبقونه أيضاً .. الجدران والأبواب ودورات المياه والصحف والمجلات ملأى بالعبارات العنصرية المعادية .

« أخرجوا يا رعاة الإبل » .. لقب آخر أعم وأشمل ، إنه الإهانة الجماعية للشرق كله .. ليس ذلك فحسب ، بل إن مجلة « دير شبيجل » الألمانية نشرت فى عددها رقم ٨٢٢١ نماذج من رسائل قرائها جاء فيها : هؤلاء الجرذان ، الحثالات ، الحشرات القذرة ، هؤلاء الأسيويون الهمج اجتاحوا بلادنا كالجراد ، وحولوا ألمانيا إلى مستعمرة ألمانية إسلامية ، يجب أن نُخصى رجالهم وأن نستأصل أرحام نسائهم ، وأن نشجع الاعتداء على محلاتهم ، إنهم أنصاف قردة وليسوا بشراً ، ولقد آن الأوان لظهور هتلر جديد .

وقد حملت موجة الاضطهاد والعنصرية هذه أحد الصحافيين الألمان ؛ لأن يعيش بنفسه « يوميات عامل تركى مغترب » تنكر فى زى تركى ، لحيته وشارباه وشعر رأسه صبغها بلون أسود ، ووضع على رأسه قبعة زرقاء ، وعلى عينيه نظارة سوداء ، وبدأ رحلة العذاب لمدة سنتين ونصف ، صور وسجل فى الخفاء أوضاع العمل الاستغلالية والعنصرية الفجة التى يعانيها المسلمون الأتراك خاصة عبر تجربته الذاتية حين يقول : يضطر المرء للتنكر كى ينزع القناع عن المجتمع ، إذ لا يمكن التوصل للحقيقة فى هذا المجتمع إلا بالخداع .

فى شهر مارس ١٩٨٣م ظهر فى صحيفة ألمانية الإعلان التالى :

«أجنبي قوى البنية ، يطلب عملاً من أي نوع كان ، حتى الأعمال الصعبة الشاقة والقذرة لقاء أجر زهيد» .

وكان يُفترض أن صاحب الإعلان هو عامل تركي اسمه «علي سنيرلي أو غلو» ، وقد حصل بعد إعلانه على وظائف قذرة وخطرة وغير صحية وقليلة الأجر، ومقترنة بالظلم .

في أكتوبر ١٩٨٥م اعترف «علي» بأن اسمه الحقيقي «غنتر ولاراف» ، وأنه صحافي ألماني مختص بالتحقيقات ، وأنه صور وسجل جميع التجارب المرعبة التي مرّ بها بآلة تصوير فيديو كان يحملها خفية ، وقد احتلت تحقيقاته صفحات ، وصفحات من مجلته ، قدم خلالها عرضاً موثقاً اقشعرت من هوله الأبدان ، ولعل أبلغ ما قاله عبارته التي اختتم بها تحقيقاته : لقد حمدت الله أنني لست تركياً !! وقد أصدر هذه التحقيقات في كتاب عنونه بـ «في الدرك الأسفل» بيع منه ٢ مليون نسخة في ألمانيا وحدها ، حيث ترجم إلى مختلف اللغات الأوروبية الرئيسية ، كما ترجم للتركية .

وقد صور «ولاراف» وسجل تجربته الشخصية وسط العمال الأتراك بآلة فيديو خاصة صامتة لا تحتاج لضوء ، أُخفيت عدساتها وراء رقاقة معدنية داكنة كان يحملها في حقيبة يد لا تفارقه ، وقد تعلم كيف يصور بها بمجرد تحريكه الحقيبة .

ويبين شريط الفيديو كيف أن العمال المسلمين الأتراك يتعرضون للغبار الكثيف لخام «الأسيستوس» وللنفايات السامة بدون كمامات أو ملابس واقية ، مثال ذلك : عمال يكنسون الغبار السام في معمل «ذايسين» لصهر الحديد ، بدون كمامات في حين زُوِّد العمال الألمان بالكمامات الواقية ، وفي مكان آخر يتنفس العمال الأتراك السموم المميتة ، حيث عُطِّل عمداً جرس الإنذار الذي يطلق صفيراً عندما تبلغ درجة السموم نسبة عالية في الهواء .

وفى مكان آخر أصدر رب العمل أمره للعمال المسلمين بإزالة رواسب طينية نصف مجمدة بدون قفازات ، رغم اللافتات التى تحمل عبارة « احذر غاز خطر » وإذا تجرأ أحد العمال على الاعتراض ، أو على الالتزام بصفارات الإنذار ، أو لافتات وأضواء التحذير يفقد العمل .

إن غياب عقود العمل وإيصالات دفع الأجور والضمان الصحى على حد تعبير « ولاراف » جعل العمال عبيداً لأرباب العمل .. وقد اشتكى « ولاراف » بعد شهرين من العمل غير القانونى بعدم تسلم أجره ، فلم يستمع إليه أحد !!

ويقول « ولاراف » : إن الطريقة التى استخدم بها المقاول « فوغل » العمال المسلمين لتنفيذ أعمال معمل « ذايسين » ليست إلا تطبيقاً للرأى السائد فى ألمانيا القائل : « يجب طرد الأجانب وعدم تزويدهم بأى عمل ، وإن كان لابد ، فليزودوا بأسوأ الأعمال وفى أحقر الظروف » .

ويروى « ولاراف » أنه طُلب من عامل تركى أن يتخلى عن خوذته الواقية لعامل ألمانى أثناء تساقط نفايات معدنية ، وقد علق هذا العامل على ذلك الطلب متسائلاً بمرارة ، عما إذا كان رأس الألمانى هو حقاً أفضل من رأسه ؟!!

ويروى « ولاراف » أنه وضع خطة لامتحان المقاول « فوغل » لإقامة الدليل على استعداده للتضحية بهؤلاء العمال فى مشاريع قد تعرضهم لمخاطر الموت ، حيث ادَّعى عدد من أصدقاء « ولاراف » أنهم يعملون موظفين فى « مصنع نووى » ، وأوهموه أنهم سيعطونه عقداً سرياً ضخماً لو أتى لهم بعمال أتراك لإصلاح منطقة ملوثة جداً فى « محطة لتوليد الطاقة الذرية » ، ورغم علمه بمدى خطورة الإشعاع الذى يعرض العمال لخطر الموت بالسرطان ، إلا أنه قبل العرض ، على أن يتم ترحيل العمال فور انتهاء العمل .

وقد زود هذا « المخطط » « ولاراف » بالدليل الذى كان يبحث عنه لتعزيز ما يريد إثباته للعالم « بأن العمال المسلمين الأتراك لا يُعاملون كبشر ، بل كسلع استهلاكية » .

عاش « ولاراف » داخل مجتمع المسحوقين ، وتعرض لكثير من الإهانات العنصرية التى باتت تصاغ ضمن شعارات رائجة تقول : « قفوا التجارب على الحيوانات ، واستعملوا الأتراك بدلاً منها » وآخر الكلمات العنصرية الساخرة هى : « كم من الأتراك يمكن أن تحشرهم فى سيارة من نوع ( الفلوكس فاجن ) ؟ الجواب : ٢٠ ألف تركى ، نضع اثنين فى الخلف ، واثنين من الأمام .. والباقى فى منفضة السجائر » !!

يقول « ولاراف » : لقد اهتززت من الأعماق حين اكتشفت هذه التفرقة العنصرية وتجارة العبيد الجديدة فى المجتمع الألمانى .

ومن التندرات الساخرة التى يتناقلونها ضد المسلمين الأتراك قولهم : ما الفرق بين الحادثة والكارثة ؟ والإجابة : الحادثة أن تغرق سفينة محملة بالمسلمين الأتراك فى ميناء هامبورغ ، أما الكارثة فهى أن ينجح أحد هؤلاء الأتراك فى النجاة من الغرق والسباحة إلى الشاطئ الألمانى » !!

بل إن عضو البرلمان الألمانى « توماس شرودر » يقول : لقد ابتلعت منطقة « الروهر » على مدى مائة سنة كل موجات الأجانب دون أن تخلف أثراً ، لكن اندماج الأتراك بالبيئة خلال ١٥ سنة لم يتقدم نحو الأمام خطوة واحدة » .

والواقع أن هذا العضو البرلمانى ليس وحده الذى يذهب هذا المذهب ، بل كثيرون غيره يتمنون أن لو يعدل هؤلاء المسلمون عن موقفهم الإسلامى المتصلب مجاملة لحقوق الضيافة ، إنهم يودون لو شاركوهم خنزيرهم ، لو وضعوا القبعة ونزعوا القلنسوة ، لو قرؤوا القرآن باللاتينية ، لو خلعت المرأة إهاب الحشمة والوقار والعفاف فدخنت ورقصت وشقت عصا الطاعة ، ودَّ

هؤلاء لو تجاهل المسلمون الأذان ، ونسوا الصلاة ، وأضربوا عن صوم رمضان ، وتنكروا لكل ما يميز شخصيتهم الإسلامية .

وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ** ﴾ .

( البقرة : ١٠٩ )

ويقول تعالى : ﴿ **وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً** ﴾ (النساء : ٨٩) كما يقول ذو النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه : « ودَّت الزانية لو زنت النساء كلهن » .

وجهت إدارة مراقبة مؤسسات التأمين الألمانية تحذيراً لمعظم شركات التأمين – خاصة على السيارات – لأنها تعامل الأجانب ، كالأتراك والعرب معاملة شاذة وغير قانونية وتفرض عليهم أعباء مالية إضافية بدعوى عدم إتقانهم قيادة السيارات ، وأضافت الإدارة أن معدل الزيادة الذى تفرضه شركات التأمين الألمانية على الأتراك والعرب يتراوح بين ٢٠ – ٥٠٪ لمجرد كونهم أجانب [١] .

وقد ألقت الشرطة الألمانية القبض على ثلاثة من حليقى الرؤوس للتحقيق معهم فى حادث حريق هائل نشب فى مجمع اللاجئين يسكنه عرب وأفارقة فى مدينة «لوبيك» وقتل فيه ٩ أشخاص منهم ٣ أطفال حسب الإحصائية الأولية ، وتتجه أصابع الاتهام إلى جماعات عنصرية ألمانية في التسبب فى هذا الحريق ، وكان محافظ مدينة «لوبيك» ميشائيل بوتييه ، ووزير الداخلية قد زارا موقع الحادث عند منتصف النهار وتحادثا مع عوائل الضحايا ، وفى حين وصف «بوتييه» الحادث بأنه أسوأ كارثة تشهدها مدينته ، فإن وزير الداخلية «إيكاردت فينهولتن» عبّر عن قناعته بأن الحادثة تعد أخطر جريمة ضد الأجانب فى تاريخ ألمانيا [٢] .

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط – ١٩٩٥/١٠/٣١م .

(٢) صحيفة الشرق الأوسط – – ١٩٩٥/٣/٢٤م .

وقد حكمت محكمة «زولينجن» على أربعة شبان ألمان عنصريين بعد إدانتهم بتهمة حرق منزل تركى فى المدينة عام ١٩٩٣ ذهب ضحيته خمس نساء (١) .

وأقدم مجهولون على جريمة أخرى في مسلسل الجرائم ضد رموز الثقافات المهاجرة ، وذلك بإحراق مبنى فى إحدى ضواحى مدينة «أوسنابروك» غرب ألمانيا ، وهو مبنى يضم مسجداً للجالية التركية ، وأكدت الشرطة أن الأدلة تؤكد أن الحريق متعمد واستُخدمت في إضرامه عدة زجاجات حارقة أُلقيت على بناء المسجد خلال الساعات الأخيرة من الليل ، وأن وراءه مجموعات يمينية ألمانية متطرفة معادية للأجانب ، وقد عمد المتطرفون كذلك إلى إحراق مسكن لعائلة بوسنية شمال ألمانيا فى الوقت الذى تتابع فيه وسائل الإعلام الألمانية محاكمة عدد من العنصريين أقدموا قبل نحو عامين على إشعال النار فى منزل عائلة تركية غرب ألمانيا مما أسفر آنذاك عن مقتل ثلاثة أشخاص بينهم فتاتان صغيرتان (٢) .

وقد أصدرت محكمة الجنايات في العاصمة الألمانية «بون» حكماً مشدداً على امرأة ألمانية تدعى «سابينة» عمرها ٣٣ سنة بسبب تورطها فى محاولة قتل فتاة مغربية تبلغ من العمر ١٧ سنة ، إذ طعنتها فى رقبتها بسكين حاد ، مما أدى إلى تمزق عضلات الرقبة وقطع جزء من الشريان الرئيسى فيها (٣) .

يذكر أن وزارة الداخلية الألمانية قد قررت تكليف جامعتى «مونستر - ترير» الألمانيتين بإعداد دراسة رسمية عن استعمال العنف ضد الأجانب بعد أن سجلت مئات من حالات الاعتداء على الأجانب مورست خلالها

---

(١) صحيفة الحياة اللندنية - ١٩٩٥/١٠/٢٤م .
(٢) صحيفة الشرق الأوسط - ١٩٩٥/٧/٢٢م .
(٣) صحيفة الشرق الأوسط ١٩٩٥/١٢/١٩ .

أساليب التعذيب النفسي والجسدي ضدهم ، وكذلك استخدام الغاز المسيل للدموع والاعتداء الجنسي والإعدامات الصورية (إطلاق النار على صدغ الضحية بمسدس فارغ) ، وقد أخضع العلماء ١١٦ شرطياً إلى أسئلة مكثفة حول أوضاع العمل والموقف من الأجانب ، على أساسها أعدوا هذه الدراسة [١] .

* * *

(١) صحيفة الشرق الأوسط ١٩/١٢/١٩٩٥ ، ٢٣/٢/١٩٩٦م .

- **العنصرية فى اليونان :**

من شواهد الاضطهاد أن هناك ضغوطاً مركزة على الجالية المسلمة لإجبارهم على الهجرة رغم نصوص معاهدة « لوزان » بين تركيا واليونان ، والتى تضمن معاملة عادلة لمسلمى اليونان ، وخاصة منطقة « تراقيا الغربية » والتى عقدت بينهما سنة (١٩٢٤م) ، حيث تمنع الحكومة اليونانية من يهاجر من أبناء الجالية المسلمة من بيع أرضه وممتلكاته لأفراد جاليته المسلمين ، ولا تسمح بالبيع إلا لليونانيين ، وهذا يعنى تقليص ملكية الجالية المسلمة ، التى انخفضت بالفعل فى « تراقيا الغربية » من ٨٤٪ سنة (١٩٢٢م) إلى ٥٠٪ حالياً ، وانخفض عدد القرى المسلمة من ٣٠٠ قرية إلى ٤٢ قرية فقط ، كما تمنع الحكومة المسلمين من زيادة مساكنهم عن طابق واحد ، وكذلك تمنعهم من بناء المساجد[١] .

ومنذ عام (١٩٦٧م) وبالمخالفة للمعاهدة المذكورة لم يعد يُسمح للمسلمين بانتخاب مديرى الأوقاف الإسلامية ، بل تقوم السلطات بتعيينهم دون أخذ رأى الجالية المسلمة ، كما أن قانون المواطنة اليونانى يسحب الجنسية من المسلمين إذا أقاموا بالخارج لفترات طويلة ، وقد أسقطت الجنسية عن آلاف المسلمين طبقاً لهذا القانون[٢] .

وأكد « طانير مصطفى أوغلى » رئيس جميعة التضامن لمسلمى « تراقيا الغربية » مقرها « اسطنبول » إن الحكومة اليونانية قررت سحب الجنسية اليونانية عن عدد من المسلمين فى الإقليم ، وذكر أن الحكومة تعتمد خطة تهدف إلى تقليص عدد المسلمين ، إما بسحب الجنسية ، أو بدفعهم للهجرة[٣] .

وقد قامت السلطات اليونانية فى تراقيا بالقبض على الشيخ محمد أمين

---

(١) سيد بكر - مرجع سابق - ص ٢٣ .
(٢) صحيفة الشعب - ١٩٩٥/٨/٢٠م .
(٣) صحيفة المسلمون - ١٩٩٥/٧/١٤م .

أغا الذى اختير مفتياً من قبل الجالية المسلمة وأودعته السجن لمدة عشرة أشهر خارقة بذلك معاهدة «لوزان» ، وكذلك الدستور اليونانى الذى تنص مادته ١٣ على حرية الأديان والمعتقدات ، ومن قبل قامت السلطات اليونانية باعتقال النائب اليونانى المسلم أحمد صديق عام (١٩٩٠م) لمدة ١٨ شهراً ، لاتهامه الحكومة اليونانية علناً بإساءة معاملة المسلمين [١] .

وقد قام يونانيون متطرفون بحرق مسجد «داذا أغاتش» الشهير باسم «صلاح الدين» آخر المساجد التاريخية فى تراقيا الغربية ، وقع الحادث بعد منتصف ليلة ١٩٩٣/٣/١٣م [٢] .

وقد أفادت الشرطة فى قبرص اليونانية أن أضراراً جسيمة لحقت بمسجد فى الشطر اليونانى من العاصمة القبرصية «نيقوسيا» نتيجة عبوة ناسفة وضعها متطرفون [٣] .

## - العنصرية فى بلغاريا - رومانيا - المجر :

ارتبط الإسلام فى ذهن العناصر المضادة له فى هذه الدول الثلاث بالأتراك العثمانيين الذين احتلوها قروناً عديدة ، فأصبح الميراث التاريخى عبئاً ثقيلاً على الجالية المسلمة فيها ، حيث تحاول كلّ بلد منها دفع المسلمين إلى الهجرة ، حيث سحقت هذه الدول الجاليات المسلمة بها مما دفع برابطة العالم الإسلامى إلى المطالبة برفع الظلم والاضطهاد والعنصرية عنها فى هذه الدول الثلاث فى المذكرة التى رفعتها لمؤتمر القمة الإسلامى الثالث ، لإنقاذهم من الوضع المتردى الذى يعيشون فيه ، ومن ذلك هدم وإغلاق كثير من المساجد ، ومنع إقامة مساجد جديدة ، وتحرم السلطات أن يجتمع فى المساجد القائمة أكثر من ٢٠ فرداً [٤] .

(١) صحيفة العالم الإسلامى - ١٩٩٥/٧/١٠م .
(٢) مجلة الوعى الإسلامى - شوال ١٤١٣هـ .
(٣) مجلة المجتمع - ١٧ شوال ١٤١٤هـ .
(٤) سيد بكر - مرجع سابق - ص ٣٢ ، ٣٣ .

يُذكر أن المسلمين البلغار بصفة خاصة قد عانوا الكثير من الاضطهاد والعنصرية والتعصب ، وكلنا يذكر حملات السلطات البلغارية لإجبار المسلمين على تغيير أسمائهم الإسلامية إلى أسماء بلغارية ، أو الزج بهم فى غياهب السجون ، أو دفعهم للهجرة ، وكذلك إجبار النساء المسلمات على الزواج بغير المسلمين ، ولازالت هذه الممارسات تجرى من آن لآخر .

وقد كشف الستار عن عصابة دولية تقوم بسرقة الأطفال المسلمين البلغار وتهريبهم بمبلغ يتراوح بين ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ دولار بهدف الاتجار بهم[١] .

**- العنصرية فى دول اوروبية اخرى :**

رغم أن هولندا لا تشتهر كألمانيا وفرنسا بالعنصرية ضد العرب والمسلمين المهاجرين إلا أنه قد ظهرت أصوات عنصرية حزبية وغير حزبية تطالب بطرد الأجانب أو على الأقل دمجهم - على الطريقة الفرنسية - فى المجتمع الهولندى و « هلندتهم !! » ، وقد ساعد على تنامى هذه النظرة العنصرية وجود بعض الأحزاب الهولندية التى تتبنى النهج العنصرى وتطالب بطرد المهاجرين ، مثل الحزب العنصرى المتطرف (C. I.D) ، وبصورة أقل حزب الديمقراطيين المسيحيين (C. D. A) ، ويتبنى - كما يقول المغربى « الحدوشى عبد السلام » نائب مسجد الفتح فى مدينة هلفرسم - آراء عنصرية تطالب بطرد الأجانب للقضاء على أى مشاكل لهولندا مستقبلاً[٢] .

وفى إيطاليا دعت حركة « أنصار رابطة الشمال » السياسية المغالية فى عنصريتها للجوء للقوة للسيطرة على المهاجرين ، وبخاصة استعمال بنادق الرصاص « المطاطى » التى تستخدمها قوات الأمن لإخماد الثورات المدنية الخطيرة فى الدول الدكتاتورية ، ووسط هذه الدعوات التى تحمى لهيب

---

(١) صحيفة المسلمون - ١٩٩٥/٤/٢١م .
(٢) صحيفة الشعب - ١٩٩٥/٨/٨م .

العنصرية ضد كل من لا يظهر بمظهر إيطالى وردت انتقادات لموقف وزير الداخلية الإيطالى لمساندته لهم [1] .

وقد أثارت حملة المداهمات والاعتقالات من السلطات الإيطالية ضد بعض المراكز الإسلامية ومنازل المسلمين انتقادات الجالية الإسلامية ، حيث ذكر الشيخ « أنور شعبان » مدير المعهد الثقافى الإسلامى فى « ميلانو » ، الذى اقتحمته السلطات وسلبت محتوياته ، أن العنصرية الإيطالية بلغت أوجها ، الجدير بالذكر أن اليمين المسيحى اعترض علانية على بناء مسجد روما ، حتى دعت « إيرينه بيبتى » رئيسة مجلس النواب الإيطالى لحضور صلاة نظمتها جماعة « ليانتو » الكاثوليكية اعتراضاً على افتتاح المسجد [2] .

وفى العاصمة الأسبانية مدريد استخدمت الشرطة الهراوات ضد بعض المهاجرين المغاربة المقيمين بمنطقة « بنياجراندى » لإجبارهم على الرحيل منها إلى أماكن أخرى [3] .

وفى سويسرا قام عنصريون بحريق متعمد استهدف متجراً تركياً ، أسفر عن إصابة ثلاثة أتراك ، وخسائر بملايين الفرنكات ، وقد أوقد العنصريون النيران فى معظم أرجاء المبنى [4] .

### - قطار ضد كراهية الأجانب !!

وفى كوبنهاجن عاصمة الدانمرك انطلق نحو مائة شاب من دول شمال أوروبا وجمهوريات البلطيق على متن « قطار ضد كراهية الأجانب » للقاء آلاف من الشباب الأوروبى فى « ستراسبورج » حيث تشهد « أسبوع الشباب

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط - ١٩٩٥/١١/٩م .
(٢) صحيفة الشرق الأوسط - ٧/١ /١٩٩٥م .
(٣) صحيفة الشرق الأوسط - ١٩٩٥/١١/٢ .
(٤) صحيفة الحياة - ١٩٩٥/١١/١١م .

ضد العنصرية والتعصب » وقالت وزيرة الاقتصاد الدانمركية « ماريان جيلفيد » التي تتولى أيضاً رئاسة مجلس وزراء دول الشمال إن « أوروبا يجب ألا تكون مقسومة إلى مقصورات لركاب الدرجة الأولى ، وآخرون في الثانية والثالثة بحسب لون بشرتهم وأصولهم ، وأوضحت أن الهدف من هذه الحملة إثارة مناقشة سليمة لاستئصال العنصرية ، ويتوقف القطار في بعض العواصم الأوروبية في إطار نشاطات لمكافحة العنصرية »[1] .

* * *

(١) صحيفة الحياة - ٧/٨/١٩٩٥م .

## ثانياً : التعـليم

تتعدد المشاكل الناتجة عن النظام التعليمى والمناهج الدراسية الموجهة لأبناء الجاليات الإسلامية فى أوروبا من قبل وزارات التعليم فى هذه الدول ، وتتبلور هذه المشاكل فى مشكلتين رئيسيتين ، نذكرهما ، ثم نتبعهما بالشواهد والدلائل ، كما يلى :

### ١ - الإسلام والمسلمون فى المناهج الدراسية بأوروبا :

قام البروفيسور « عبد الجواد فلاتورى » المستشرق الألمانى ، ومعه زميلته البروفيسورة « توروشكا » بدراسة منهجية شارك فيها فريق من الباحثين الألمان ، بعضهم مسلم والآخر غير مسلم على الكتب الدينية المدرسية التى تدرس لطلاب ألمانيا ، وفرنسا ، وانجلترا ، وهولندا ، وأسبانيا ، وعدد آخر من الدول الأوروبية .. الدراسة استغرق إعدادها نحو ١٤ سنة ونشرت بالألمانية والإنجليزية والعربية ، وذلك من خلال « الأكاديمية الإسلامية للعلوم » بكولونيا بألمانيا ويشغل منصب المدير بها البروفيسور « فلاتورى » نفسه ، وقد ارتكزت الدراسة التحليلية على خمسة أبعاد أساسية ، تناولت نظرة الكتب الدينية المدرسية إلى « الله » عند المسلمين والقرآن وشخصية الرسول ﷺ ، والمجتمع الإسلامى أو الأمة بالتعبير القرآنى ، ومسألة علاقة الإسلام بالأديان الأخرى ، وخاصة النصرانية واليهودية ، وقد أثبتت الدراسة أن ثمة خلطاً وتشويهاً واضحين وقعاً فى الكتب ، وبالتالى فى عقلية التلاميذ ، ومن ثم فى العقلية الغربية ونظرتها للإسلام والمسلمين ، ومن بين الإدعاءات الخطيرة التى امتلأت بها الكتب عدم فهم حقيقة عقيدة التوحيد ، والعيب على عقيدة القضاء والقدر و « وصف القرآن بالتناقض ، وأن بعضه مأخوذ من الكتب السالفة »[1] .

---

(١) صحيفة المسلمون - ١٩٩٥/٥/٥م .

وقد أكد العلماء والباحثون الإسلاميون - المشاركون فى مؤتمر الحوار الإسلامى المسيحى بسويسرا عام ١٩٩٥م بمناسبة مرور ٩٠٠ سنة على بدء الحروب الصليبية - أن المناهج التعليمية الأوروبية تشوه صورة الإسلام والمسلمين ، وقد طرحت الدكتورة « فوزية الشافعى » الأستاذ بالجامعات السويسرية - بحثاً فى المؤتمر حول صورة الآخر فى كتب التاريخ والجغرافيا فى شمال وجنوب حوض البحر المتوسط ، بعد أن اختارت أسبانيا وفرنسا واليونان ممثلات لأوروبا المسيحية ، وأوضحت الدكتورة فوزية أن كتب التاريخ والجغرافيا فى أوروبا تصور المسلمين على أنهم « برابرة » و « وحوش » وتصف كلمة الفتح الإسلامى بـ « الغزو » ، كما صورت المسلمين على أنهم « سفاكو دماء » و « أصحاب عنف دموى » واعتبرت الكتب أيضاً أن القرآن مجرد كتاب يحتوى على تعاليم « محمد » للمسلمين ، ونفت أنه وحى من الله تعالى ، وأشارت الدكتورة فوزية فى بحثها إلى أن خطورة تلك المناهج تعود إلى أنها تُدس لتلاميذ الصفوف الابتدائية ، وبالتأكيد فإن ما يدخل فى « الدماغ » فى تلك الفترة لا يخرج بعد ذلك[1] .

ويقول الخبير النمساوى « أوتو هابسبورج » - وهو مؤرخ وسوسيولوجى - إضافة لعضويته فى البرلمان الأوروبى : إن الأوروبيين يجهلون الكثير عن الشعوب الإسلامية وعن الإسلام ، وأن برامج التعليم فى أوروبا لا تُعرِّف الأجيال الأوروبية حتى بالقرآن ، بقدر ما تحيلهم إلى حساسيات تاريخية ، وأشار إلى ظاهرة حديثة فى الإدراك الأوروبى - نتيجة المناهج التعليمية - وتتمثل فى موضوع الأصولية الذى بدأ بدوره يكيف الفكر السياسى الحديث ، معتبراً أن كل الشعوب توجد بها فئات متطرفة ، والمشكلة أن صورة الإسلام لدى الأوروبى - والتى تنشأ معه منذ السنوات الأولى للدراسة - تُختزل فى التطرف دون إنصاف للمفاهيم الصحيحة للإسلام[2] .

---

(١) صحيفة الشعب - ١٩٩٦/١/٥م .

(٢) صحيفة الشرق الأوسط - ٨/٢٦ ، ١٩٩٥/٨/٢٠م .

ثم إنه لا يُعقل أن تقوم علاقات طبيعية للجاليات الإسلامية مع الشعوب الأوروبية التى ينشأ أطفالها فى مدارسهم على كتب تزخر بالطعن على المسلمين ، وتتهمهم بأسوأ الاتهامات ، وتنزل بهم من مصاف البشر إلى درك الوحوش ، وتزرى بهم وبعقيدتهم وبحياتهم الثقافية والاجتماعية ، وتحط من شأن مكانتهم فى تاريخ الحضارة الإنسانية ، وما يُلقَّنه التلاميذ فى مدارسهم من الكتب وشرح معلميهم يرسخ فى أذهانهم ، ويصاحبهم فى مراحل حياتهم ما شُربوا من معلومات أملاها روح التعصب والاستعلاء العرقى والنظرة العنصرية ، فجاءت بعيدة عن الحقيقة والنظرة الموضوعية فى معرض الحديث عن الشعوب الأخرى .. والحديث عن الكتب المدرسية يقود إلى الحديث عن كتب التاريخ عامة : للصغار والكبار ، لجمهرة القراء والمتخصصين ، فهى كتب فى أكثرها تحتاج إلى مراجعة وإعادة كتابة بحيث تلتزم الموضوعية وتتوخى الحقيقة ، وتجئ بعيدة عن الإثارة وزرع الأحقاد ، دون جور على وقائع التاريخ ولا حذف شىء من حقائقه ، فتلك الوقائع والحقائق أصبحت ملكاً للماضى الذى لا سبيل إلى تغييره ، وإنما المقصود بالدعوة إلى الابتعاد عن الإثارة وتجنب الأحقاد هو أسلوب العرض والتناول وطريقة التعامل مع وقائع التاريخ ، هذا إذا كانت آثار ذلك الماضى بوقائعه قد زالت ، ولم يعد لها أثر فى حياة أبناء الحاضر [١] .

## ٢ - منع المدارس الإسلامية :

إن قضية التعليم التى تواجه الأجيال الجديدة للجاليات الإسلامية فى أوروبا تبدو اليوم ملحة ، بل إنها تكاد تشكل أزمة بحد ذاتها ، فمن يطلع على أوضاع هذه البراعم المسلمة الصغيرة لابد أن يدرك -بكل مرارة وألم- الأخطار والمشكلات والصعوبات المحدقة بهم فى المجتمع الأوروبى والتى تهددهم ، والاحتمال الكبير بأن يجرفهم التيار مع مرور الزمن بعيداً عن إيمانهم ودينهم ، فالمؤسسات التربوية والتعليمية فى المجتمع الأوروبى تخضع

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط ١٩٩٥/٨/٢٠م .

لتصورات ومفاهيم وقيم صيغت وفقاً لقوالب ثقافية وتربوية كنسية مادية بحيث يمكن أن يتأثر أبناء المسلمين بهذه الثقافة الكنسية نتيجة حضورهم فى مدارسهم مع أترابهم الأوروبيين المواعظ والقداسات الكنسية .

فى الغربة .. وفى أوروبا ملايين المسلمين ، ربما كانوا أكثر انفتاحاً على ثقافة الآخر ، إلا أنهم يريدون تنشئة أطفالهم على مبادئ الإسلام ، الواحد منهم لا يريد أن تعود ابنته إلى المنزل بعد منتصف الليل ، ورائحة الخمر فى فمها ، أو صديقها فى يدها ، ولا يريدها حاملاً فى سن المراهقة ، أو عضوة فى فريق مدمنى المخدرات ، أو نصف عارية فى ملهى ليلى ترقص على أنغام موسيقى « البوب » لا يريدها ربيبة كأس ومخمورة ليل ومسفوكة عرض .

إن المسلمين فى أوروبا يدافعون عن خط الدفاع الأول .. والأخير ، عن كيان أسرهم ، عن أن يكون أطفالهم امتداداً طبيعياً لهم ، وهم مثل أى أقلية فى العالم ، ينتمون إلى مجتمعهم الخاص ، أما أوروبا المنفتحة المتحررة فلا تستطيع تفهم الموقف مادام خاصاً بالمسلمين ، بل تستجيب لمقولات قديمة وأحكام مسبقة وأنماط مكررة من المواقف العدائية الموروثة ضد المسلمين .. وتنظر إلى حالة « أولياء الأمور » المطالبين بفصول خاصة لأطفالهم ، أو مدرسين مسلمين مثلهم ، نظرة ارتياب ، وتتخوف الصحافة من « صراع مرير » قادم ، وتكتب عناوين ساخنة مستفزة لتحقيقات حول الموضوع ، كان أكثرها سخونة واستدعاءً لميراث العداء القديم : « محمد يدق أبواب المدارس »!!

وغالبية مسلمى أوروبا يحملون جنسية دولها ، ولكنهم لم يأتوا من الهواء ، هم فى الأصل قادمون من بلاد إسلامية « نائمة فى العسل » تضع أصابعها الباردة فى مياه أكثر برودة ، ولا تحركها قيد أنملة لمساعدة مواطنيها « السابقين » !!

وسوف نستعرض فى السطور التالية - بعون الله تعالى - نماذج من تعنت الدول الأوربية تجاه الجالية الإسلامية ، فيما يتعلق بقضية التعليم كما يلى :

- فى بريطانيا :

يبلغ عدد الجالية المسلمة ٢ مليون نسمة ، منهم أكثر من ١٠٠ ألف تلميذ مسلم تتراوح أعمارهم بين ٥ - ١٦ سنة ، وحول قضية تعليم هذه البراعم المسلمة يقول يوسف إسلام أشهر مغنى لموسيقى البوب قبل إسلامه فى حديث لمجلة « الأمة » القطرية عدد ٤٦ - يوليو ١٩٨٤ : إن هذه القضية تؤرق وتقض مضجعى وتشغل بالى وفكرى ، خاصةً بعد أن رزقنى الله بثلاث بنات . « حسنة - أسماء - ميمنة » ، وإذا كان لليهود مدارسهم الخاصة - ٢١ مدرسة - وعددهم يقل عن نصف مليون نسمة ، وللطائفة الكاثوليكية كذلك مدارسهم الخاصة - ٢١٠٠ مدرسة - ، وأيضاً ٢٠٠٠ مدرسة تابعة للكنيسة الإنجليكانية ، تقوم الحكومة البريطانية بالإنفاق على هذه المدارس .

فلماذا - والكلام ليوسف إسلام - لا تكون لنا نحن المسلمين مدارسنا الخاصة ، ونحن نشكل من حيث العدد ثانى أكبر طائفة دينية فى البلاد ؟ ، ولماذا لا نحصل على دعم مادى من السلطات التعليمية البريطانية ، وهذا الحق منصوص عليه في قانون ١٩٤٤م الذى أكده قانون (١٩٨٠م) ، إننا مازلنا ندفع الضرائب والرسوم كما يدفعها الآخرون ، فمن حقنا إنشاء مدارسنا الخاصة ، وأن تساهم السلطات فى نفقاتها كما يحدث مع الآخرين .

يُذكر أن « يوسف إسلام » يحاول منذ ما يناهز ١٥ عاماً أن يحصل على موافقة الحكومة البريطانية بتمويل مدرسة إسلامية ، ولكنها ترفض فى كل مرة دون أى مبرر ، وكان آخرها رفض « البارونة بلاتش » الوزيرة فى وزارة التعليم البريطانية تمويل المدرسة الإسلامية فى شهر أغسطس (١٩٩٥م) [١] .

وقد تقدمت أكثر من جهة إسلامية فى بريطانيا بطلبات للسماح لها

---

(١) صحيفة المسلمون - ١٩٩٥/٨/٢٠م .

بتأسيس مدارس خاصة بها ، مثل : المسجد المحمدى ، والمركز الإسلامى فى « برنت » وجمعية الخدمات الاجتماعية الباكستانية ، ومنظمة الحلقة الإسلامية ، إلا أن هذه الطلبات رُفضت جميعها [1] .

ومع بداية العام (١٩٩٦م) يحاول مسئولون فى وزارة التعليم البريطانية ، وعلى رأسهم الوزيرة « جيليان شبرد » تسوية خلاف بشأن دروس الدين فى المدارس بعدما دفع أولياء الأمور المسلمون فى بلدة باتلى فى يوركشاير بشمال انجلترا إلى سحب ١٥٠٠ تلميذ من هذه الفصول ، وهذا الاحتجاج هو الأكبر من نوعه فى المدارس البريطانية منذ عدة أعوام ، وتخشى السلطات التعليمية فى « يوركشاير » أن يتأثر ٤٠٠٠ تلميذ مسلم فى حال تطور الخلاف ، وقد انتقد « محمد أمين » - عضو الجمعية الإسلامية فى « باتلى » هذا الوضع التعليمى ، وقال « إبراهيم هويت » من اتحاد المدارس الإسلامية : « إن نظام دروس الدين فى المدارس البريطانية ليس لصالح المسلمين ، وأنه من غير المنطقى أن يكون المنهج الدينى المسيطر هو المسيحية فى مناطق فيها عدد كبير من المسلمين » [2] .

- **فى فرنسا** [3] :

عرضت « مارلين نصر » من خلال كتابها (صورة العرب والإسلام فى الكتب المدرسية الفرنسية - الناشر مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ١٩٩٥م) أكثر من ٨٥ كتاباً مدرسياً فرنسياً فى التاريخ والجغرافيا والقراءة والتربية الدينية ، أى الكتب التى تحفل بأحكام على الواقع وعلى التاريخ وعلى الموقع وعلى التوجه العام ، وإذا تعذر علينا تقديم كل ذلك دفعة واحدة ، فإن خيارنا لبعض النماذج والاستنتاجات لن يكون شاملاً إلا بقدر ما تتيح هذه الدراسة ، كما يلى :

---

(١) مجلة الأمة - عدد ٤٦ - شوال ١٤٠٤هـ .
(٢) صحيفة الشرق الأوسط ١٩٩٦/١/٢٣م .
(٣) فهمى هويدى - صحيفة الشرق الأوسط ١٩٩٥/١٠/٢م .

– العرب فى كتب القراء ، مع الأخذ بالتقسيم إلى مرحلتين ، ابتدائية وثانوية ، تلاحظ الدراسة أن النصوص المختارة فى معظمها عن العرب والمسلمين ، وأنه من حيث التواتر ، يبدأ التلميذ الفرنسى التعرف على صورة العربى والمسلم منذ سن مبكرة ، وبوتيرة واحدة ، فنصوص القراءة فى الكتب المعتمدة تصور حياة العرب فى صورة الصحراء بشخصياتها وتقاليدها وصفاتها بمنتهى السلبية ، فالصحراء مكان لا تحديد لموقعه مما يوحى بنقد الموطن أو الوطن ، وما يستتبع نمطاً من الحياة يقوم على أحد وجهين : التبعية والمغامرة ، والعرب إذا انتقلوا إلى مكان آخر سيحملون معهم صفات صحرائهم من حيث التخلف بالمقارنة مع مجتمع صناعى منظم ، والجمود تجاه مجتمع متحرك اقتصادياً وعقلياً ، وبتغليب منطق الصورة ستكون التبعية وتبرير الاستعمار لما قد يبرز لاحقاً فى الكتب المعدة لمراحل أخرى وفى حقول أخرى .

ونجد الصورة المعطاة عن العرب والمسلمين فى التعليم الثانوى لا تختلف كثيراً عما سبق مع تغيير الإطار ، فإن غابت الصحراء مكاناً ، حلت الهجرة حافزاً ، وحل التناقض بين حالتين ماديتين ومعنويتين على جانب كبير من التمايز ، بل والتناقض مما يجعل كل تقارب نوعاً من المستحيل ، وإن تحقق تقارب ما ، فلن يكون إلا فردياً ، ثمة أفراد يتيح لهم حسن طالعهم الالتقاء بأفراد آخرين يتحابون ويتعايشون ، ولكن الجماعة تظل كتلاً هنا وكتلاً هناك .

بالانتقال لمجال التاريخ فى المرحلة الابتدائية نجد الكتب تركز على « الغزو الإسلامى » لفرنسا ، وتبرز بطولات الفرنسيين وأبطالهم مقابل غزو عربى إسلامى دون ذكر أى قائد أو بطل من العرب ، مع إقرار المؤلفة ، وبشهادة المقررات بالطبع بذكر تفوق حضارة العرب إبان عز دولتهم .

وفى المرحلة الثانوية سعت المقررات حثيثاً لتبرير الحملات الصليبية رابطة إياها بمعاناة الحجاج وانتهاك قبر المسيح واصفة وصول الحملات ، ومتحدثة عن نهايتها ، متناسية كل ما ألحقت بشعوب أوروبا والشعوب

الإسلامية من معاناة ، وكذلك تبرير الحقبة الاستعمارية للبلدان الإسلامية بمحاولة إخراجها من التخلف .

ولا عجب بعد ذلك كله أن تأتى خلاصات الدراسة تعبيراً عن العداء الكامن للإسلام والمسلمين ، فالإصرار على تقديم صورة العرب فى كتب القراءة سكان الصحراء ، وفى التاريخ غزاة يخرجون من الصحراء ، كل ذلك يسهم بتقديم صورة تصفها المؤلفة بحق ، بالصورة الماضوية ، فالكتب لا تعرف العالم العربى ولا تعرّف به ، بل ترسم صورة من الوعى القديم ، ربما كان وعى الرحالة المغامرين ، وكأنه عالم آخر بكل ما تحمل الكلمة من معنى .

تتكشف هذه الصورة الماضوية أيضاً عبر خيارات متعددة ، فالتلميذ سيتعرف إلى قصص ألف ليلة وليلة ، بدل أن يتعرف إلى أية قصة أكثر اقتراباً من الواقع ، وإذا ما تم الانتقال إلى مسائل تقترب من الواقع فلا تعرض إلا مشاكل تثير جدلاً ، بل خلافاً ، مسألة البترول مثلاً والأزمة التى لحقت بأوروبا من جرّائه بعد حرب رمضان ١٣٩٣هـ وتوقع فى ذلك اللوم على العرب .

وعن المدارس الإسلامية فى فرنسا ، يجدر بالذكر أن السلطات الفرنسية لا تعترف بشهاداتها ، فضلاً عن أن هذه المدارس لا تتلقى أية معونات من الدولة ، فى حين أن تلك المعونات تقدم للمدارس البروتستانتية والكاثوليكية واليهودية ، علماً بأن تلك المعونات تدفع من حصيلة الضرائب التى يسهم فى أدائها المسلمون الفرنسيون ، ومن ثم فإن الضرائب التى يدفعها المسلمون توجه لدعم المدارس الخاصة كلها ، إلا المدارس الإسلامية .

- **فى ألمانيا :**

حسب إحصاءات عام (١٩٩٠م) فإن (٣٦٠٫٢١٣) طفلاً مسلماً تركياً يتعلم فى المدارس الألمانية التى تخضع ٨٠٪ منها ومن رياض الأطفال لإشراف الكنيسة ، وهناك نقص فى الإمكانيات المادية لدى المسلمين لبناء

رياض أطفال خاصة بأبنائهم ، ففي برلين حيث يوجد قرابة ٣٠ ألف طفل مسلم بالمدارس الألمانية ، يوجد المعهد الإسلامى الذى لا يضم منهم سوى ١٧٧ طفلاً ، وحتى هذا المعهد لا يحصل على أى دعم من وزارة التعليم الألمانية ، كسائر المدارس الخاصة للطوائف الأخرى ، وترفض الوزارة إدخال مادة التربية الإسلامية فى المناهج المقررة على طلبة وتلاميذ المدارس المسلمين بدعوى مخالفة القرآن الكريم للدستور كما ورد مثلاً على لسان وزير التربية والتعليم فى حكومة « بافاريا » .. ألا يجوز أن يُفهم ذلك على أنه جزء من المخطط البعيد الرامى إلى إقصاء الطفل المسلم عن مناهج الفكر الإسلامى ، ومحاولة مسخ الشخصية الإسلامية وطمسها فى مستنقع الحضارة الغربية الزائفة [1] .

- فى دول أوروبية أخرى :

الدكتور جمال الدين عطية - مدير المصرف الإسلامى الدولى فى لكسمبورج - له تجربة فى مسألة تعليم أبنائه فى المدارس الرسمية ، فيقول : ألحقت أبنائى بالمدرسة الأوروبية بـ « لكسمبورج » ، وقد درست عن كثب قضية التعليم بها ، فوجدت أنهم يُدرسون الدين إما فى صورة المذهب الكاثوليكى ، أو البروتستانتى ، أو الديانة اليهودية ، أو ما يسمى بالأخلاق لمن لا يرغب فى دراسة أبنائه لأحد هذه الأديان ، ولما حوّلت أولادى إلى شعبة الأخلاق تبينت أن المدرسة تعطيهم حصة الأخلاق على أساس إلحادى [2] .

وفى « النرويج » رفضت الحكومة منح إذن بإنشاء مدرسة إسلامية ابتدائية ، وكان قد تقدم بالطلب - الذى رفضته وزيرة التعليم - مسلم نرويجى هو الدكتور ( تروند على لينمستاء ) ، وجاء فى تبرير الرفض أن

---

(١) مجلة رسالة الجهاد - عدد ٨٨ - مايو ١٩٩٠م .
(٢) مجلة الأمة - عدد ٥٩ - يونيو ١٩٨٥م .

الحكومة تريد إدماج أبناء المسلمين فى الثقافة والحياة النرويجية من خلال الدراسة فى المدارس العامة ، وقد رد مقدم الطلب بأن قرار وزارة التعليم مخالف لميثاق حقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة الذى يقرر حرية الوالدين فى اختيار نوع التعليم المناسب لأبنائهم[1] .

وفى « اليونان » تفرض الحكومة غرامة على أئمة المساجد إذا قاموا بتعليم الدين الإسلامى لأبناء المسلمين أكثر من ساعتين أسبوعياً ، ويقوم المسيحيون بالتعليم فى بعض مدارس الجالية المسلمة ، وقد نددت « رابطة العالم الإسلامى » بهذه الإجراءات فى مذكراتها لمؤتمر القمة الإسلامى الثالث فى مكة المكرمة ، وطالبت باستخدام اللغة التركية فى تعليم أبناء المسلمين[2] .

* * *

(١) صحيفة العالم الإسلامى - ١٩٩٥/٧/١٠م .
(٢) سيد بكر - مرجع سابق - ص ٢٣ .

## ثالثاً : الحجـاب

إن الموقف الأوروبى يرفض فكرة التعددية الثقافية ، ومن ثم يصر على تذويب الآخر فى الوعاء الأوروبى كشرط للقبول ، وتبرز فرنسا هنا بوجه خاص ، وهو ما عبر عنه الباحث الفرنسى المعروف « فرانسوا بورجا » الذى ذكر فى ندوة « الإسلام فى الغرب » المنعقدة فى باريس فى أكتوبر ١٩٩٤م « أن الفرنسيين يعترفون بالآخر فقط حين يتعلق بالأمر بالمأكل والملبس - حتى الملبس لا يعترفون به !! أما إذا تعدى ذلك وأظهر رغبة فى إبداء رسالته الحضارية ، فإن رفضه سيكون محتماً » .

لذلك تعمل فرنسا على سحق هوية المسلمين وإجبارهم على الذوبان باسم « الإندماج » وهو ما عبر عنه وزير الدولة الفرنسى « كونى باسنيان » فى تصريح شهير له صدر فى عام ١٩٩١م حين قال : « عندما أطالب بأن يكون الإسلام هنا ذا صبغة فرنسية ، أقصد بذلك أنه ينبغى على الإسلام أن يقبل العهد الجمهورى ، أى أن يقبل فصل « الدين » عن الدولة ، ويتخلى عن تعدد الزوجات ، وطلاق السيدات ، وارتداء الحجاب - خاصة بالمدارس - وبوسع فرنسا أن تمنح الذين يتقبلون ذلك نفس الحقوق التى تمنحها لمواطنيها » .

إن المسلمين فى أوروبا يُحرمون من أدنى حقوقهم ، حتى لو كان هذا الحق هو غطاء على الرأس لا يمكن إطلاقاً أن يؤذى أحداً ، بينما تظل الحركة الصهيونية تسيطر على القرار الأوروبى ، فلا يستطيع مدير مدرسة فى أوروبا أن يمنع حاخاماً من دخول المدرسة الغربية العلمانية بزيه الدينى المتميز ، ووجهه الذى تتدلى على جانبيه ضفائر الشعر غير المهذبة ، ولسانه الذى يردد عبارات غير مفهومة .. المجتمع الأوروبى يقبل مثل هذا بحجة حرية الأديان ، ولكنه يمنع الطالبة المحجبة بحجة الخوف على مفاهيم الحضارة الغربية من التبديل والتغيير .

إننا لم نسمع أو نقرأ عن أى اعتراض على «اليامولكا» أو الطاقية اليهودية على رؤوس اليهود ، أو على تعليق الصلبان على صدور الفتيات ، بل على العكس نجد القوانين تنفذ بصرامة إذا تجاسر أحد وجرح شعور هؤلاء أو أولئك .. إن هذا الأمر المريب يثير التساؤل : لماذا هذه الازدواجية فى المواقف ؟ ولماذا عدم الاحترام لمشاعر المسلمين ؟!

**- الحجاب فى فرنسا :**

تطفو على الساحة الفرنسية من حين لآخر قضية الحجاب ، وعادة ما تنطلق هذه الشرارة من المدارس التى توجد بها محجبات مسلمات ، ويأخذ هذا الموضوع أبعاداً سياسية محضة ، وتتخذ منه وسائل الإعلام المختلفة مطية لإبراز حقدها على الإسلام والمسلمين ، فيكثر الجدال والنقاش ، وتسود صفحات الجرائد والمجلات ، واستطلاعات للرأى العام ما بين مؤيد ومعارض ، وجاهل رافض .

وقد أثيرت قضية الحجاب مرة أخرى فى نهاية العام الماضى (١٩٩٥م) حيث تم طرد تسع فتيات من ثانوية «فيديرب» بمدينة ليل الفرنسية بسبب رفضهن خلع غطاء الرأس ، بناءً على قرار وزير التربية الفرنسى «فرانسوا بايرو» بحظر الحجاب «حظر مظاهر التعصب الدينى فى المؤسسات التعليمية» كما تم فصل ٣٧ طالبة محجبة أخرى فى إحدى ثانويات منطقة «نانت» علماً بأن قرار وزير التعليم الفرنسى لا يتضمن إجراءات عقابية .

ويُجمع معارضو القرار على انتقاد مضمونه الذى لا يسمى المظاهر الدينية المحظورة ، ولو فهم الجميع أن المقصود هو المظاهر الإسلامية ، وأن الحظر لا يساوى بينها وبين المظاهر الدينية المسيحية واليهودية انسجاماً مع علمانية التعليم الفرنسى .

ومن بين المعارضين رئيس منظمة «إس. أو . إس» المناهضة للعنصرية «فودى سيلا» الذى صرح بأن المقصود بالقرار هو «إبقاء الخلط القائم بين

الأجنبى والمشاغب والإرهابى والمسلم » ورأى أن على « بايرو » إذا كان حريصاً بالفعل على علمانية التعليم أن يحظر كل مظاهر التعصب الدينى ، ومنها المسيحى واليهودى ، وشكك « سيلا » فى علمانية الوزير ، قائلًا : « يجب ألا ننسى أنه كان وراء المحاولة الفاشلة لإعادة مؤسسات التعليم الخاص الكاثوليكى » .

وقد نشرت صحيفة « الفيجارو » الفرنسية آراء الداعين إلى القبول بالحجاب باعتباره نوعاً من الحرية الشخصية ، وقد توالت تصريحاتهم فى هذا المجال .

** **دانييل ميتران** – قرينة الرئيس الراحل : بعد مضى ٢٠٠ سنة على الثورة الفرنسية إذا لم يستطع مجتمعنا العلمانى استيعاب مختلف الأديان والثقافات ، فمعنى ذلك أننا نتراجع إلى الوراء ولا نتقدم ، إذا كان الحجاب تعبيراً عن دين معين ، فينبغى علينا قبول التقاليد الدينية كما هى .

** **البطريرك ديكونترى** – مطران « ليرى » : إننى لا أشعر بالصدمة حين ألتقى فى الشارع بنساء محجبات ، لكن أصدم حقاً حين أرى تلك المظاهر التى تخدش الحياء فى بلادنا .

** **آلان جولدمان** – الحاخام اليهودى الأكبر فى فرنسا : الذين يرفضون حق بنات المسلمين فى ارتداء الحجاب بالمدارس هم أناس متعصبون بعيدون عن التسامح الواضح .. الآن إن العلمانيين هم المتعصبون ، وليس المتدينين .

هذه شهادة يمكن أن نطلق عليها عبارة « وشهد شاهد من أهلها » ، ولكن من عجب أن بعض الأصوات من جانب المسلمين دعت للرضوخ للأوامر الفرنسية ، إذ دعا الحسن الثانى – ملك المغرب ، الفتيات المحجبات إلى عدم الإصرار على ارتداء الحجاب ، وإن كان قد دعا فى المقابل السلطات الفرنسية إلى عدم التعنت مع الفتيات اللاتى تصررن على ارتدائه .

كما صرح الدكتور دليل أبو بكر عميد مسجد باريس للتليفزيون الفرنسى برأى غريب فقال : « إن ارتداء الحجاب ليس ضرورة دينية قاطعة بالنسبة للفتيات الصغيرات ، وإن على المسلم الذى يعيش فى فرنسا أن ينفذ القوانين الفرنسية » !!!

إن هذا الذى حدث فى زمننا لا يكاد يصدقه عقل ، فالبلد اتسع لكل صور التقاليد والتقاليع ، إلا أنه ضاق بالحجاب ، وفى حين استوعب مختلف الأفكار والملل والنحل ، فإن الإسلام توقف فى حلقه .

لا بأس أن تذهب الفتاة للمدرسة تعلق فى رقبتها صليباً أو نجمة داود ، ولا يجوز أن ترتدى زميلتها حجاباً ، فالأولى تتجمل ، والثانية تتطرف .. لأن الصورة المستقرة فى أذهان غالبية الأوروبيين عن الإسلام أنه معادل للتطرف ، وبالتالى فكل مظهر من مظاهره يعد عندهم سبيلاً للشر تجب مواجهته ، وهذا هو السر فى معارضة بعض المظاهر المرتبطة بالإسلام ، وقبولها من غير المسلمين ، فالحجاب الإسلامى مرفوض ، بينما طاقية اليهود « الكيباه » مقبولة ، وعمامة السيخ غير منكورة ،وغطاء رأس الراهبات مقدر ومستحب ، وبالتالى فالأمر عندهم ليس موقفاً من الأديان إزاء العلمانية ، بقدر ما هو موقف من الدين الإسلامى دون غيره .

يتضح من ذلك هذا الخلط المدهش بين الأشياء ، والذى لا يمكن لعقل محايد قبوله ، من ذلك الربط بين العلمانية وبين أزياء الناس ، وأشكالهم ، وهو منطق مهترئ يتعذر أخذه مأخذ الجد ، فبمقتضاه يباح « الفولار » إذا كان لـ « المودة » أو للوقاية من المطر ، ولا يباح إذا كان للاحتشام ، وقد تباح اللحية إذا كانت بين « الهيبيين » مثلاً ، بينما تُحظر إذا ظهرت بين المتدينين ، ويجوز للشباب أن يصمم شعره على هيئة عرف الديك ، بينما يحاسب إذا وضع على رأسه « غطرة » أو « طاقية » كأنما الالتزام « الأصولى » بالعلمانية يفترض طمس الشخصية الحضارية للناس .

إن الحجة « المقنعة » غائبة فى الموضوع ، لكن الحساسية المضادة

مسيطرة، وليس لأحد أن ينكر أن الصورة الشائهة المرسومة للإسلام فى الوعى الغربى لعبت دوراً كبيراً فى هذه الضجة.

ويعتقد مسلمون فرنسيون أن قرار منع الحجاب ليس سوى حلقة فى سلسلة طويلة من القرارات الفرنسية الموجهة ضد الوجود الإسلامى فى فرنسا بهدف عرقلة أى محاولة للمسلمين لفرض ثقافتهم على المجتمع الفرنسى الذى يدَّعى العلمانية !!

يُذكر أن المحكمة الإدارية فى مدينة «سطراسبورج» قد حكمت بعودة بعض الفتيات اللاتى تم فصلهن بسبب ارتداء الحجاب، كما حكمت المحكمة الإدارية فى مدينة «نانسى» شرق فرنسا على الدولة الفرنسية بدفع مبلغ ٥٠ ألف فرنك فرنسى ضرراً لأهل الشابة سلوى آيت أحمد (١٥ عاماً) لطردها من مدرستها فى شهر يونيو (١٩٩٥م)، وتم إعادة الفتاة إلى مدرستها(١).

## الحجاب فى دول أوروبية أخرى:

فى بريطانيا منعت مديرة مدرسة للبنات بمقاطعة «شيس شاير» البريطانية فتاتين مسلمتين من الذهاب إلى المدرسة بسبب ارتدائهن الحجاب(٢).

كما تم فصل فتاة مسلمة تُدعى «حورية» - ليس من مدرستها - بل من عملها، وذلك أيضاً بسبب ارتدائها الحجاب(٣).

وفى بلغاريا غنى عن التعريف الممارسات القمعية التى تُمارس من قبل السلطات ضد المسلمين هناك، ومن ذلك منع النساء من ارتداء الزى الإسلامى.

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط - ١٥/٩/١٩٩٥م.
(٢) صحيفة الأهرام - ١٦/١/١٩٩٠م.
(٣) صحيفة المسلمون - ٢٦/٥/١٩٩٥م.

## رابعاً : عدم الاعتراف بالدين الإسلامى

إن عدم اعتراف معظم الدول الأوروبية بالدين الإسلامى ، لعله منبع كثير من المشكلات التى تتعرض لها الجاليات الإسلامية بها ، ورغم أن الدين الإسلامى يمثل من حيث عدد المنتمين إليه الدين الثانى فى معظم - أو كُل - هذه الدول ، فلا يتم الاعتراف به ، وتناقضاً مع ذلك يتم الاعتراف باليهودية رغم أن عدد اليهود يقل بكثير عن عدد المسلمين .

ففى ألمانيا مثلاً لا يتجاوز عدد اليهود ٣٠ ألفاً إلا أنه معترف بهم ولديهم كثير من التسهيلات والامتيازات من برامج إذاعية وتلفزيونية ومدارس خاصة بهم ، ولهم صحفهم ، ولهم تمثيلهم الرسمى لدى الحكومة .. الأمر الذى يفتقده ثلاثة ملايين مسلم .

يقول الشيخ « على إحسان خالصى » مدير المركز الإسلامى فى هامبورج : إن الألمان يشترطون للاعتراف بأى دين أن يبلغ عدد أتباعه ٢٠ ألفاً على الأقل ، وأن يكون ديناً قديماً ، وهذه الشروط تنطبق على المسلمين [1] .

ومن المشكلات المترتبة على عدم الاعتراف بالإسلام ، الحرمان من حق تعليم الدين الإسلامى لأبناء المسلمين فى المدارس الحكومية بواسطة مدرسين مسلمين ، وإعفاء أبناء المسلمين من حضور دروس الدين المسيحى ، وكذلك الحرمان من إعانة الحكومات لمؤسسات التعليم الإسلامى ودعمها مادياً - هذا إذا سمحت بها من الأساس - من الضرائب التى يدفعها المسلمون ، وكذلك المشكلات المتعلقة ببناء المساجد وتخصيص قطع أرض والمساهمة فى هذا الغرض ، هذا فضلاً عن المشاكل المالية الحادة المتمثلة فى نقص الأئمة والخطباء لعدم دعم الحكومات .

---

(١) مجلة الخيرية - ١٩٨٩/١٠/١م .

ومن المشاكل الناجمة عن عدم الاعتراف بالإسلام أيضاً ، عدم السماح للعاملين المسلمين بالصلاة أثناء العمل أو حتى فى يوم الجمعة والأعياد الإسلامية .

وقد طالب مسلمو فرنسا باعتبار يومى عيد الفطر وعيد الأضحى إجازة للمسلمين خاصة بعد السماح للتلاميذ اليهود بالغياب يوم السبت أسبوعياً [1] .

ويترتب على عدم الاعتراف أيضاً مواجهة المشاكل فى ذبح الذبائح حسب الشريعة الإسلامية ، وكذلك صعوبة توفير مقابر خاصة بالمسلمين ، فيضطرون لدفن موتاهم فى مقابر النصارى !!

* * *

---

(١) صحيفة الأخبار - ١٩٩٥/٤/٢٨م .

# الفصل الثانى

## مشكلات نابعة من واقع الجاليات الإسلامية فى أوروبا

أولاً : الزواج المختلط

ثانياً : العنف والإرهاب

ثالثاً : مشكلات أخرى

## أولاً : الزواج المختلط

لعل من أخطر المشاكل التي تواجه الجاليات الإسلامية فى أوروبا - وهى من غرس أيديهم - الزواج المختلط ، وما ينجم عنه من مشاكل اجتماعية معقدة ، ويتنوع هذا الزواج إلى النوعين التاليين :

**١ - زواج المسلم بغير المسلمة :**

ويحدث ذلك غالباً فى فترات قدوم الشباب المسلم إلى أوروبا للعمل أو الدراسة ، وللحصول على تسهيلات للعمل أو الإقامة أو التجنس ، فضلاً عن إشباع الرغبة الجنسية يتزوج من المرأة الأوروبية التى لا تتحلى - غالباً - بالقيم الخلقية الأساسية التى تؤهلها لرعاية بيتها وزوجها ، وأن تكون أمينة على أولاده وتربيتهم ، ونتيجة لاختلاف القيم والثقافة التى نهل منها كل منهما ، كثيراً ما تنتهى مثل هذه الزيجات بنزاعات شديدة يذهب ضحيتها الأطفال .

ومن الجدير بالذكر أن القوانين فى الدول الأوروبية تكون فى حالة الخلاف والنزاع أو الطلاق فى صف الزوجة الأوروبية ، فتحصل على حضانة الأطفال ، وفى ذلك خطورة على عقيدتهم - فضلاً عن المسائل المادية التى تكون على عاتق الزوج المسلم .

وقد اطلعتُ على مقال رائع عن « الزواج بالأجنبيات » فى تجربة شخصية لأديب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعى فى كتابه القيم « وحى القلم » ، جاء فيه :

لا تتزوجوا يا إخوانى .. بأجنبية ، إن أجنبية يتزوج بها « مسلم » هى مسدس جرائم ، فيه ست قذائف :

**الأولى :** بوار امرأة « مسلمة » وضياعها بضياع حقها فى الزواج ، وتلك جريمة وطنية .. فهذه واحدة .

**والثانية** : إقحام الأخلاق الأجنبية فى طباعنا وفضائلنا فى هذا الاجتماع الشرقى وتوهينه بها وصدعه ، وهى جريمة أخلاقية .

**والثالثة** : دس العروق الزائفة فى دمائنا ونسلنا ، وهى جريمة اجتماعية .

**والرابعة** : التمكين للأجنبى فى بيت من بيوتنا يملكه ويحكمه ، وهى جريمة سياسية .

**والخامسة** : للمسلم منا إيثاره غير أخته المسلمة ، ثم تحكيمه الهوى فى الدين ، ثم إلقاؤه السم الدينى فى نبع ذريته المقبلة ، ثم صيرورته خزياً لأجداده الفاتحين الذين كانوا يأخذونهن سبايا ويجعلونهن فى المنزلة الثانية بعد الزوجة ، فأخذته هى رقيقاً لها ، وهذه جريمة دينية .

**والسادسة** : بعد هذا كله أن هذا المسكين يؤثر أسفله على أعلاه ، ولا يبالى فى ذلك خمس جرائم فظيعة ، وهذه السادسة جريمة إنسانية .

إن الشيطان الأوروبى قد زين لى من تلك الزوجة ثلاث نساء معاً : زوجة عقلية ، وزوجة قلبية ، وزوجة نفسية ، ثم نفث اللعين فى روعى أن المرأة الشرقية ليس فيها إلا واحدة ، قال الخبيث : لأنها زوجة الجسم وحده ، فلا تسمو إلى العقل ، ولا تتصل بالقلب ، ولا تمتزج بالنفس ، وإنها بذلك جاهلة ، غليظة الحس ، خشنة الطبع ، لا تكون مع الزوج إلا كما تكون الأرض مع الفلاح .

لعنة الله على ذلك الشيطان الرجيم ، ما علمت إلا من بعد أن هذه الشرقية الجاهلة الخشنة الجافية ، هى كالنجم الذى تبره فى ترابه ، ماسه فى فحمه ، وجوهره فى معدنه ، وأن صعوبتها من صعوبة العفة الممتنعة ، وأن خشونتها من خشونة الحب المعتز بنفسه ، وأن جفاءها من جفاء الدين المتسامى على المادة ، وأنها بمجموع ذلك كان لها الصبر الذى لا يدخله العجز ، والوفاء الذى لا تلحقه الشبهة ، والإيثار الذى لا يفسده الطمع .

هى جاهلة ، ولها عقل الحياة فى دارها ، وغليظة الحس ، ولها أرق

ما في الزوجة لزوجها وحده ، وخشنة الطبع ، لأنها تتنزه أن تكون ملمساً ناعماً لهذا وذاك وهؤلاء وأولئك ، كالمرأة الأوروبية .

ماذا تتوقعون يا إخواني من تلك الرقيقة الناعمة « الأوروبية » المتأنثة بكل ما فيها من أنوثة تكفي رجالاً ، لا رجلاً واحداً ، وقد ضعفت روحية الأسرة في رأيها ، وابتذلت الروحية في مجتمعها فما أسرع ما تمتد في نزوة من عواطفها إلى عشقها بمفتاح الدار ، فإذا الخيانة والعهر ، فإن كان الزوج مشئوماً منكوباً لم يستطع أن يكون رجل قلبها - فعليه أن يدع لها الحرية لتختار زوج قلبها ، ومعنى ذلك أن تكون مع الزوج الشرعي بمنزلة المرأة مع فاسق ، ومع فاسق بمنزلة المرأة مع الزوج الشرعي .

وإذا كان الرجل منحوساً مخيباً ، وكان قد بلغ إلى قلبها زمناً ثم ملَّه قلبها ، فعليه أن يدع لها الحرية لتنتقل وتلذ بلذات الهوى ، فإن هذا المنحوس المخيب ليس عندها إنساناً ، ولكنه رواية إنسانية انتهى الفصل الجميل منها بمناظره الجميلة ، وبدأ فصل آخر بحوادث غير تلك ، فلمن يشهد الرواية أن يتبرم ما شاء ، ويستثقل كما يشاء ، ومتى شاء انصرف من الباب !!

وهذا الشرقي العتيق المأفون الذى قبلها سافرة لا تعرف روحها ولا جسمها الحجاب ، ما باله يريد أن يضرب الحجاب على عاطفتها ويتركها محبوسة في شرفة ، وإن لم تكن محجوبة في الدار .

ما علمت يا إخواني إلا من بعد أن الزوجة الغربية قد تكون مع زوجها الشرقي كالسائحة مع دليلها ، هيهات .. هيهات !! إنه لن يمسكها عليه ، ولن يكرهها على الوفاء له إلا أن تكون حثالة يزهد فيها حتى ذباب الناس ، فيأسها هو الذى يجعل هذا المسكين مطمعها ، وهي مع ذلك لو خلطته بنفسها لبقيت منها ناحية لا تختلط ، إذ ترى أمته دون أمتها ، وجنسه دون جنسها .

أما والله إن الرجل الشرقى حين يأتى بالأجنبية لتلوين حياته بألوان الأنثى ، لا يكون اختار أزهى الألوان إلا لتلوين مصائب حياته .. وقد يكون هناك ما يشذ ، ولكن هذه هى القاعدة .

**٢ - زواج المسلمة بغير المسلم :**

إنها مشكلة خطيرة تتمثل فى زواج فتيات مسلمات برجال أوروبيين غير مسلمين ، والمؤسف أن هؤلاء الفتيات لسن من الأوروبيات - أصلاً - أو المقيمات فى أوروبا ، وإنما فى الغالب هن جئن من بلادهن الإسلامية للعمل والدراسة فى أوروبا ، وفى دوامة البحث عن سبيل يضمن لها البقاء لأطول فترة ممكنة فى أوروبا ، أو الإقامة الدائمة تتزوج من أوروبى لتحصل على حق الإقامة والمواطنة والجنسية ، ويتم التغلب على عقبة أنها مسلمة ، والأوروبى غير مسلم ، وبالتالى فلن توافق القنصلية التابعة لبلدها على هذا الزواج ، إزاء ذلك لا يجد «الزوج المختار» بأساً أو حرجاً فى الادّعاء بأنه أسلم .. وقد تحرر له شهادة بذلك ، لإتمام الزواج .

وتدخل الفتاة بذلك مرحلة حرجة من حياتها المضطربة ، ولكن بعد أن خسرت عفتها وكرامتها وفارقت أهلها ووطنها ، وخالفت أمراً شرعياً - لا لبس فيه - بتحريم زواج المسلمة بغير المسلم - وإن ادّعى الإسلام على الورق دون اعتقاد - إنها خسارة ، أما هو فيفخر بزواجه - من مسلمة وهو غير مسلم .. أمام أصدقائه وصديقاته .. يضاف إلى ذلك أنه قد يستغلها ويحصل على ما لديها من أموال ومقتنيات مقابل زواجه منها وحصولها على الإقامة .

* * *

## ثانياً : العنف .. والإرهاب

العرب والمسلمون المقيمون فى أوروبا يخضعون فى السنوات الأخيرة لعمليات توقيف وفحص ومراجعة وتدقيق من قبل الأجهزة الأمنية الأوروبية ، وتُدرج أوضاعهم وأوصافهم وأنشطتهم فى شبكة معلومات « أرشيفية إلكترونية » للتأكد من عدم وجود أى شخص بينهم من العناصر الإرهابية ، والتعرف على من يكون من أصحاب نزعة التطرف « الإسلامى » !! أو التعاطف مع الأنشطة الإرهابية للجماعات المسلمة القادمة من البلدان الإسلامية ، لوضعه تحت الرقابة والمتابعة ، ويتم ذلك كله بالتنسيق بين كافة أجهزة الأمن فى الدول الأوروبية بمقضتى اتفاقية الاتحاد الأوروبى منذ عام ١٩٩٣م ، وتنشط هذه الإجراءات الأمنية كلما وقعت عمليات عنف فى أى من الدول الأوروبية الغربية .

وبذلك يكون العرب والمسلمون موضوعين فى المنافذ الأوروبية فى قائمة الذين يُستقبلون ويُودَّعون بإجراءات أمنية خاصة ، لتوضع الجاليات العربية والإسلامية موضع الشكوك والغموض .

إن الجاليات الإسلامية فى أوروبا تعيش فى توتر وقلق من جرَّاء ما خلفته بعض التفجيرات الإرهابية من انعكاسات سلبية عليهم أبرزها تزايد النزعة العنصرية واتساعها فى المجتمع الأوروبى ، وتشديد قيود ورقابة الشرطة على المقيمين من المسلمين إقامة قانونية ومضاعفة أنشطة الطرد لمن لا يحمل بطاقة إقامة ، أو لم يستكمل أوراقها ، ناهيك عن التشدد البالغ فى منح تأشيرات الدخول ، فقد أصبحت أغلبية البلدان العربية والإسلامية فى قائمة المناطق الخطيرة على الأمن الأوروبى .

وقد انتهزت الحركات العنصرية النازية الجديدة وجماعات حليقى الرءوس هذه العمليات الإرهابية فقامت بالاعتداء على أفراد وتجمعات الجالية

الإسلامية فى العديد من العواصم الأوروبية وخاصة في فرنسا وألمانيا وإيطاليا .

لكن العامل السلبى الذى ألهب مشاعر الأوروبيين - والفرنسيين خاصة - ما وقع فى فرنسا من تفجيرات دموية وسط التجمعات البشرية ومحطات مترو الأنفاق والتى نُسبت إلى ما يسمى بـ « الجماعة الإسلامية الجزائرية المسلحة » و « جماعة الجهاد » ، كما اكتشف الأوروبيون أن كثيراً من قيادات تلك الجماعات يقيمون بينهم ونجحوا فى استيعاب قطاعات من الشباب المسلم الذى وضع نفسه فى مواجهة مع المجتمعات الأوروبية ، وهو ما وضع الجاليات الإسلامية فى أوضاع تحيط بها الشكوك والرغبة فى تقليص عددهم ، إن لم يكن للتخلص منهم ، وهذه الحملات الإعلامية العنيفة ضد كل ما هو عربى أو مسلم ، وما تشيعه الأحزاب اليمينية والحركات العنصرية والجماعات النازية ، إضافة إلى تتابع وقوع تفجيرات يُعلن ارتكابها باسم الإسلام .. كل ذلك أصبح يشد الرأى العام الأوروبى إلى الجاليات الإسلامية فى أوروبا والاحتكاك بها ومحاولة العدوان عليها .

وقد أظهر استطلاع للرأى نشر فى أبريل (١٩٩٥م) أن (٧٨٪) ممن شملهم هذا الاستطلاع - الذى أجرته صحيفة « لوفيجارو » الفرنسية - يتفقون على مقولة : إن الأصوليين الإسلاميين هم خطر شديد على مجتمعنا يجب التصدى له .

## إتهام الإسلام بالإرهاب :

لقد تسببت عمليات العنف فى أوروبا التى تُنسب إلى الجماعات الإسلامية فى أن تبرز وجهاً للإسلام يتسم بالعنف على مستوى العلاقات بين الدول ، حيث أصبح الإرهاب الصريح أسلوباً معتمداً ، ومن هنا هذا الخلط - بحسن نية حيناً وسوء نية أحياناً - الذى تمارسه وسائل الإعلام الأوروبى بين المسلم والعربى والإرهابى ، بعبارة مختصرة تمت صياغة نموذج نمطى ثابت - بلغة علم الإعلام - يقرن الإرهاب بالإسلام والمسلمين

والعرب ، ومن ناحية أخرى أدى صراع جماعات الإسلام السياسى فى عدد من الدول العربية فى -الجزائر ومصر خاصة - مع السلطة ، وارتكاب عمليات عنف ضد رموز هذه الأخيرة ، ثم ضد الكُتاب والصحفيين العلمانيين - أدى ذلك - إلى الظن أن الإسلام بحكم كونه ديناً فتح العديد من الأمصار فى القرون السابقة يقوم على العنف والإكراه !!

وقد أدت هذه العمليات العنيفة المنسوبة للمسلمين إلى إعطاء أعداء الإسلام أوراقاً رابحة بدت فى كتابات بعض الصحف التى يسيطرون عليها ، حيث تلعب دوراً كبيراً فى تأجيج الجوانب السلبية لقضية الجاليات الإسلامية فى أوروبا من خلال حملات العداء المباشر للإسلام الذى أصبح لديها مقترناً بالإرهاب الدموى .

وإنه لأمر مؤسف بل خطير أن تتحول إدانة إرهاب بعض الحركات المنتسبة للإسلام إلى محاولة إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام نفسه .

إن ربط المجموعات الإسلامية بأعمال الإرهاب ليس بجديد على الإعلام الأوروبى إلا أن الاتجاه البارز الآن هو ربط الإسلام بالإرهاب ، ولم يعد معلقون مثل « ستيفن روزنفيلد » الذى يعمل فى صحيفة « الهيرالدتريبيون » البريطانية يشيرون إلى « الجماعات الإسلامية المتطرفة » بل إلى « الأجنحة الإسلامية غير الإرهابية » أو « الإسلاميين غير الإرهابيين » .

وتوحى هذه التعابير بأن الإرهابيين لا يشكلون خروجاً عن المألوف عن الإسلام بل إن غير الإرهابيين هم الخارجون عن المألوف !!

فى أكثر دول أوروبا توجد سوق رابحة لتداول الاتهامات ضد العرب والمسلمين فيها عقب أى عمل إرهابى ، وتتغذى هذه السوق من تصريحات ومواقف بعض الزعماء الأوروبيين ، وفى أجواء التشكيك بملايين العرب والمسلمين بأوروبا يتجرأ نفر من أتباع الأحزاب والحركات العنصرية الأوروبية بالاعتداء عليهم ، وهذه الأجواء والأعمال لا تؤثر على المسلمين فى دول أوروبا فحسب ، وإنما تؤثر أيضاً على المناخ السياسى لهذه الدول

لتشجيعها التعصب ، وحضها على اضطهاد الأقليات ، وعرقلة ولادة مجتمعات التعددية الثقافية التى يطمح إليها البعض ، فضلًا عن أن هذه الأجواء تنسحب على صلات أوروبا بالدول العربية والإسلامية فتؤثر على المساعى المبذولة للحوار والتقريب بينهما .

**تساؤل هام :**

ولكن هل يعنى ذلك تغاضى أوروبا عن النشاط الإرهابى ، أو أن تسكت تجاه العرب والمسلمين الذين يعرضون أمن المجتمع الأوروبى للضرر والأذى ؟!! قطعاً لا .. المطلوب هو العكس تماماً ، أى أن تعجل السلطات المختصة بالكشف عن القائمين بهذه الأعمال لتقطع الطريق على اتهام العرب والمسلمين بالجملة ،وأن تقوم المؤسسات الرسمية بوضع حد لهذا الاتهام ، والتأكيد على الدور الإيجابى للجاليات الإسلامية فى تنمية الاقتصاد الأوروبى ، لقد صرح رئيس دولة أوروبية ( شيراك - فرنسا ) بأنه « من الضرورى عدم الخلط بين الإرهاب والجالية المسلمة التى تتصرف بوعى ومسئولية » .

ولكن هل يكفى استدراك كهذا للجم سيل الاتهامات ضد المسلمين يومياً؟! الأرجح لا !!

وقد أدرجت الدول العربية مسألة « توفير الحماية للجاليات العربية فى أوروبا » على جدول أعمال قمة برشلونة المتوسطية ( نهاية ١٩٩٥م ) ، فإلى أى مدى تتمكن الدول العربية والإسلامية من الاضطلاع بهذه المهمة ؟

* * *

## ثالثاً : مشكلات أخرى

توجد بعض المشكلات التى تنبع من واقع الجاليات الإسلامية فى أوروبا ، وتتنوع هذه المشكلات ، ونذكر منها ما يلى :

### ١ - الجهل بالأحكام الشرعية :

من الملاحظ أن كثيراً من المسلمين فى أوروبا ، خاصة المعتنقين الجدد للإسلام ، وكذلك مسلمى أوروبا الأصلاء ، ومسلمى أوروبا الشرقية على الأخص - مثل معظم مسلمى بولندا - لا يعرفون عن الإسلام شيئاً ، حتى المثقفون منهم ، فهذه مجلة بولندية تتناول خبراً بعنوان « تقويم » ورد فيه : «١٣٠٠ سنة مضت على محمد بن عبد الله ، محمد بن الله !! مؤسس الإسلام ومنظم الدولة الإسلامية » .

فهم يعتبرون النبى ﷺ مؤسساً للإسلام ، وليس نبياً ورسولًا ، وأحياناً يعتبرون أنه أسس الدولة الإسلامية على أسس كنسية على اعتبار أن الإسلام مذهب من مذاهب الكنيسة » .. هذه المفاهيم غرست فى عقول بعض المسلمين البولنديين الذى لا يعرفون من دينهم سوى أسمائهم وذكريات أجدادهم .

وتذكر مجلة « منار الإسلام - عدد جمادى الأولى ١٤١٣ هـ » فى استطلاعها عن « بولندا » موقفاً غريباً ، يبين مدى الجهل المطبق بتعاليم الإسلام ، تقول المجلة : جاءت إلى خارج المسجد سيدة تسأل - وكانت عارية الرأس مكشوفة الذراعين - عن الدكتور / على كوزاكيفتش مدير المركز الإسلامى بوارسو الذى ما إن رآها حتى عانقها وقبّلها على باب المسجد !!

فلئن كانت مثل هذه التقاليد اللادينية تقابل بالتجاهل من المسلمين

البولنديين ، فإن الموقف حتماً يختلف بالنسبة لرجل يتولى إدارة المركز الإسلامى بالعاصمة ، كما أن هذه السيدة تتولى منصب « نائب رئيس الجمعية الإسلامية البولندية » !!

لأن القيادى المسلم لا يكون أهلاً لقيادة جماعته إلى بر الأمان إلا إذا كان يحافظ على تقاليد دينه ليكون قدوة لهم ، وإلا فكيف يستطيع إعادة المسلمين إلى أحكام دينهم التى يجهلونها تماماً .

**٢ - تدنى مستوى المعيشة :**

إن الظروف الاقتصادية والاجتماعية للجاليات الإسلامية فى أوروبا بالقياس إلى مستوى المعيشة فى المجتمع الأوروبى تعد ضعيفة جداً ، حيث يعانى المسلمون من تدنى الدخول مما يعيق إمكانيات مشاركتها فى أنشطة الدعوة الإسلامية من خلال الجهود الذاتية ، كما يؤدى إلى انعزالها وتقوقعها داخل أحياء فقيرة ، وعدم مشاركتها فى الأنشطة الاجتماعية ، كما يؤدى عامل الفقر إلى انخفاض المستويات التعليمية لأبنائهم ، ذلك لأن نسبة كبيرة من الجالية الإسلامية فى أوروبا هم من العمال أو أصحاب المهن الشاقة والمتواضعة ، فهم من الطبقة الكادحة .

ونظراً لانخفاض الدخول وانحسار فرص التعليم الكافى للأبناء ، فضلاً عن أن الآباء والأمهات غالباً ما يكونون أميين ، وثقافتهم ضحلة ، ومعرفتهم بالإسلام سطحية .. وهذا ينعكس بدوره على الأبناء .

وقد يؤدى سوء الأحوال الاقتصادية لأفراد الجالية الإسلامية ، فضلاً عن قلة الحظ من التعليم ، إلى انحراف الأبناء وملاحقتهم لجوانب الحياة الغربية ، مما يؤدى لتشويه صورة الإسلام والمسلمين ، ويعطى أعداءهم سلاحاً ماضياً .

* * *

### ٣ - ضعف الصلة بالإسلام :

كثير من الآباء المسلمين الذين يستقر بهم المقام فى البلدان الأوروبية تضعف صلتهم بتعاليم الإسلام ، وبالتالى لا يذكّرون بها الأبناء ؛ لتكون العاقبة كهذه القصة الحقيقية التى عرضتها مجلة « نيوزويك » عدد ٣ يوليو ١٩٨٥ لأب مسلم من أصل عربى يدعى « محمد أوخن » ترك لابنته الحبل على الغارب فصادقت الشبان وساءت أخلاقها فأفاق الأب من غفلته وحاول إرجاعها إلى جادة الصواب ، وذكرها بتعاليم الإسلام ، ولكن النصيحة قد تأخرت ، فلم تأبه له ، فضربها ، فاشتكته للشرطة الهولندية التى أمرت بحرمان الأب من حضانة ابنته لقسوته عليها ، ولكنه استطاع الهرب بها وبأسرته عائداً إلى وطنه المغرب ، وفى عرض البحر أخبر ابنته كريمة أنه سيزوجها من رجل مُسنّ فألقت بنفسها فى البحر ... !!

* * *

# الفصل الثالث

## مشكلات الجهود المضادة للعمل الإسلامى فى أوروبا

أولاً : التشويه الإعلامى والثقافى .

ثانياً : الاستشراق

ثالثاً : الازدواجية الفكرية

رابعاً : طمس الهوية .. والاندماج

خامساً : التنصير

سادساً : الصهيونية والقاديانية والبهائية

## أولاً : التشويه الإعلامى والثقافى

فى تصور الغرب اليوم أن الأخطار التى يمكن أن تحدق به مرتبة فى لائحة حسب الألوان ، فقد كان هناك الخطر الأحمر « الشيوعية » وقد زال بعد تفكيك الاتحاد السوفيتى ، وهناك الخطر الأصفر « الصين واليابان » ، وقد تم احتواؤه سياسياً واقتصادياً إلى حين .

أما الآن فهناك فى أوروبا والغرب من يقول : الخطر الأخضر « الإسلام » فهم يرجفون اليوم منه وبدأت وسائل الإعلام هناك تمارس المسخ الإعلامى ، هذا المسخ الذى تعرض له الزنوج والهنود الحمر والأمريكيون الجنوبيون واليهود واليابانيون والإيطاليون .

وذهبت أوصاف ذلك المسخ الإعلامى بعيداً ، فلم يعد اليابانيون أشراراً ، ولا الهنود الحمر متوحشين ، ولا الإيطاليون إرهابيين ، ولا اليهود قوماً جشعين .

وفجأة ، ولظروف عديدة ، سرعان ما انتقلت هذه التصورات إلى الشخصية العربية الإسلامية ، وأصبحت وحدها تماثل الصورة البغيضة لليهودى الجشع الفوضوى الكريه كما صورته نفس وسائل الإعلام قبل الحرب العالمية الثانية .

ولظروف معينة اختفت صورة ذلك اليهودى ،وعادت الصورة مرة أخرى مع تعديل طفيف ، فقد تم استبعاد نجمة صهيون بالسيف والمصحف والعباءة ، والقلنسوة اليهودية بالكوفية العربية والحجاب الإسلامى .

أما لماذا العداء حسب لائحة الألوان ، ولماذا اليوم أصبح اللون الأخضر « الإسلام » حسب تصنيف الغرب يحتل المكانة الأولى ؟! .. ذلك لأن المتابع للإنتاج الفكرى الأوروبى يلاحظ بروز تيار قوى ومؤثر يصور الإسلام

كعدو بديل عن الشيوعية ، خاصة فى ظل حالة الانتصار التى يعيشها الغرب بعد انتهاء الحرب الباردة ، والتى لا تكتمل فى نظرهم إلا بوجود عدو جديد يؤكد فكرة الانتصار .

ورغم أن هذا العدو لا يمتلك من مقومات القوة العسكرية ما يهدد الغرب ، إلا أن الإعلام الغربى يتعمد تقديم صورة للعرب والمسلمين تجمع بين الضعف والتخلف والإجرام والإرهاب والتطرف وسفك الدماء .

وظهر العرب والمسلمون فى الإعلام الغربى بأنهم مصدر العنف والإرهاب ، وبأنهم السبب المفاجئ فى الأزمات الاقتصادية للعالم ، لتحكمهم فى أسعار النفط ، وغير ذلك .

ورغم أن الإسلام لازال المجنى عليه ويتلقى الضربات من كل جهة ، ولم يبدأ الغربَ بالعداء فى أى وقت ، إلا أن وضعه فى « خانة العدو الجديد » أمر يجب الالتفات إليه ، والتغلغل فى أسبابه ودوافعه .

إن هذه الأسباب نجدها عند « توينبى » المؤرخ الغربى الذى وصف الغرب بأنه يبحث عن عدو لكى يشبع النفسية الغربية التى تقوم على « التحدى » ، حيث بنى الغرب فلسفته فى البقاء على هذه النظرية ، ومن هنا كانت الحرب الباردة التى امتدت عقوداً من الزمان هى الوسيلة التى استغلها ساسة الغرب لرفع مستوى التحدى فى شعوبهم ، واختلاق المشكلات فى العالم ، فمن « أزمة خليج الخنازير » إلى « أزمة الصواريخ النووية » مروراً بحرب الكنغو وفيتنام والحرب الكورية وحرب النجوم ومشكلة « نورييجا » فى بنما ، و« صدام » فى العراق ، وغزو « جريـنادا » وهاييتى والبوسنة ، وغيرها من مناطق العالم الملتهبة ، كانت تدفع الدول الغربية مستغلة الآلة الإعلامية الجهنمية لرفع حالة التحدى لدى شعوبها ، ولم يجد الغرب حالة التحدى الدائمة إلا فى الإسلام ، ولم يجد كبش فداء جاهز للذبح سوى الأصولية الإسلامية ، فركز عليها ، وأظهرها بمظهر الخطر الداهم عليه وربطها بالعنف وسفك الدماء ، وحولها إلى حالة إعلامية قلقة تخدم

هدف « التحدى والتحفز » لتخويف الشعوب العربية والدائرة فى فلكها لتعيش تلك الحالة .

إن فكرة الصراع والتحدى فى الغرب تحتل موضع العقيدة فى التكوين الثقافى منذ القدم ، فهناك « صراع الآلهة » فوق جبال « الأولمب » ، وهناك صراع الأساطير فى « الإلياذة » و « الأوديسا » وما جره هذه الصراع من حرب بين « أسبرطة » و « أثينا » ، ثم صراع الدولة الرومانية والفارسية ، والرومانية والإسلام ، ثم الصراع الصليبى مع الإسلام ، ثم الأندلس وشمال أفريقيا ، وأخيراً القوقاز والبلقان .

إن المتتبع لوسائل الإعلام الغربية يلاحظ مؤشرات خطيرة للعداء المتزايد ضد الإسلام والمسلمين والجاليات الإسلامية هناك ، وتركيز هذا الشعور « الوهمى » بخطورتها ، استناداً إلى :

١ - الفهم المغلوط لبعض مفكرى وكتاب الغرب للإسلام وتعاليمه .

٢ - تسليط الاضواء على بعض التصرفات الشاذة لبعض المسلمين ورؤية الإسلام من خلالها .

والأمر المؤسف أن الإعلام الغربى يروج لهذه الأمور ، وبصورة مكثفة ، مؤخراً ، ويتوسع فى نشرها وإلقاء الضوء عليها ، وأصبح بعض مفكرى وخبراء وسياسيى الغرب يصنفون الإسلام على أنه خطر حقيقى ، وأن المسلمين فى هذه البلدان يمثلون تهديداً لا يُستهان به تجاه حكوماتهم وشعوبهم ، وأصبحت مجلات وصحف كبرى فى أوروبا تبرز عناوين رئيسية فى غاية الإثارة والاستفزاز ، وتحذر من قدوم خطر « الراية الخضراء - الإسلام » ، مثل : « الله يحتل العالم » !! « هل يُقبرنا الإسلام» ، « ظلال المآذن المتطاولة » ، « الإسلام يملأ الفراغ بعد انحسار الشيوعية » ، « نيران جامحة فى الجمهوريات الإسلامية » ، وظهرت « حرب المصطلحات » : المتعصبون - الأصوليون - المتطرفون - النضاليون - الإرهابيون ، الإحياء والبعث الإسلامى - الخطر الإسلامى - الصحوة الإسلامية ... إلخ .

وهكذا يستمر هذا المسلسل من المغالطات والافتراءات الظالمة ، حتى أن الغرب ذاته قد صدق بأن لإعلامه مصداقية لا يتطرق إليها شك أو تهمة ، فهى من ثم مصداقية لا تتغير .. ولا تنتكس ، وإن خالف الأداء الإعلامى الدعوى أو الادعاء ، وقد بُنيت نظريات كاملة ، وتقررت أفعال ، واتخذت مواقف ، وموررست مسالك .. بناء على هذا التصديق اليقينى .

إن كثيراً من الإعلاميين فى الغرب يتعمد الكذب فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين ، حتى لكأن أحدهم « يجهز » التهمة الكاذبة ابتداءً ، أو يضع أرقام التهم فى جداول ، ثم يعتسف الأدلة أو القرائن التى تعزز موقفه ، أو تملأ جداوله الفارغة ، وقد تبدى ذلك فى الأشكال الإعلامية المتنوعة : الكتاب - الصحيفة - المجلة - الإذاعة - التليفزيون - السينما - و.. و.. و.. ، فكيف تصح أو تتحقق المصداقية الإعلامية المزعومة فى خضم هذا الطوفان من الأكاذيب .

« وشهد شاهد من أهلها » فى الكتاب الذى أصدره المعهد الملكى للشئون الدولية فى « لندن » وهو معهد له وزنه واحترامه فى بريطانيا بعنوان « أوروبا والعرب » لكاتبه « ديفيد مكدوال » الذى ذكر : « إن وسائل الإعلام الغربية كان لها دور كبير فى إحداث تأثير نفسى فى توجيه الأذهان نحو فكرة ( العدو المسلم ) ، ورسم صورة للإسلام وكأنه يخيم بظلال تهديده فوق الغرب » .

وقد أفرز ذلك « التأثير النفسى » أكثر من مدلول لكلمة مسلم أو عربى فى الذهن الغربى ، فقد تعنى عند البعض الجمود والتلقائية فى تناول قضايا الحياة ، وقد يفسر هذا ما نراه أحياناً من تصوير المسلم محمولاً على ناقة بجلباب عربى تقليدى .. وقد تعنى ذلك الشعب المنسوب إلى محمد ﷺ - الذى استولى على جزيرة العرب ، وتبدو هذه الصورة فى تسميتهم المسلمين أحياناً بـ « المحمديين » وترديد عبارات مثل « دين محمد » و « صلاة محمد » ويقصد بهذا الإساءة إلى الدين الإسلامى ونبيه ،وقد تعنى عند

البعض الآخر العنف السياسى والرغبة فى التوسع ، وقد بان هذا من مقولة أن الإسلام انتشر بحد السيف ، وقد تعنى عند البعض أيضاً تلك الجماعات الخاملة الكسول بدليل تخلف المسلمين الاقتصادى ، ويدفعهم إلى هذا الظن عدم فهمهم الصحيح لعقيدة القضاء والقدر فى الإسلام .

وسوف نستعرض بعون الله تعالى فى السطور التالية بعض الشواهد والدلائل على التشويه الإعلامى الغربى المتعمد للإسلام والمسلمين ، من خلال الوسائل الإعلامية التالية :

**١- الصحف والمجلات :**

- نشرت صحيفة « صنداى تليجراف » البريطانية فى ١٥/٦/١٩٩٠م افتتاحيتها الرئيسية بعنوان : « هل يقبرنا الإسلام » تضمنت تحيزاً شديداً ضد انتشار الإسلام فى أوروبا .

- نشرت صحيفة « الاينديبندنت » البريطانية تقريراً فى ٧/٩/١٩٩١م أشارت فيه إلى أن الأصولية الإسلامية ستكون البديل للجمهوريات الإسلامية الجديدة وحذرت من المد الإسلامى فيها .

- وقبل ذلك وفى افتتاحية صحيفة « صنداى تايمز » البريطانية ، ذكرت عن التهديد الأصولى : « إن الغرب والاتحاد السوفيتى - قبل انهياره - ينبغى أن يستعدا لمواجهة إسفين إسلامى أصولى هائل ، يمتد من شواطئ البحر المتوسط فى شمال أفريقيا إلى آسيا الوسطى إلى حدود الصين .

- كاتبة إنجليزية متصهينة كتبت فى صحيفة « الصنداى تايمز » البريطانية فى ٢٣/٧/١٩٩٥م قالت : « إن العالم لا يحتاج الآن إلى دولة إسلامية أخرى تُعامل فيها النساء كالكلاب ، وغير المسلمين كالتراب » . ورأى الكاتبة كأخلاقها ، فقد تركت زوجها وأقامت علاقة شاذة مع زميلة لها ، ونشرت الصحف فضائحها ، وقد امتهنت العنصرية ضد العرب والمسلمين دائماً .

– وفى عام ١٩٩٠م قالت صحيفة « الفاينشتال تايمز » البريطانية : إذا كانت أمريكا تشجع الاتجاهات الديمقراطية فى شرق أوروبا ، فيجب عليها ألا تشجع ذلك فى العالم الإسلامى ، لأنها بذلك تدفع دون أن تدرى بالأصوليين لتسلّم زمام السلطة .

– وفى أوائل عام ١٩٩١م نشرت صحيفة « صنداى تلجراف » البريطانية ( أيضاً !!! ) مقالاً لـ « بيرجرين دور شورن » بعنوان : « الوجه القبيح للإسلام » قال فيه : « إن حلف شمال الأطلسى سوف يعيش ، وإن الغرب سيبقى مجموعة دول لها قيم أساسية مشتركة ، وستبقى هذه المجموعة متماسكة معاً من خلال الشعور بخطر خارجى ، هو التطرف الإسلامى » .

– كما ذكرت نفس الصحيفة : « إن الإسلام الذى كان حضارة عظيمة تستحق الحوار معها ، قد انحط فأصبح عدواً بدائياً لا يستحق إلا الإخضاع » .

– وفى بريطانيا ، كذلك ، لم يتوقف سيل المقالات والتعليقات والتحقيقات والأخبار فى يناير ١٩٩٦م عن « الوحش » التركى « ١٨ سنة » الذى خطف الفتاة الإنجليزية « سارة كوك » إلى بلاده وتزوجها ، تحولت « سارة » لبطلة لروايات « ألف ليلة وليلة » وأخذت الأقلام المسمومة والمدسوسة بتغذية الخيالات وتصوير عالم غريب برموزه « الذكورية » الهاجمة إلى ما وراء البحر لاصطياد « الأنوثة » الأوروبية !!

شاب تركى أحب فتاة بريطانية صغيرة .. ماذا حدث ؟! لقد تزوجها ، فنسجت الأسطورة التى تلقفتها أجهزة الدعاية ، وأخذت « طبول الإفرنج » بالقرع معلنة الحرب على ثقافة « دونية » وحضارة منقرضة تجرأت بالتطاول على « أسياد العالم » !!

لو حصلت نفس القصة مع شاب أوروبى لاعتبرت رائعة نهاية القرن العشرين وتصلح « فيلماً سينمائياً » يعيد ذكريات « روميو وجوليت » التى تدمى العيون والقلوب .. ولو كان هناك من نقد لاعتُبر الموضوع مجرد خطأ شخصى ، دون تحويل الخطأ الفردى إلى خطأ « أمة » بأسرها .. ولو ارتكبت

« سارة كوك » أفعال رفيقاتها وأدمنت المخدرات وهربت من أهلها وعاشرت من هو أكبر منها سناً لاعتُبر الأمر من إفرازات التقدم والتطور ، ولأقدمت الدولة على إعالتها وطفلها حتى يشب وتشب معه ، ولكنها لم تفعل ذلك ، بل تجرأت وتمردت على تقاليد الجيل الجديد فى أوروبا ، فاستحقت اللعنة والغضب .

معظم عناوين الصحف والمجلات التى تناولت الموضوع كالت السباب والشتائم « للآخر المختلف والمتخلف » رابطة الحادث الفردى بسيرة أمة وتاريخها الحضارى والثقافى ، متناولة عاداتها المنكورة .

أخطر ما فى هذه الحملة « العنصرية الثقافية » ليس ما يقال عن المسلمين فحسب ، بل تكراره ليتحول مع الأيام لثقافة مضادة للآخر تُعيد إنتاج أفكار النازية والفاشية ، بسياق مختلف مع المبدأ نفسه : أنا أفضل منك !!

السؤال : هل تتم هذه « الحملات الإفرنجية » بعفوية ودون تخطيط ، وهل هى حرية رأى فعلًا ، أو حرية اعتداءٍ منظم ومقصود ضد الآخر المختلف ، كانت ضحيتها سارة ، وكذلك زوجها ؟!

- وفى عدد غير عادى من مجلة « نيوزويك » فى مايو ١٩٩٥م أُفردت عدداً كبيراً من صفحاتها تحت عنوان كأنه صيحة تحذير « أوروبا المسلمة !! » حرصت المجلة على بث الرعب لدى الأوروبيين من المسلمين ، فتساءلت عن مستقبل أوروبا مع تزايد أعداد المسلمين فيها ، وما يمكن أن يؤديه من تغيير وجه الحياة فىالقارة الأوروبية ، وقد تعمدت المجلة أن تذكّر أوروبا بالحملات الصليبية .

- وفى سبتمبر (١٩٨٨) كانت صورة الغلاف لمجلة أسبانية تُمثِّل يد أحد المسلمين يمسك بالسيف كرمز للإسلام ويغمده فى قلب خريطة أسبانيا ، وكان التعليق المصاحب للصورة : الإسلام يتغلغل فى أسبانيا .

- وفى مارس (١٩٩٥) نشرت مجلة « أرابيسك » الصادرة فى مقاطعة « كولونيا » بألمانيا آيات قرآنية كريمة حول صور لراقصات عاريات ، وفى حينه

رفع بعض المحامين المصريين - تضامن معهم عدد من رجال الأزهر والشخصيات العامة - دعوى على وزارة الثقافة لسماحها للمجلة بدخول مصر .

- وفى أول أكتوبر (١٩٩٤) دقّت مجلة « لوبوان » الفرنسية ناقوس الحرب ضد الإسلام والمسلمين ، فقد نشرت تحقيقاً صحفياً مطولاً من ١٦ صفحة كاملة « تأمل !! » للكاتبة الفرنسية « كرستيبان ماكاريان » عن الرسول ﷺ بعنوان : « الحياة الحقيقية لمحمد » ، وزودت الموضوع بصور زعمت أنها للرسول والصحابة وعلى بن أبى طالب ، وفاطمة بنت رسول الله - رضى الله عنهم - وجبريل عليه السلام ، وبلغ من اهتمام المجلة بالموضوع أنها وضعته على الغلاف كله برسم مزعوم للرسول وهو يتلقى الوحى من جبريل .

وبصرف النظر عما تمثله نشر تلك الرسوم من تحد للمشاعر الإسلامية التى ترفض أى رسم خيالى لنبى أو صحابى ، فإن الأهم هو ما ورد فى الموضوع من أكاذيب وافتراءات تتضمن التشكيك فى نزول القرآن وتدوينه وتجميعه والتنديد بلغته وأسلوبه الذى أتى الفلاسفة والمتصوفون بمثله ، وأن المسلمين يعبدون محمداً الذى له ٩٩ اسماً ويسجدون لاسمه ، وأن محمداً هو مؤلف القرآن وصائغ لاهوته ومختلق ربطه بالديانتين السابقتين لإضفاء الشرعية على دينه ، وأن القرآن لا يضم تشريعاً وكتباً وفقاً لأحداث الساعة ، كما يتضمن التشكيك فى شخص سيدنا محمد « المجهول الهوية » حتى سن الأربعين ، والتشكيك فى أميته ، والتأكيد على شهواته وأنه جمع بين الزوجات والخليلات ، وأنه نقض اتفاقه مع اليهود واختلق المعارك لإثراء المسلمين ، كما أنه أخذ طقوس اليهود تملقاً لهم ، ثم عدل عنها تملقاً للمسيحيين ، واتهم اليهود بأنهم قتلة عيسى ، كما يتضمن اتهام التراث بتحريف التاريخ والغزوات الإسلامية ، أما الحجاب فهو مرتبط باتهام عائشة وليس إجبارياً !!.

**٢ - السينما والتليفزيون :**

فى السينما العالمية تقترن الكوفية والعقال - رمز العربى والمسلم - بمناظر مشينة ، أو تصرفات ممجوجة ، أو صور كاريكاتيرية تعرضهم بسخرية .

وقد عرض التليفزيون الأوروبى فى نهاية العام (١٩٩٥) حلقات متابعة بعنوان : « الإسلام والخنجر »!! تدور حول أن الإسلام دين العنف وإراقة الدماء مع كل من لا يعتنقونه ، بل وأيضاً مع من يعتنقونه لمجرد الخلاف ، ويستشهدون فى ذلك بفتاوى إهدار دم سلمان رشدى .

كما عُرض فيلم من إنتاج فرنسى عنوانه « حالة طوارئ .. القرآن والكلاشينكوف !! » مدته ٦٠ دقيقة ، يقدمه مقدم أفلام تسجيلية مشهور فى السينما الفرنسية ، اسمه « جان مارى كافادا » وآخرون ، وهو من إخراج المخرج الفرنسى « فيليب لاليمان » ، وعنوان الفيلم يشى بمضمونه .

وقد دأب التليفزيون الفرنسى بقنواته المختلفة على بذل جهد حثيث لإثارة الكراهية ضد الإسلام والمسلمين ، حتى صار يمنع المثقفين الفرنسيين البارزين المعارضين لتلك اللوثة الفرنسية من الظهور على شاشته وفى برامجه ، والباحث الفرنسى المعروف « فرانسوا بورجا » وهو من أكثرهم تفهماً وإنصافاً للمسلمين نموذج لضحايا هذا الموقف الغريب ، حيث لا يُسمح له بالظهور إلا فى برامج قناة تليفزيونية ألمانية فرنسية (آر . تى » ويستعين به الألمان وليس الفرنسيون !!

وقد صدرت فى ألمانيا ( يناير ١٩٩٦) دراسة إعلامية مهمة تتعلق بالدور الذى يلعبه التليفزيون فى أوروبا بالنسبة للجاليات الأجنبية بها - ومعظمهم من المسلمين - فانتقدت بشدة الأهمية القليلة وشبه النادرة التى توليها محطات التلفزة الأوروبية تجاهها ، على عكس ما تدعيه سياسة دول الاتحاد الأوروبى من رغبتها فى إدماج الأجانب .

كما أوردت الدراسة وجهة نظر عدد كبير من مسئولى الجاليات الأجنبية ، منهم البروفيسور التركى فاروق صن - رئيس مركز الدراسات التركية بمدينة « إيسن » الألمانية ، الذى أعرب عن قلقه من قلة اهتمام وسائل الإعلام الألمانية وخاصة التليفزيون بقضايا المسلمين ومشاكلهم ، مما دفع بعض المؤسسات التجارية الألمانية والتركية إلى إنشاء محطات تليفزيون

خاصة تبث باللغة التركية هدفها التجارة عن طريق الإعلانات ، خاصة فى مناطق التجمعات التركية .

ودعت الدراسة الإعلامية إلى ضرورة تخصيص برامج موجهة للجاليات الأجنبية تبثها محطتا التليفزيون الألمانى ، الأولى والثانية ، شبه الرسمية مباشرة أو عن طريق محطات إقليمية فى الولايات الألمانية بهدف دمج الجيلين الثانى والثالث من أبناء الجالية المسلمة بالمجتمع الألمانى مع الاحتفاظ بهويتهم الدينية والثقافية والاجتماعية الخاصة بهم .

وناقشت الدراسة المذكورة المشاكل الناجمة عن عدم الاكتراث بشئون الأجانب فى التليفزيون الأوروبى والألمانى ، وهى مشاكل مزدوجة تتعلق بجهل الأوروبيين بالمشاكل التى تواجه الأجانب الذين يعيشون معهم من جهة ، وعدم معرفة الأجانب لحقيقة الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى المجتمع الأجنبى من ناحية أخرى ، مما يزيد من اتساع الهوة ويضاعف موجة العداء ضد الأجانب .

كما انتقدت الدراسة الصورة المشوهة التى تقدمها مؤسسات الصحافة ومحطات التليفزيون الأوروبى عن الأجانب وتعمد اختيار صورة سلبية ، بدلاً من تقديم صور موضوعية وواقعية .

**٣ - تصريحات رسمية :**

يصعب علينا التحديد الدقيق لبداية الإعداد الغربى للبحث عن عدو جديد ، ولكن نبدأ حسب المتاح لنا اعتباراً من عام (١٩٨٥) لنتأمل التصريحات الرسمية التالية :

- فى عام ١٩٨٥ قال الرئيس الأمريكى الأسبق « نيكسون » بعد تولى « جورباتشوف » للسلطة فى الاتحاد السوفيتى السابق : « يجب على روسيا وأمريكا أن تعقدا تعاوناً حاسماً لضرب الأصولية الإسلامية » .

- فى ربيع عام ١٩٩٠ ألقى «هنرى كيسنجر» وزير الخارجية الأمريكى الأسبق خطاباً أمام المؤتمر السنوى لغرفة التجارة الدولى ، قال فيه : «إن الجبهة الجديدة التى على الغرب مواجهتها هى العالم العربى والإسلامى باعتباره العدو الجديد للغرب» .

- كما يقول الرئيس الأمريكى الأسبق «نيكسون» أيضاً فى كتابه «نصر بلا حرب» : «إن على الولايات المتحدة أن تنتزع الزعامة الروحية فى العالم ، مثلما انترعت الزعامة العسكرية والاقتصادية» .

- ويقول «نيكسون» فى كتابه الأخير «إقتناص الفرصة» : «إن معظم الغربيين ينظرون نظرة واحدة إلى المسلمين على أنهم غير متحضرين ، برابرة غير عقلانيين ، إلا أن الحظ حالف بعضهم» .

- وقال «جان كلود بارو» المسئول الفرنسى عن الهجرة : «إن الإسلام هو الخطر على مستقبل الغرب» .

- وعندما سُئل الرئيس الفرنسى السابق «فرانسوا ميتران» عن سبب مساعدته لصدام طاغية العراق ، قال : كنا نساعده لأنه يحارب الأصولية الإسلامية فى إيران التى تمثل تهديداً أكبر لمصالحنا» .

- ذكر «صمويل هينتينجتون» أستاذ العلوم السياسية ، ومدير معهد جون أولين للدراسات الاستراتيجية جامعة هارفارد فى مقالة بمجلة «فورن أفيرز» الأمريكية سنة ١٩٩٣ بعنوان : «صدام الحضارات» : «أن الإسلام له حدود دموية ، وأنه أشد الأديان اليوم حيوية على الإطلاق ، إلا أنه أكثرها قتالية وعنفاً» ، وقد نالت هذه المقالة شهرة مدوية حتى قيل أنها أصبحت الخطة الاستراتيجية الجديدة للغرب فى مواجهة تحديات المستقبل .

- كلاوس نيومان - القائد العام للقوات المسلحة الألمانية يحذر من أن الخطر الأخضر قد حل محل الخطر الأحمر ، وأن هلاله يمتد بين المغرب وباكستان ، وأنه يشكل تحدياً «أيديولوجياً» للغرب .

– إيكارت فيرتى باخ – رئيس هيئة حماية الدستور – أعلى جهة قضائية ألمانية يقول : سيحل الصراع الحاد بين الثقافة الغربية المسيحية والإسلامية العدوانية – بعد نهاية الشيوعية – محل صراع الشرق والغرب .

**٤ - الكتب ، ووسائل أخرى :**

فى موازاة التشويه الإعلامى السابق ظهر عدد من الكتب عمل مؤلفوها فى نفس الخط التشكيكى والتخويفى من الإسلام ، منها كتاب « نهاية التاريخ والإنسان الأخير » لمؤلفه « فرانسيس فوكياما » الذى رسم صورة مأساوية للعالم فى حالة عودة الإسلام وتمكنه كما كان من قبل ، ويصدق ذلك على كتاب « الحرب مع الحداثة – التحدى الإسلامى » لمؤلفه « ديفيد جونس » الذى استبعد أى تفاهم بين الغرب والإسلام .

وهذه صورة أخرى للإساءة للإسلام ، « دار شانيل » للأزياء فى باريس وضعت آيات قرآنية على أزياء عارضاتها العاريات ، وقد احتج على ذلك « دليل أبو بكر » إمام مسجد باريس ، وتعهد كلوديه إليتيه رئيس « شانيل » بإحراق جميع النسخ المتضمنة صوراً لذلك الفستان الذى عرضته « كلوديا شيفر » العارضة الفرنسية الشهيرة فى يناير (١٩٩٥) .

وفى أبريل ١٩٩٥ أصدرت هيئة البريد البريطانية طابع بريد يحمل صورة أشرف الخلق أجمعين محمد ﷺ ، وبجواره طاغية من طغاة التاريخ الحديث ، وهو موسولينى بحجة حبهما المشترك للقطط ، ولا يخفى على أحد مغزى هذا الطابع من استخفاف واستهزاء وسفالة واضحة .

* * *

## ثانياً : الاستشراق

إن الدخول فى أى شىء دون معرفة كنهه وحقيقته يتعب السائر فى الطريق ويصعب عليه الوصول وتطيش له الرؤى وتتعثر عليه النتائج المنصفة ، والتعريف للشىء هو مفتاحه وبدونه يكون الباب موصداً ، وما بعده شىء من المجهول ، ومن ثم لابد من تسليط الضوء على معنى الاستشراق .

### معنى الاستشراق :

هو علم الشرق ، وكلمة مستشرق تطلق على كل عالم غربى يشتغل بدراسة الشرق كله - أقصاه ووسطه وأدناه - فى كل ما يتعلق به ، وبهذا يتضح أن معنى الاستشراق : وضع الأمة الإسلامية بشتى قواها ومختلف نتائجها تحت المنظار الدقيق الذى يرصد كل شىء وإن كان هيناً فى نظر المسلمين ، فإنه ذو قيمة عظيمة فى نظر المستشرقين لأنه قد يكون فى نظرهم غاية وحده ، أو وسيلة توصل إلى غاية ، أوْ جزءاً ينضم إلى أجزاء فتكتمل الصورة به ، وهم بذلك يستجمعون كل الأطر لتكون ضربتهم قاصمة لها دوى كبير لا يمكن تجاوز آثاره إلا بعد سنوات من التصفية والتنقية .

ويعرفه الدكتور محمود حمدى زقزوق فى كتابه : « الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى » : « الاستشراق ليس علماً بأى مقياس علمى ، وإنما هو عبارة عن أيديولوجية خاصة يُراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام ، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراضات ، والدارس لأعمال المستشرقين لا يحتاج إلى بذل جهد كبير ليرى تعمدهم تزييف الحقائق واللجوء إلى منطق فاسد للوصول إلى نتائج تهدف فى النهاية لرسم صورة مشوهة سقيمة عن الإسلام فى نظر الغربيين ، وإلى زلزلة عقيدة الإسلام

وتمييعها فى أعين المسلمين .. ويقول « رودنسون » وهو مستشرق منصف : « لم ير المستشرقون فى الشرق إلا ما كانوا يريدون رؤيته » .

**أنواع المستشرقين :**

إنهم على أنواع ثلاثة : نوع منصف معجب بالإسلام ، ونوع حاقد متعسف للغاية لا يكف عن الطعن فى الإسلام ، ونوع محايد حمله على دراسة الإسلام حب الاستطلاع والولوع بالمعرفة أياً كان مصدرها ، والنوع الحاقد منهم أفرز أكثر من ٦٠ ألف مجلد ، كلها سموم وأحقاد مثل « جولد تسيهر » اليهودى ، و « كازانوفا ، ومرجليوث » .

أما النوعان الآخران : « المحايد والمنصف» فعلى ما فى كتاباتهم من أخطاء مثل : شارل بروكلمان ، وجوستاف لوبون ، فلهم إنتاج مشكور ، مثل : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ويقع فى سبعة أجزاء ضخام ، ومثل « حضارة العرب » لجوستاف لوبون .. وأياً كان الأمر يجب قراءة أعمال المستشرقين بحذر ووعى .

**دوافع الاستشراق :**

ليست حركة الاستشراق من الحركات السلبية الدائرة فى حلقة مفرغة ، أو أنتجتها عوامل دنيا لا تسيطر على الأفكار أو لا تمتلك زمام الأمور ، ولكن كان للاستشراق دوافع واضحة الملامح ، بارزة المعالم وهى :

**١- الدافع الدينى :**

فقد أذهل النصارى المد السريع للإسلام الذى زحف على المعاقل المسيحية ، ومن هنا فكرت البابوية فى روما فى مواجهة هذا الزحف عن طريق الاستشراق ، فدفعت الرهبان والقسس لدراسة الإسلام واللغة العربية لتحقيق ما يلى :

- انتزاع مقومات الفكر الإسلامى بالتشكيك فيه وإثارة الشبهات حوله كوسيلة لفرض الثقافة الغربية لتطويق الثقافة الإسلامية وصهرها فيها .

- محاولة إسقاط النفوذ الإسلامى وتطويقه حتى لا ينتشر فى أماكن أخرى من العالم .

- زعزعة العقيدة الإسلامية فى نفوس المسلمين ، وإضعاف ارتباطهم بالإسلام .

- ليس الاستشراق حركة منفصلة عن التبشير ، أو أن كلاً منهما يعمل فى وادٍ مختلف ، لكنهما صنوان ، وأهدافهما واحدة ، فقد امتزج الاستشراق بالتبشير حين نزل إلى ميدان الاستشراق علماء وباحثون من القساوسة غلبت عليهم مهنتهم كرجال دين على منهجهم كباحثين ، وكان المستشرقون هم الذين يمدون المبشرين بالمعلومات الدينية المشوهة عن الإسلام ، وقد ظهرت فى نهاية القرن الماضى نزعة تهدف إلى الفصل بين الاستشراق والتبشير وتجريد ما يقوم به المستشرقون فى مجالات الدراسات الإسلامية واللغوية من عوامل التعصب والحقد ومحاولة سلوك المستشرقين مسلك النزاهة والحياد العلمى ، ولكن هذا الادعاء ما يلبث أن يتوارى خجلاً من الحقائق الثابتة التى تؤكد امتزاج الاستشراق والتبشير ووحدة أهدافهما .

## ٢ - أهداف الاستعمار :

تبنى الاستعمار حركة الاستشراق واستعان بالمستشرقين واعتبرهم طلائعه الذين يتعرفون على الأفكار ويقومون بالدعايات وإثارة المنازعات وإشعال الخلافات ، كما قام المستشرقون بالتجسس على البلاد والتعرف على أحوالها وبالإجماع فإن المستشرقين فى جمهورهم لا يخلو أحدهم من أن يكون قسيساً أو استعمارياً أو يهودياً ، وقد يشذ عن ذلك أفراد ، كما أن جل المستشرقين يخدمون وزارات الخارجية فى الدول الاستعمارية ، ويدل ذلك على أن مهمتهم سياسية بالدرجة الأولى ، وأن سوء النية متوفر لدى أكثرهم فى تناولهم لبعض القضايا ، وهذا ما تتضح به كتبهم المليئة بالسم الزعاف ، فادعاءات النزاهة العلمية تطيش أمام الحقائق التى لا تقبل الارتياب .

### ٣ – جزر الدعوة الإسلامية :

إن السموم التى تعج بها كتب المستشرقين أقامت حجاباً كثيفاً بين المدعوين لا سيما فى أوروبا ، وبين وصول الدين إليهم بصفاته وصورته الكاملة ، فالشبهات التى دسها المستشرقون حول الإسلام كان لها الأثر الخطير فى توهين الصلة وفقدان بريق الدين وانعدام أثره الحى فى النفوس ، ومعظم الأوروبيين يتعاملون مع الإسلام على أنه دين قتل ، ويتعطش لإراقة الدماء ، وأنه نشر بالسيف ، وأنه طبقى ويهضم حقوق المرأة .. وذلك بسبب ما يثيره المستشرقون ويروجونه فى البقاع والبطاح ، والمدعو فى أوروبا ليس له من حيلة إلا هذه الكتب فيقيم صورة مشوهة عن الإسلام ولا يفكر ولو للحظة أن يعتقد فى صحته ، خاصة وهو يرى من حال المسلمين ما يزيد الطين بلة .

فالاستشراق الذى تملأ سمومه الكتب حال بين المدعوين والإسلام ، وأقام سداً منيعاً بالشبهات والإفك والتضليل .

**المستشرقون .. والذباب !!**

يقول أفلاطون : « الأشرار يتبعون مساوئ الناس ، ويتركون محاسنهم ، كما يتبع الذباب المواضع الفاسدة من الجسد ويترك الصحيح منه » .. وثمة علاقة بين الإلحاد وبعض المستشرقين الحقدة ، ولنأخذ مثلاً رباعيات الخيام ، فالغرب اكتشف هذه الرباعيات وترجمها لمختلف اللغات الأوروبية ، فذاعت شهرة عمر الخيام فى الغرب قبل أن يعرف عنه الشرق شيئاً ، لقد ترجموها لأنهم وجدوها متفقة وأهواءهم من شرب الخمر ، ومصاحبة الغانيات ، والحرية المطلقة بلا قيود ، وجدوا فيها بغيتهم للطعن فى الإسلام ، مستندين إلى مقولات موضوعة تنسب لرجل من عظماء المسلمين [1] .

---

(١) إحسان حقى : عمر الخيام بين الكفر والإيمان – دار النفائس – بيروت ١٩٨٧م ، ص ٦٥ – ٦٧ .

وهكذا أخذ الغرب خمريات الخيام ولم يقف طويلاً عند تراثه الرياضى العظيم الذى امتدحه « جورج سارطون » فى تاريخه ، حيث يقول : « عمر الخيام من عظماء علماء الرياضيات فى القرون الوسطى ، ولكن لم يشتهر إلا بشعره »[1] .

وهذه دائرة المعارف البريطانية أشهر المطبوعات عن الإسلام تقدمه على أنه « يتألف أساساً من كلمات محمد » ، وعن القرآن الكريم تقول : « ما هو إلا مجموعة مستقلة من الأحاديث النبوية أو المحاضرات الدينية التى لها طابع العظة » .

ويتمثل الخطر الذى تشكله دوائر المعارف العالمية والموسوعات فى نقاط نذكر منها :

١ - الانتشار الكبير الذى تحققه ، والقبول الذى تحظى به لدى غير المسلمين والمسلمين أيضاً .

٢ - أن الناس يتعاملون مع ما تحويه تلك الموسوعات على أنها حقائق لا تقبل الشك ، وأنها ثمرة جهود صادقة فى مجال البحث ، وأنها معلومات محايدة .. والواقع غير ذلك .

٣ - تعتبر عند كثير من الأمم المرجع الوحيد عن الإسلام ، ومن ثم تكون المعلومات المغلوطة بها هى حجر الأساس فى ذاكرة من لم يقرءوا عن الإسلام ، ولن تفلح أية جهود فى تغييرها .

٤ - دائرة المعارف الإسلامية الموجودة الآن عبارة عن مجموعة من آراء المستشرقين وما توصلوا إليه فى مختلف الموضوعات الإسلامية ، ومن المحزن أن العالم يتداولها كمرجع رئيسى عن الإسلام والمسلمين ويتعامل معها كحقائق لا تقبل النقاش .

---

(١) على عبد الله الدفاع : نوابغ علماء العرب والمسلمين فى الرياضيات - دار الاعتصام - القاهرة ١٩٧٨م - ص ١٨١ .

## نفاق المستشرقين[1] :

الازدواجية والتناقض ، سمتان رئيسيتان عند بعض متعصبي المستشرقين ، فالواحد منهم يجد نفسه أحياناً مضطراً لمدح الإسلام أمام جمهور مسلم ، وفي أحيان أخرى يهرب هؤلاء المستشرقون المتعصبون من التخصصات التي تفضح افتراءاتهم ، مثل العقيدة والتفسير ، ويتجهون لدراسة الأدب ، ويتخذونه قناعاً يخفون وراءه وجههم القبيح ، والازدواج هنا يعني مدح الشيء وذمه في نفس الوقت ، وهو ازدواج ظاهري فحسب ، إذ أن الموقف الأساسي هو واحد لا ازدواج فيه ولا تناقض ، إنه الطعن والسب والحقد والتشكيك والكراهية ، وحتى لا ينكشف هذا الكم الرهيب من الأحقاد والضغائن يضطر بعضهم من حين لآخر إلى تغطية هذه المطاعن والأحقاد ، فيطلق أقوال المديح والتبجيل في فضل الإسلام على الحضارة الإنسانية .

وهذه الازدواجية نلاحظها أيضاً في كتابات ومصنفات هؤلاء المستشرقين المتعصبين ، فنجدهم يطعنون تارة ، ويمتدحون تارة أخرى ، ويسكتون تارة ثالثة ، كل حسب موضوع البحث ، فجولدتسيهر مثلاً يهاجم الإسلام بشدة في كتابيه : « محاضرات في الإسلام » ، « دراسات محمدية » لأن طبيعة مادة البحث تفتح المجال أمام أحقاده ، فيطلق الحبل على الغارب ، أما في كتابه « مذاهب التفسير الإسلامي » فنلاحظ تراجع موجة الطعن نسبياً ، لأن موضوع البحث لا يعطيه الفرصة نفسها للطعن والسب كما في مجال السيرة والعقيدة .

و « بروكلمان » نقرأ كتابه « تاريخ الأدب العربي » بكل تقدير واحترام لأنه عبارة عن فهرست لكتابات العرب في مختلف فروع العلم ، والمجال هنا ضيق ولا يتسع للسب أو الشتم ، أما كتابه « تاريخ الشعوب الإسلامية » فمملوء بالسخرية والمطاعن لأنه يعالج فيه ظهور الإسلام والسيرة النبوية وتطور العقيدة في الإسلام .

---

(١) ثابت عيد : دراسة بصحيفة الحياة ٢٠/١٢/١٩٩٥م .

و « مونتجمرى وات » يمجد الإسلام فى كتابه « فضل الإسلام على الحضارة الغربية » ، ولكن كتابه « الإسلام » مملوء بالطعن والتشكيك فى دين الإسلام .

وتبلغ هذه الازدواجية أقصى مداها عند بعض المستشرقين الحقدة مثل : مانفريد أولمان - الألمانى ، وبينيديكت رانيرت صاحب كتاب « مذهب التوكل عند أعلام التصوف الإسلامى » ، والذى قال لإحدى تلميذاته المسلمات : « أنا لا أحب رؤية أى مسلم بمعهد الاستشراق » ، فهل يمكن أن نتخيل أن هؤلاء المرضى يدرسون الإسلام والأدب العربى بإنصاف ؟!

**اليهود والاستشراق :**

إيجانس جولد تسيهر (١٨٥٠ - ١٩٢١) مستشرق يهودى متعصب متحامل أشد التحامل على الإسلام ، يقول عنه الشيخ الغزالى : « إنه من أعمدة المستشرقين ودهاتهم ، ولا شك أنه قرأ كثيراً من المصنفات الإسلامية ، ولكنه منذ قرأ وكتب لم يحمل بين جنبيه إلا فؤاداً مترعاً بتكذيب الإسلام ، فهو يدس أصبعه فى كل شىء ، ليتخذ من أى شىء دليلاً على أن محمداً كاذب ، وقرآنه مفتعل ، وسنته مختلقة ، والإسلام كله منذ جاء مجموعة مفتريات ، ورجل مصطبغ الفكر والشعور بهذا المبدأ الثابت لا يجوز أن تكون له حرمة أهل العلم ، ولذلك قلت لنفسى : إنى لا أستطيع ألبتة إقناعها باحترامه »[١] .

ويقول عن هذا المستشرق الشرير كذلك الدكتور محمد البهى : « عرف بعدائه للإسلام وبخطورة كتاباته ، ومن محررى دائرة المعارف الإسلامية ، وكتب عن القرآن والحديث »[٢] .

---

(١) الشيخ محمد الغزالى : دفاع عن العقيدة والشريعة - دار الكتب الحديثة - القاهرة ١٩٧٨ - ص ٩ .

(٢) الفكر الإسلامى وصلته بالاستعمار - مكتبة وهبة ص ٤٤٨ .

ومن كبار المتعصبين اليهود ، المستشرق باول كراوس (١٩٠٤ - ١٩٤٤) مع أن مصر عينته أستاذاً للغات السامية فى الجامعة المصرية سنة (١٩٣٦) ورغم معاشرته للمصريين إلا أن ولاءه الأول والأخير كان لبنى جنسه اليهود ، فماذا ننتظر من مستشرق يهودى متعصب غير الدسائس؟

ونتساءل : ما الدافع لليهود لدراسة العلوم الإسلامية ، ولعل هذا ما يفسر لنا الكثرة الملحوظة لعدد اليهود بين المستشرقين ، فجولدتسيهر ، وكراوس وجرونباوم ، وبرنارد لويس ، ويوسف فان إس ليسوا فقط يهوداً ، بل ويضمرون العداء للإسلام .

وقد قام باول كراوس بالتشكيك فى رسائل جابر بن حيان في الكيمياء ، إذ كتب بحثاً بعنوان : « تحطم أسطورة جابر بن حيان » ، وقام أيضاً بنشر وترجمة النصوص المتعلقة بالملحد الأكبر فى تاريخ الإسلام « ابن الريوندى » التى تهاجم الإسلام فى صميمه ، وتطعنه فى قواعده ، وهى من المؤلفات الهدامة التى وصلت لذروة الزندقة والإلحاد .

ويتشبه « كراوس » فى هذا السلوك الإجرامى بمستشرق آخر يهودى متعصب وإن كان يتظاهر بالمسيحية ، وهو يوسف فان إس الذى ساهم هو الآخر فى نشر مؤلفات ابن الريوندى .

**المستشرقون .. ومبدأ عدو عدوى صديقى :**

ارتبطت الدراسات الاستشراقية منذ بداياتها بالكتابات الإلحادية فى الإسلام ، آخذة بمبدأ : عدوى عدو صديقى ، فكل من يطعن فى الإسلام من المسلمين ، فلابد من تأييده بقوة ، ومنهم سلمان رشدى ، وتسليمة نسرين ومحمد سعيد العشماوى ، ونصر حامد أبو زيد ، والسورى بسام طيبى ، وقبلهم طه حسين .

واهتمام المستشرقين بملاحدة المسلمين يرجع لكونهم أكثر دراية منهم فى هجومهم على الإسلام ، بسبب اتقانهم للغة العربية ، ومعاشرتهم للمسلمين ،

وهى عوامل يفتقدها معظم المستشرقين ، وسنستعرض فى السطور التالية بإيجاز مقاطع من أقوال قدماء الملاحدة لنوضح سر إعجاب المستشرقين بهم ، كما يلى :

منهم مسيلمة الكذاب ومحاولته « المضحكة » تقليد القرآن الكريم وينظر إليه المستشرق فإن إس فى إعجاب وتقدير حتى لكأن هناك قرابة بينهما !!

وكذلك ابن المقفع : ومن المستشرقين الذين عنوا بتراثه الإلحادى جابر يسيلى ، وفان إس ، وأورد ابن خلكان عن الخليفة المهدى - الذى كان يتتبع الزنادقة لتطهير المجتمع الإسلامى منهم قوله إنه لم ير مطلقاً كتاب زندقة إلا ويرجع إلى ابن المقفع ، وقد عثر فان إس على بعض كتب ابن المقفع الإلحادية ، فسارع بنشر مقاطع من معارضة ابن المقفع للقرآن الكريم .

وهناك أبو بكر بن زكريا ، الذى لم يبالغ المؤرخون حين وصفوه بأنه « وحيد دهره فى الطب » ولكن من المؤسف أنه انحرف عن الدين القويم ووجه للعقيدة الإسلامية ضربات موجعة من ذلك ما نشر « باول كراوس » المستشرق اليهودى من بعض كفريات الرازى بعنوان « رسائل فلسفية » ، وأشار البيرونى لكتابين من الميراث الإلحادى للرازى ، هما « مخاريق الأنبياء » و « نقض الأديان » .

يقول الرازى مشككاً فى الدين من أساسه : « من أين أوجبتم أن الله اختص قوماً بالنبوة دون قوم وفضلهم على الناس ، وجعلهم أدلة إلى الناس ، وأحوج الناس إليهم ، ومن أين أجزتم فى حكمة الحكيم أن يختار لهم ذلك ، ويرفع بعضهم على بعض ، ويؤكد بينهم العداوات ويهلك الناس » .

والرازى كثيره ممن يتطاولون على دين الله ويظهرون كفرهم وإلحادهم ، ولكن عندما تحين ساعة الموت ، نجدهم جزعين ، مذعورين ، محتارين مما سيحدث لهم ، يقول الرازى وهو على فراش الموت يحتضر :

لعمرى ، ما أدرى ، وقد أذن البلى بعاجل ترحالى إلى أين ترحالى
وأين محل الروح بعد خروجه من الهيكل المنحل والجسد البالى [1]

**المستشرقون .. وترجمة معانى القرآن :**

المقاييس الأساسية للحكم على أى ترجمة لمعانى القرآن إلى لغة أجنبية تتمثل فى ثلاثة أسئلة هى : من ؟ ماذا ؟ لماذا ؟ .. أما من ، فتعنى شخص المترجم ودينه وموقفه من الإسلام ، وتعنى ماذا : ماذا درس ، وبماذا تثقف ، وما هى درجة إلمامه باللغة العربية وعلوم القرآن ، واللغة التى يترجم إليها ، أما لماذا ، فتعنى دوافعه للقيام بهذه الترجمة .

وترجمات معانى القرآن لمختلف لغات العالم مرتبطة منذ بواكيرها الأولى بمستشرقى أوروبا ورجالات كنائسها ، ومترجم القرآن عندما يكون مسيحياً أو يهودياً فإنه يكون غالباً ليس متحاملاً فقط على الإسلام ، بل يكون قد مرّ بعملية غسيل مخ من خلال قراءاته لسموم جهابذة الاستشراق .

**دوافع المستشرقين لترجمة معانى القرآن :**

تكاد تنحصر دوافع الأوروبيين لترجمة معانى القرآن فى هدف واحد ، هو استثمار هذه الترجمة لشن المزيد من الغارات على الإسلام ، وإن بدأت الصورة تتغير قليلاً الآن ، لكن التيار القوى فى مراكز الاستشراق والكنائس الأوروبية ومعاهد الدراسات مازال هو التيار المعادى للإسلام ، وترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية كان الهدف منها فى المقام الأول تحقيق مقاصدهم بتشكيك المسلمين بدينهم تمهيداً لاحتوائهم ، يقول الأب روبير كاسبار : « إن الغرب لم يفهم الإسلام مطلقاً على حقيقته ، ولم يحاول ذلك ، ويرجع ذلك إلى أن الغرب المسيحى اكتفى لمدة قرون بتطليخ الإسلام ورسوله بأسخف الأقوال دون حتى أن يكلف نفسه عناء دراسة

---

(1) ثابت عيد : دراسة بجريدة الحياة ١٩٩٥/١٢/٢١ .

هذه العقيدة ، فأول ترجمة لاتينية للقرآن لم تظهر إلا فى القرن الثانى عشر الميلادى أى بعد خمسة قرون من ظهور الإسلام ، وتمت بناءً على مبادرة من بطرس المبجل وتحت إشراف أسقف ديركلونى بهدف توجيه المزيد من الإدانات للقرآن الكريم »[1] .

ويحكى المفكر الألمانى الكبير هو برت هيركومر قصة أول ترجمة لاتينية لمعانى القرآن ، قائلًا : « يبدو أن الصليبين رفضوا الاعتراف بحقيقة أنهم يواجهون إحدى ديانات التوحيد القريبة جداً من ديانتهم فى شهادتها المقرة بالله الواحد الأحد والصلوات اليومية والصيام ، كانت معرفة الصليبيين بالقرآن محدودة جداً ، صحيح أن أول ترجمة لاتينية لمعانى القرآن ظهرت سنة ١١٤٣م لروبرت الكيتونى ، وقد بينت هذه الترجمة لأوروبا أوجه التشابه بين القرآن والأناجيل ، ولتذكر فقط التبجيل العميق لسيدنا إبراهيم ، وسيدنا عيسى ، ومريم البتول فى المسيحية والإسلام ، ومع ذلك لم يفكر أحد فى التوصل لحد أدنى من التفاهم بين المسلمين والمسيحيين على أساس كتابيهما السماويين .

وبدلاً من استخدام هذه الترجمة كوسيلة للتفاهم ، استُغلت كمجرد ينبوع محبب لطعن الإسلام ، وحتى بداية العصر الحديث لم يتغير من ذلك شىء ، فعندما قام السويسرى « يوحنا أوبورين » بطبع ترجمته لمعانى القرآن سنة ١٥٤٢م سارعت بلدية مدينة « بازل » إلى حظرها ، ولم تسحب حظرها إلا بعد تدخل مارتن لوثر – مؤسس الكنيسة البروتستانتية – يد أن حجة لوثر فى ذلك كما صاغها بنفسه : « لقد استيقنت أنه لا يمكن عمل شىء أكثر إزعاجاً لمحمد أو الأتراك من ترجمة قرآنهم ونشره بين المسيحيين ، عندئذ سيتضح لهم أى كتاب بغيض ، وهذه وسيلة مثالية لتسليح القلوب

---

(١) الدكتورة زينب عبد العزيز : محاصرة وإبادة .. المؤسسة الجامعية للدراسات – بيروت ١٩٩٣ – ص ٤١ .

اليائسة للمسيحيين ورفع روحهم المعنوية ، حيث قال : « أرى أن على القساوسة أن يخطبوا أمام الشعب عن فظائع محمد حتى يزداد المسيحيون عداوة له ، وأيضاً ليقوى إيمانهم بالمسيحية ، ولتتضاعف بسالتهم وجسارتهم في الحرب » ، ومن شأن موعظة كهذه أن يكون أثرها النفسي على المسيحي أشد من طبول الحرب ، بل إنها ستمنحه قلب أسد حقيقياً في ساحة القتال .

وهكذا نلاحظ تطور تعامل أوروبا مع القرآن ، حيث اعتبرته منذ البداية خطراً حقيقياً يتهددها ، والكنيسة نظرت إليه باعتباره منافساً غير مرغوب فيه ، وبعد تدخل « لوثر » ونشر أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن ، أصبح هناك اتجاه قوي في الغرب لا يمانع في ترجمة معاني القرآن للغات الأوروبية ، ولكن يسعى إلى توظيف هذه الترجمة لتوجيه المزيد من الطعنات إلى الإسلام .

**نقد ترجمات معاني القرآن[1] :**

من الترجمات الحديثة لمعاني القرآن ، ترجمة « رودي بارت » (١٩٦٦) حيث ذكر أنه قبل ترجمته لمعاني القرآن للغة الألمانية قرأ ترجمة ريتشارد بيل الإنجليزية (١٩٣٩) ، كما اطلع على ترجمة بلاشير الفرنسية (١٩٤٩) ، واعترف بارت ببعض الأخطاء التي وقع فيها ، بيد أن موقفه الأساسي من القرآن هو مقياس للحكم على ترجمته ، فمهما كان المترجم عبقرياً ، فماذا تنفع عبقريته إذا كان لا يؤمن أصلاً بصحة ما يترجمه ؟ وإذا كان همه الأول إثبات أن محمداً ﷺ قد أخذ هذا وذاك عن النصارى واليهود ، وإذا كان يتعامل مع النص القرآني كتعامله مع قصيدة شعرية قديمة ، أو نص أدبي من رسائل الجاحظ ؟ إن « بارت » مثله مثل جميع المستشرقين يؤمن إيماناً راسخاً بأن القرآن لم ينزل على نبي الإسلام من السماء ، بل هو مؤلفه وكاتبه .

---

(١) ثابت عيد : دراسة بجريدة الحياة ١٩ ، ١٩٩٥/١٢/٢٢ .

إن ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية يستحيل أن يقوم بها غير المسلمين ، ونكتفى بمثالين على الأخطاء الواردة فى ترجمة « بارت » :

**المثل الأول** : يتعلق بلفظ « النبى الأمى » ، فلفظ الأمى هو من لا يعرف القراءة والكتابة ، ولكن نظراً لأن المستشرقين يدّعون أن محمداً ﷺ هو مؤلف القرآن ، فهو عندهم لابد أن يكون متقناً للقراءة والكتابة ، وكان عليهم أن يحتالوا لاختراع معنى جديد للفظ « الأمى » ، فماذا أتت به قرائحهم؟ لقد ترجم بارت لفظ « النبى الأمى » فى سورة الأعراف ( الآيتين ١٥٧ - ١٥٨) بلفظ يعنى « الوثنى » أو « الكافر » .

**والنموذج الثانى** للأخطاء المتعمدةِ تتعلق بلفظ « الجهاد » الذى يعرفه الجرجانى فى كتابه « التعريفات » بأنه « الدعاء إلى الدين الحق » ، إلا أن « بارت » كسائر الأوروبيين والمستشرقين ترجم لفظ « الجهاد » بمعنى « الحرب المقدسة » .

ونقد ترجمة « بارت » يغنينا عن نقد بقية الترجمات الاستشراقية لمعانى القرآن ، لأن هذه الترجمة - برأى المستشرقين أنفسهم - أفضلها ، ومع ذلك تحتوى على هذه الفضائح والمطاعن ، فما بالنا ببقية الترجمات الأقل جودة .

## كلمة أخيرة عن الاستشراق :

فى كتابه « تاريخ حياة محمد » يقول المستشرق الفرنسى « الفونس إيتين دينيه » فى مقدمته : « بأنه من المتعذر ، أو من المستحيل أن يتجرد المستشرقون من عواطفهم ونزعاتهم المختلفة ، ولذلك بلغ تحريفهم لسيرة النبى وصحابته مبلغاً غطى على الواقع وأخفى الصورة الحقيقية ، وذلك رغم ما يزعمه المستشرقون من اتباعهم الأسلوب النقدى البرىء ولقوانين البحث العلمى المحايد ، وقال : إننا نلمس من خلال كتاباتهم أن محمداً يتحدث بلهجة ألمانية إذا كان المؤلف ألمانياً ، وبلهجة إيطالية إذا كان المستشرق

إيطالياً .. وهكذا تتغير صورة سيدنا محمد بتغير جنسية الكاتب ، وإذا بحثنا فى هذه الصور عن الصورة الصحيحة الدقيقة ، فإننا لا نجدها ، إن المستشرقين يقدمون إلينا صوراً خيالية أبعد ما تكون عن الحقيقة !!

إن أبرز المستشرقين الأوروبيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمى فى كتاباتهم عن الإسلام الذى يظهر فى أكثر بحوثهم كمتهم أمام قضاته ، وأن المستشرقين يمثلون دور المدعى العام الذى يحاول إثبات الجريمة ، وبعضهم يقوم بدور المحامى فى الدفاع ، فهو مع اقتناعه شخصياً بإجرام موكله لا يستطيع أكثر من أن يطلب له مع شيء من الفتور « اعتبار الأسباب المخففة » ، وعلى الجملة فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التى يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع محاكم التفتيش التى أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية للمسلمين فى العصور الوسطى ، أى أن هذه الطريقة لم يتفق لها أبداً أن نظرت فى القرائن التاريخية بتجرد ، ولكنها فى كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه سلفاً ، أملاه عليها تعصبها ، ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذى يقصدون الوصول إليه مبدئياً ،وإذا تعذر عليهم الاختيار العرفى للشهود ، عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة التى شهد بها الشهود الحاضرون ثم فصلوها من المتن ، أو تأولوا الشهادات .. وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للإسلام فى جل ما كتبه مستشرقو أوروبا عنه ، ويظهر أنهم ينتشون حين تعرض لهم فرصة ينالون بها من الإسلام ، وبما أن هؤلاء المستشرقين ليسوا سلالة خاصة فى أوروبا ، ولكنهم طلائع مدنيتهم وبيئتهم الاجتماعية ، فإننا نستنتج أن فى العقل الأوروبى عموماً ميلاً عن الإسلام من حيث هو دين وثقافة[1] .

ومن الدلائل على عنصرية المستشرقين وعدم إنصافهم ، أنه فى « مؤتمر المستشرقين » الذى عقد بمدينة « لايبزج » الألمانية فى نهاية شهر سبتمبر

---

(١) محمد أسد : الإسلام على مفترق الطرق - دار الاعتصام - ص ٥٣ .

(١٩٩٥) ، حينما ناقشوا موضوع زميلتهم المستشرقة الألمانية «آن مارى شيمل» - التى فازت بجائزة «السلام» الألمانية لكتاباتها المنصفة عن الإسلام وتعرضت لهجوم شديد من أجل ذلك - لم تتوافر أغلبية لمساندتها ، وتركوا زميلتهم ومعلمتهم وحدها - لأنها منصفة حقاً للإسلام - تواجه الحملة الشرسة .

وإذا كان جوهر الاستشراق هو التمييز الذى يستحيل اجتثاثه بين «الفوقية الغربية» و«الدونية الشرقية» ، فإن علينا أن نكون على استعداد لنلاحظ كيف أن الاستشراق فى تناميه ، وفى تاريخه اللاحق قد عمق هذا التمييز ، بل وأعطاه صلابة وثباتاً [١] .

* * *

---

(١) الدكتور إدوارد سعيد : الاستشراق - ص ٧٣ .

## ثالثاً : الإزدواجية الفكرية

لا شك أن الدوائر الثقافية الغربية تميل للعداء للثقافة الإسلامية بدليل احتضانها لأى رمز ثقافى يعلن تمرده على الإسلام ، أو يكتب قدحاً أو تشويهاً فى تاريخه أو واقع أهله ، أو حتى فى نبى الإسلام وصحابته وزوجاته ، أو الطعن فى القرآن والسنة ، فهذه الظاهرة تتفجر إعلامياً من آن لآخر من خلال شخصيات مفتعلة لجذب الأضواء ، كما حدث مع « سلمان وتسليمة !! » .

لكن هذا الموقف الأوروبى العام يقترب من « الروتين » الثابت من خلال الدورة المتشعبة للثقافة ودوائرها : جمعيات ومنتديات ، مراكز أبحاث وجامعات ، منظمات خيرية أو إنسانية أو كنسية ، وصحف وأجهزة البث الإذاعى المسموع والمرئى ، والجوائز الأدبية الموسمية التى تقررها هيئات رسمية أو مستقلة .. إلخ ، وهذه الدورة يتم من خلال شعبها استقطاب وصناعة رموز كاذبة ، وقيادات ثقافية وهمية ، القصد منها التشفى فى الإسلام وتاريخه وشخصياته وحضارته ، وصناعة حائط صد ثقافى ضد توغل الإسلام وثقافته فى المجتمع الأوروبى من خلال « شهادات » أناس منسوبين إلى الإسلام وأهله ، وكذلك إشباع الميل الغريزى للثقافة الأوروبية الرخوة والمتوترة إعلامياً نحو الطرائف والغرائب والخرافات التى تنسج حولها .

وسوف نعرض - بعون الله تعالى - فى الصفحات التالية بعض الشواهد على الازدواجية الفكرية للعقلية الأوروبية من خلال الترحاب بكل من يهاجم الإسلام ، وترويع كل من يكتب عنه بموضوعية وإنصاف ، كما يلى :

### ١ - سلمان رشدى .. الدمية !!

كانت رواية المرتد « سلمان رشدى » « آيات شيطانية » بمثابة الغطاء

الذى أكد عداء أوروبا للإسلام حتى درجة الغليان .. ما إن أصدرت إيران فتوى بإباحة دم هذا الزنديق انطلاقاً من فقه إسلامى صحيح حتى هبت أوروبا ثائرة ومعلنة قطع علاقاتها مع إيران ، وأصبح « سلمان » الكاتب المطمور تحت تراب الإهمال أسطورة أوروبية ، فالحكومات الأوروبية سحبت سفراءها من إيران وطردت دبلوماسييها .

رؤساء فرنسا وبريطانيا ، و« أمريكا » يدلون بتصريحات متشنجة لحماية « سلمان » من إرهاب المسلمين ، وملايين الأوروبيين يدافعون عن هذا الزنديق بحرارة وكأنه أتى بما لم يأت به الأوائل . .

الناشرون الأوروبيون يعلنون تطوعهم لطبع الرواية الساقطة وبيعها بسعر التكلفة ، وصحف أوروبا تصف « سلمان » بأنه ضحية حرية الرأى ، وبريطانيا خصصت له حراسة ، والكيان الصهيونى طلب أن يهاجر سلمان إلى « فلسطين السليبة » ، والكتاب الزنادقة يتباكون على حرية الفكر .

لماذا هذه الضجة المفتعلة ؟ وما بواعثها ؟! إن أوروبا - حكومات وشعوباً وصحافة - لم تتحرك بهذا الانفعال والتشنج من أجل رجل وضيع تافه كسلمان ، وإنما لعداوتها للإسلام .

لو أن هذه الزنديق ألّف رواية عن المسيح - عليه السلام - أو عن السيدة العذراء مريم البتول ، يسب فيها عيسى ويشتم أمه ، ويثير حولهما الترهات والأباطيل ، لو أنه سفَّه الأناجيل وطعن فى مقدسات المسيحية ووصف رجالها بأنهم كذا ، وكذا .. لو كان ذلك كذلك ، أكانت أوروبا تحتضن آراءه وتروج لفكره وتدافع عنه ؟! .. قطعاً لا .. بل سيُقدم للمحاكمة !!

لقد غضبت أوروبا لأن الجاليات الإسلامية أحرقت نسخاً من هذا الكتاب ، وذرفت أوروبا الدموع الساخنة على حرية الإبداع !!

فلماذا لم تغضب أوروبا أمام حرق دور السينما التى عرضت فيلم

« الإغراء الأخير للمسيح » بل بدت البشاشة على المجتمع الأوروبى إزاء دور السينما التى تأكلها النيران .

لقد بث التليفزيون الفرنسى حواراً مع « سلمان رشدى » فى ١٦/٢/١٩٩٦ رغم مناشدة إمام مسجد باريس إلغاء البرنامج ، وفى الحقيقة فإن الإعلام الأوروبى يتبنى تلميع « سلمان » ، فمن آن لآخر تستضيف قناة تليفزيونية أوروبية هذا الرجل ، إلى جانب مقابلته لرؤساء أوروبا ومسئوليها ، فلماذا الاحتفاء والتمجيد لهذا الشخص ؟ يقولون : إنه الاحتفاء بحرية الإبداع !!

وهذا كذب مركب ، لأنه ليس لإنتاج سلمان قيمة علمية أو فكرية متميزة ، فهو متوسط الأداء فى التفكير والتعبير ، وقد أصبحت حكاية الإبداع هذه غطاء كثيفاً للأهداف السياسية التى ينظر إليها من منظور « الإعلام السياسى » .

ويُذكر أن حكومة النمسا قد منحت جائزة الأدب الأوروبى لهذا الكتاب العابث فى مارس ١٩٩٤ ، وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الراحل جاد الحق على جاد الحق أن الأزهر بكل علمائه وهيئاته وطلابه يعتب على حكومة النمسا لذلك ، كما أدان المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة تصرف حكومة النمسا [1] .

لماذا تم استغلال هذا المرتد « سلمان » ؟! إن لسان الحال الأوروبى يقول: لأنه محسوب على المسلمين ، وأنه من أصل هندى ، وذلك يضمن لنا أن أى عيب فيه لن ينسب إلينا .

إن هناك مثلاً يقول : إن القرد كلما علا ظهرت حمرة سوأته التى تشينه وتثير الناظرين إليه ، والإعلام الأوروبى صنع هذا « القرد » على عينه ليستنفر ويثير نفور المسلمين .

---

(١) مجلة الأزهر : ذو القعدة ١٤١٤ هجرية .

وقد ذكرت مجلة « بارى ماتش » الفرنسية فى شهر يوليو ١٩٩٣ أن سلمان كان جاسوساً لانجلترا ، وأنه كتب كتابه « آيات شيطانية » بتوجيه من المخابرات البريطانية .

وقد ذكر الكاتب الإنجليزى المشهور « رونالد بارك » فى صحيفة ( صن ) البريطانية نقلاً عن أهرام ١٩٨٩/٣/٧م ما نصه : « .... ومع هذا لم ينطق سلمان بكلمة اعتذار واحدة للبلاد التى أساء إليها ، لذا يجب أن يعتذر ».

وقد ذكر الكاتب « أنيس منصور » فى مواقفه بأهرام ١٩٨٩/٣/٨ ما نصه : « الروائى البريطانى الجنسية الهندى الأصل ، المرتد سلمان رشدى يستحق « ضرب الجزمة » وأكثر ، فقد تعمد أن يسىء إلى الإسلام والقرآن والرسول عليه الصلاة والسلام ، وهذه الإساءة لم تجئ عرضاً فى جملة أو تفسير ، وإنما فى الرواية كلها من أول صفحة حتى آخر صفحة رقم ٥٤٧، وهو سافل وحقير لا شك فى ذلك !! » وهذه مقتطفات للشاعر فاروق جويدة :

فى زمن الردة والبهتان
اكتب ما شئت ولا تخجل
فالكفر مباح يا سلمان
ضع ألف صليب وصليب فوق القرآن
وارجم آيات الله ومزقها فى كل لسان
لا تخش الله ولا تطلب صفح الرحمن
فزمان الردة نعرفه
زمن المعصية بلا غفران
إن ضل القلب فلا تعجب
أن يسكن فيه الشيطان
لا تخشى خيول أبي بكر
أجهضها جبن الفرسان

وبلال الصامت فوق المسجد
أسكته سيف السجان
فاكتب ما شئت ولا تخجل .. فالكل مهان
واكفر ما شئت ولا تسأل .. فالكل جبان
أسألك بربك يا سلمان
هل تجرؤ أن تكسر يوماً أحد الصلبان
أن تسخر يوماً من عيسى
أو تلقى مريم فى النيران
ما بين صليب .. وصليب
أحرقت جميع الأديان
فاكتب ما شئت ولا تخجل
فالكل مهان .. والكل جبان
فاكفر ما شئت ولا تخجل
ميعادك آت يا سلمان
دع باب المسجد يا زنديق
وقم اسكر بين الأوثان
سيجيئك صوت أبى بكر
ويصيح بخالد :
قم واقطع رأس الشيطان
فمحمد باق ما بقيت دنيا الرحمن
وسيعلو صوت الله ولو كرهوا
فى كل زمان .. ومكان .

**٢ - تسليمة نسرين .. صنيعة اوروبا :**

كل من يسب الإسلام ويهين عقائد المسلمين يُعد فى نظر أوروبا من أبطال الحرية ، بينما كل من يسب المسيحية أو يمس التاريخ اليهودى يصبح

عنصرياً ومعادياً للسامية ، بل ومجرماً يستحق الملاحقة والسجن ، إنه منطق كاد يتحول إلى قاعدة مستقرة ، بل إلى قانون ثابت يحكم الحياة السياسية والفكرية فى أوروبا ، وهو موقف ليس جديداً ، ولكن الأدلة التى تعلن عنه تتزايد حيناً بعد حين .

وزيرة الخارجية السويدية « مارجريتا إجلاس » خرجت بنفسها فى أبريل ١٩٩٥ لاستقبال طبيبة بنجالية من هواة الكتابة ، اسمها « تسليمة نسرين » أثارت ضجة فى بلدها بنجلادش لأنها أهانت القرآن وثارت ضدها جماهير المسلمين ، ومن ثم تحولت « تسليمة » إلى نجمة من نجوم عالم الأدب ، وشخصية عالمية يتابع الجميع أخبارها ، حتى أصبحت تتصدر أمهات القضايا ، وقد خصصت كبريات الصحف والمجلات فى البلدان الأوروبية أغلفتها لهذه الكاتبة ، وراحت شبكات التليفزيون الأوروبية تتسابق للفوز بمقابلة معها .

وقد تُرجمت رواية تسليمة الوحيدة « العار » لعدة لغات أوروبية ، بالرغم من أنها هزيلة وسطحية ، وبائسة فنياً وأسلوبياً باعتراف جل النقاد والقراء ، وقد تضاعفت الحفاوة بصاحبتها بشكل خارق ، فإذا بشخصيات بارزة منها : فرانسوا ميتران - إدوار بالادور - كلاوس كينكل ، تخصها باستقبال رسمى تعبيراً عن التضامن معها ، وسارعت اللجان المختصة بمنحها جوائز عالمية مثل : جائزة برلمان الاتحاد الأوروبى ، وجائزة زخاروف ، وجائزة إيديك لمدينة نانت الفرنسية ، وكما مُنحت عضوية البرلمان العالمى للكتّاب !!

فى مقال طويل صدر فى الملحق الأسبوعى لجريدة « السوديشة زايتونج » الألمانية بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩٩٥ يقدم الصحفى المعروف « بوركارد مولر » جملة من الحجج والبراهين التى تثبت بالقطع أن « تسليمة نسرين » لم تكن فى أى يوم كاتبة ذات شأن ، ولا حتى مثقفة بالمعنى الحقيقى للكلمة ، ولا مناضلة صادقة ، وكل ما فى الأمر أنها لجأت للحيل والأكاذيب للحصول على المال والشهرة .

وفى مقاله حمل على وسائل الإعلام الأوروبية - والألمانية بالأخص -

واعتبرها على حد تعبيره مسئولة عن « هذه الفضيحة المخجلة » !!

### ٣ - «شيمل» و« هوفمان » .. ضحيتا الإزدواجية :

قبل وبعد فوزها بجائزة السلام الألمانية عن عام ١٩٩٥ وقدرها خمسة وعشرن ألف مارك تبرعت بها لصالح الدراسات العربية والإسلامية فى جامعة بون ، تعرضت الأستاذة «آن مارى شيمل» لسهام حاقدة تستهدف تدمير سمعتها الأدبية ، فقد تم جمع توقيعات من خمسمائة كاتب وناشر وعضو فى البرلمان للمطالبة بسحب الجائزة منها ، وكان من ضمن الموقعين « تسليمة نسرين» و « سلمان رشدى » !! وذلك تحت ادعاء إهانتها لسلمان رشدى وثنائها على الزعيم الروحى الإيرانى « الخمينى » وفتواه بإهدار دم هذا « السلمان » !! ، وقد قالت رداً على ذلك : إن التهديد بالقتل أمر فظيع ومروع ، إلا أننى أتفهم سبب غضب المسلمين ، فقد أهان « سلمان » المسلمين ، وأهان شخصية الرسول ﷺ ، لقد رأيت كيف بكى الناس عندما علموا ببعض ما ورد فى كتاب « آيات شيطانية » وحسب رأيى ، فإنه لشىء حقير أن تجرح مشاعر عدد كبير من المؤمنين .. ثم أضافت : فى هذا الزمن كل من يدافع عن الإسلام لابد أن يدفع ثمناً لموقفه ، وقد دفعت حصتى راضية ومازلت .

وفى عام ١٩٩٢ أصدرت وزارة الخارجية الألمانية بياناً بشأن السفير الألمانى فى المغرب جاء فيه : « إن الوزارة لا ترى أى داع لاستدعاء السفير الألمانى ( فلفريد هوفمان ) من منصبه وذلك بعد تقصيها للأمر الوارد فى رأى المطالبين بإقالة السفير من منصبه » ، وكان ممثلو الحزب الاشتراكى الألمانى (إس . بى . دى ) وبعض ممثلى الكنيسة البروتستانية الألمانية قد طالبوا باستدعاء السفير لأنه صرح بأن القرآن عنده أهم من القانون الألمانى ، وذلك إذا تم الخيار بينهما ، كما حبذ السفير دخول المجتمع الألمانى فى الإسلام .

وقد أسلم السفير سنة ١٩٨٠ وتسمى باسم « مراد » وأصدر كتابه « الإسلام هو الحل البديل » وهو بمثابة مرافعة مثيرة ومتميزة تدافع عن

الإسلام وتعتبره البديل لإنقاذ الحياة الغربية ، واعتبر « الضباب الفكرى الذى يطلقه الغرب على الإسلام عدواً ينبغى مقاومته » .

يذكر أن محاولات إقصاء السفير « مراد الهادى هوفمان » عن منصبه لم تتوقف ، ولم تيأس ، حتى تم إقصاؤه بالفعل نتيجة سعى الحزب الاشتراكى ونائبة رئيسه « دوبلير جميلين » .

## ٤ - منع الكتب الإسلامية [١]

سياسة منع الكتب الإسلامية استُحدثت فى بعض دول أوروبا وخاصة فى فرنسا التى تعتبر حرية التفكير والتعبير عنها أصلاً لا يجوز المساس به ، وحتى عهد قريب كان المثقفون الفرنسيون يتباهون بأن بلدهم لم تصادر كتاباً ، إلى الآن لا تزال كتب الأستاذ سيد قطب ممنوعة من دخول بلد « النور » ومُنعت مؤخراً كتب الداعية المعروف أحمد ديدات ، وأشرطة التسجيل المسجلة بصوته ، وكان أحد الناشرين قد حصل على موافقة مسبقة لاستيراد ١٤ كتاباً له ، وعندما وصلت الكتب إلى باريس تم احتجازها لمدة أربعة أشهر ، وطلبت السلطات من الناشر إعادتها مرة أخرى إلى بيروت ، أو إحراقها شريطة أن يتحمل تكلفة البنزين !! .

وقال مسئول فى دار القلم بباريس المتخصصة فى طباعة وتوزيع الكتب الإسلامية فى فرنسا إن الدار فوجئت بقرار وزير الداخلية الفرنسية بمنع كتاب « الحلال والحرام » للدكتور يوسف القرضاوى ، رغم رواج الكتاب منذ خمس سنوات وإجازته من وزارة الداخلية ، كما تم منع كتاب الرئيس البوسنوى على عزت بيجوفيتش « الإسلام بين الشرق والغرب » وقد اقتحم البوليس الفرنسى مكتبة التوحيد بمدينة « ليون » وقام بتفتيش المكتبة ست مرات بحثاً عن الكتب الممنوعة .. يحدث هذا فى الوقت الذى تستضيف فيه السلطات الفرنسية رموزاً معادية للمسلمين كسلمان وتسليمة !! .

---

(١) الأخبار ١٩٩٥/٥/١٢ + الشرق الأوسط ١٩٩٥/١٠/٢ .

## رابعاً : طمس الهوية الإسلامية

لنبدأ بتعريف مصطلح « الهوية » : فى عرف حضارتنا العربية الإسلامية تعد كلمة « الهوية » مأخوذة من : « هُوَ .. هُوَ » ، بمعنى جوهر الشىء وحقيقته ، فهوّية الإنسان ، أو الثقافة ، أو الحضارة .. هى : جوهرها وحقيقتها ، ولما كان فى كل شىء من الأشياء - إنساناً أو ثقافة أو حضارة - : « الثوابت » و « المتغيرات » .. فإن هوية الشىء هى « ثوابته » التى « تتجدد » ولا « تتغير » تتجلى وتفصح عن ذاتها ، دون أن تُخلى مكانها لنقيضها ، طالما بقيت الذات على قيد الحياة !! إنها كالبصمة بالنسبة للإنسان ، تتجدد فاعليتها ، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الغبار وعوامل الطمس والحجب ، دون أن تخلى مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات !![1] .

بعد توضيح وتحديد مصطلح « الهوية » ، نشير إلى أن الجاليات الإسلامية فى أوروبا تعيش وسط مجتمعات مختلفة ثقافياً و « قيمياً » ، لذلك فهى تحاول - بقدر الإمكان - أن تتشبث بكل ما يربطها بثقافتها وجذورها ، إلا أنها تواجه فى سبيل ذلك بالعديد من العقبات التى يفرضها الواقع الأوروبى من ناحية ، والسياسات والتشريعات فى الدول الأوروبية من ناحية أخرى .

ويمكن أن نستشهد بفرنسا - كنموذج لمعظم الدول الأوروبية - فهى لا تعترف بتعدد « الهويات » ولا تتردد باسم « الاندماج » فى سحق هويات الآخرين ، والتعددية عندها سياسية فقط ، أما الثقافية فمرفوضة تماماً ، ومن ثم فإنها ترى أن المسلمين ينبغى أن يذوبوا فى المجتمع الفرنسى ، وما برحت رموز النخبة الفرنسية تتحدث عن « الإسلام الفرنسى » كأحد شرائط

---

(١) الدكتور محمد عمارة - مجلة رسالة الجهاد - العدد المئوى يونيو ١٩٩١ .

« الاندماج المنشود » ، من ذلك ما قاله وزير الدولة السابق لشئون الاندماج « كوفى يامنيان » فى حديث صحافى من أن الإسلام الفرنسى إذا قُدِّر له أن يقوم « فينبغى أن يقبل العهد الجمهورى ، ويفصل الدين عن الدولة ، ويتخلى عن تعدد الزوجات وطلاق السيدات وارتداء الحجاب ، إذا ما تحقق ذلك فإن فرنسا ستمنح من يقبلون ذلك العهد نفس الحقوق التى تمنحها لمواطنيها » .. لقد أدرك اليهود هذا البعد فى التفكير الفرنسى فأطلقوا مقولة : « كن يهودياً فى بيتك وفرنسياً خارجه » .. ويبدو أن ذلك ما هو مطلوب من مسلمى فرنسا ، ولأن المشكلة أن المسلم لا يستطيع أن يفصل بين سلوكه فى البيت أو فى الشارع ، فإن متاعبه لن تتوقف فى فرنسا ، وعليه أن يدفع ثمن اختياره أو اضطراره البقاء فى ذلك البلد العنصرى [1] .

إن الحكومة الفرنسية أمام العائق الدستورى الذى يمنع التفرقة بين المواطنين الفرنسيين بصرف النظر عن أصولهم ، لجأت إلى البرلمان وطالبت بصيغة قانونية تحتم أمرين : إما الدمج الكامل بالانصهار داخل المجتمع الفرنسى بصورة تجعل العربى والمسلم ينسى أصوله ليصبح فرنسياً ١٠٠٪ ، وإما أن يطْرد من البلاد بشكل نهائى بعد إسقاط الجنسية عنه باعتباره دخيلاً على المجتمع الفرنسى .

ولئن كان هذا الخيار الأخير لم تتم إجازته – بَعْدُ – فإن الخيار الأول لازالت السلطات الفرنسية تعمل على تعميقه وتأكيده ، والغريب أن هذا المسلك يأتى بعد أن نجحت فرنسا خلال سنوات احتلالها لبعض الدول العربية والأفريقية فى تحويل قطاعات من شعوبها عن ثقافتها الأصيلة إلى الثقافة الفرنسية ، وأن ارتباط العرب بفرنسا فى صورته الحالية سواء باكتساب جنسيتها أو العيش بها أو بأنماط الحياة المتبعة فى بلدانهم الأصيلة بعد رحيل فرنسا عنها ، كان سببه تلك الثقافة الفرنسية المفروضة .. ويزيد

---

(١) فهمى هويدى : صحيفة الشرق الأوسط ١٩٩٥/١٠/٩ .

من خطورة الاقتراحات البرلمانية الدائرة أن الرأى العام الفرنسى قد عبئ ضد العرب الفرنسيين ، وأخذ يطالب بضرورة تطهير المجتمع الفرنسى منهم باعتبارهم مظهراً من مظاهر « الاستعمار العربى » لفرنسا ، وطالبوا بضرورة مكافحته حتى يعود لفرنسا استقلالها الكامل !!

فحيثما وليت وجهك فى باريس وغيرها من المدن الفرنسية يصطدم نظرك بالملصقات على الحوائط تطالب بضرورة طرد العرب أو إدماجهم فى المجتمع الفرنسى واحترام تقاليده ، لأنهم يعملون على فرض قيم وعادات ومعتقدات تختلف مع الثقافة الفرنسية وتتناقض مع مبادئها .

إن هذا الخيار الذى تقدمه فرنسا بالنسبة للعرب ، إما بالإندماج بها ، أو الطرد منها ، يهدف لإعادتهم إلى أوطانهم دون حق أو مبرر قانونى ، لأنهم لا يحتفظون بأية روابط مع أوطانهم الأصيلة سوى روابطهم العرقية وعقيدتهم الدينية ، وهما حقان مشروعان لأن الدستور الفرنسى يبيح حرية العقيدة ، وفى الحقيقة فإن العرب سرعان ما يندمجون حقاً فى المجتمعات الأوروبية بحيث لا نستطيع التفرقة بين العربى الفرنسى والمواطن الفرنسى ، أو بين العربى البريطانى والمواطن البريطانى ... إلخ ثقافة وعلماً وفكرًا ولكنهم كغيرهم لا يستطيعون « تعديل عقيدتهم » أو « تبديل جلودهم » وأصولهم العربية والإسلامية [1] .

**منع « الفضائيات » العربية[2] :**

سعت فرنسا بداية إلى صهر العرب والمسلمين فى الثقافة الفرنسية كشرط لقبولهم فى أجوائها ، وإذا استعرضنا مجمل السياسات الفرنسية إزاء الصحون اللاقطة فى السنوات العشر الأخيرة ، نجد إجماعاً بين اليمين واليسار ، فوزير الداخلية السابق الديجولى « شارل باسكوا » - المعروف بصداقاته العربية !! - كان من ألد أعداء أية قناة عربية أو حتى فرنسية ناطقة

---

(١) فهمى هويدى : صحيفة الشرق الأوسط ١٩٩٥/٩/١٤ .
(٢) صحيفة الشرق الأوسط ١٩٩٥/٨/٢٤ - الحياة ١٩٩٥/٩/١٠ .

بالعربية على « الكيبل » الفرنسى ، أما الاشتراكيون فباسم صهر الجالية العربية حاربوا خلال عهد الرئيس « ميتران » فكرة بث أية قناة تنطق بالضاد على « الكيبل » خشية أن يُضرب بمشاريعهم الاندماجية عرض الحائط .

رئيس بلدية مدينة « كوركورون » الفرنسية قرر منع الصحون اللاقطة ، وصرح قائلًا : « الاندماج لن يكون بتحويل فرنسا إلى أمة مغاربية ، الأشخاص الذين قرروا العيش فى فرنسا عليهم أن يأخذوا بعين الاعتبار مشاكل هذا البلد وصعوباته » !!

عدد من رؤساء بلديات الضواحى خطوا الخطوة نفسها وأمروا بسحب الصحون ، وهذا ما حمل وزير الإعلام الفرنسى على التصريح بأنه يكون سعيداً جداً عندما يزور دولة أفريقية أو عربية ويسمع محدثيه يذكرون برامج التليفزيون الفرنسى .. فكيف يمكن إذن منع مبدأ التبادل ووضع عقبات أمام حرية الإعلام ؟!

وهذا تفنيد للأسباب الفرنسية « الواهية » لمنع الصحون اللاقطة .. أما القول بأنها خطر على الانسجام الاجتماعى ودعوة لتفشى التطرف الدينى وخطر على أمن المارة وتلويث لجمال الأحياء ، فكل ذلك ليس له أساس من الصحة ، فلم نسمع أن هوائياً سقط وقتل المارة ، أما الأصولية الإسلامية ، ففى تقريرين رسميين فرنسيين ، الأول لوزارة الشئون الاجتماعية ، والثانى للمجلس الأعلى للسمعيات والبصريات فى فرنسا اعترفا أن القنوات العربية لم يصدر منها نداء للجهاد كما يعترف إعلاميون فرنسيون أن الصحون العربية لا تمس الأمن العام ، وأن غالبية المعروض فيها برامج ترفيهية ، هذا فضلاً عما قاله وزير الاندماج الفرنسى « أريك راوت » علناً : إن المحطات الناطقة بالعربية لا تشكل خطراً ، لأن البرامج الأكثر متابعة هى من النوع الفولكلورى (!) وليست دينية (!) ولا يمكن لفرنسا أن تنزعج من الانفتاح الإعلامى على العالم .

إزاء ذلك إلى أى مدى تستطيع الجالية الإسلامية أن تحافظ على هويتها الثقافية ؟

## خامساً : التنصير

يمثل النشاط التنصيرى عقبة كئوداً فى وجه العمل الإسلامى فى أوروبا ، حيث تبذل المؤسسات التنصيرية جهوداً ضخمة فى سبيل تقويض العمل الإسلامي ومجابهته وفقاً لتخطيط علمى تسانده إمكانيات مالية ضخمة إلى جانب دعم ومباركة من مختلف دول غرب أوروبا المسيحية .

وتعد الجاليات الإسلامية فى أوروبا صيداً ثميناً وسهلاً للمنصرين نظراً للظروف المعيشية التى تحياها تلك الأقليات ، وفى مواجهة الجاليات الإسلامية تسعى المنظمات التنصيرية إلى وضع خططها على أساس دينى وسياسى فى آن واحد بهدف مواجهة الإسلام ، وذلك بتحويل المسلمين إلى النصرانية ، أو الاكتفاء بإخراجهم من الإسلام ، فيبقوا ضائعين بلا دين ، ومن ثم يسهل عليهم أمرهم ، فالمنظمات التنصيرية تعمل على توهين القيم الإسلامية لدى المسلمين وإبعادهم عن دينهم .

فليس هدف المنصرين بالضرورة إدخال المسلمين فى المسيحية ، بل إبعادهم عن الإسلام ، وإذا كانت المنظمات التنصيرية قد حققت نجاحات في دعاياتها المضادة للإسلام من خلال سيطرتها على وسائل الإعلام الأوروبية ، فكيف الحال عندما تنطلق الأنشطة التنصيرية من وسائل إعلام مسيحية ؟!

ولقد أولت الكنيسة وهيئات التنصير اهتماماً بالغاً باستخدام وسائل الإعلام الحديثة فى عملها ، بدلاً من الاعتماد على وسائل التنصير التقليدية ، فاعتمدت على الكتب والمنشورات والمطبوعات والوسائل السمعية والبصرية إلى جانب إنشاء محطات للإذاعة والتليفزيون ومؤسسات للإنتاج الإعلامى .

وينطلق العمل التنصيرى فى استخدام وسائل الإعلام من تخطيط علمى فقد شهدت السنوات الثلاثون الأخيرة انعقاد عشرات المؤتمرات

العلمية التى ضمت صحفيين وإعلاميين ، بجانب رجال الدين المسيحى وكان الموضوع الرئيسى لتلك المؤتمرات هو كيفية تطوير استخدام وسائل الاتصال الحديثة فى مجال التنصير .

وتعتمد الهيئات التنصيرية فى ممارسة أنشطتها على الهبات والإعانات الحكومية إلى جانب بعض الاشتراكات والأوقاف ، والعائد على الكنائس من استثماراتها ، وقد بلغ عائدها لدى الفاتيكان عام (١٩٧٠) ٧٥ مليار دولار [1] .

كما بلغت تبرعات المسيحيين ١٣٩ مليار دولار عام (١٩٨٦) .. إنها جهود ضخمة ومخططة تخطيطاً خبيثاً تستهدف المسلمين فى أوروبا وغيرها من القارات ، وغير المسلمين أيضاً !! [2] .

**النشاط التنصيرى فى ارقام :**

لعلنا ندرك خطر المؤامرة بمطالعة وثائق أحد مؤتمرات التنصير المنعقد فى « أدنبرج » الألمانية ، والتى تثبت ضخامة الجهود المبذولة لتنصير المسلمين فى العالم - ومنه أوروبا - « بلغ عدد جيش المنصرين البروتستانت ٩٨ر٣٨٨ مبشراً تحضرهم لجان يبلغ عدد أعضائها ٥ ملايين شخص ، ويبلغ عدد النساء والرجال من موزعى الإنجيل ٩٢ر٩١٣ ، والمعاهد الكنسية ١٦ر٦٧١ ، وإرساليات التبشير ٣٤٧٨ ، وإرساليات تابعة ٣٢ر٠٠٩ ، وعدد العاملين تحت إشراف المبشرين ١ر١٩٠ر٦٠٢ ، توجد تحت سلطاتهم ٨١ مدرسة جامعة ، وفيها ٧٩٩١ ، ولديهم ٤٨٩ مدرسة لتعليم اللاهوت وتخريج المبشرين ، وفيها ١٢ر٥٤٣ مدرسة ابتدائية بها ١ر١٦٥ر٢١٢ تلميذاً ، وعدا ذلك فالمبشرون يديرون ١١٣ روضة أطفال ، فيها ٤٧٠٣ طفلاً ، وأنشأت

---

(١) كرم شلبى : الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين - مكتبة التراث الإسلامى - القاهرة ١٩٩١ - ص ٢٢ .

(٢) مجلة الدعوة ١٤٠٧/٤/٧ هجرية - ص ١١ .

هذه الإرساليات ٥٥٠ مستشفى ، ١٠٢٤ صيدلية لها من المترددين ٤ ملايين ، ولديها ١١١ مجلساً طبياً ، ٩٢ جمعية للممرضات ، ٢٦٥ ملجأ أيتام ، ١١٩ ملجأ للبرص ، منها ٢١ للأطفال ، وتدير ٢٥ مدرسة للمكفوفين ، ١١ معهداً للإسعاف ، ١٠٣ مستوصفات لمدمنى الأفيون ، ١٥ ملجأ للأرامل ، كل هذا كان عام ١٩٠٢[١] .

**تنصير أطفال المسلمين :**

يعتبر الأطفال الأيتام المسلمون ، والذين يزج بآبائهم فى السجون الأوروبية لقمة سائغة للمنصرين الذين يتلقفونهم ويربونهم على المبادئ المسيحية فى ملاجئ ينشئونها لذلك .

وفى عاصمة بلجيكا « بروكسيل » يروى البعض أن الرهبان والراهبات كانوا يودعون أطفالاً مسلمين مشحونين فى قطار - من أبناء الجالية الإسلامية الفقيرة فى شمال فرنسا من أبناء عمال المناجم والعاملين فى مهن وضيعة ، باعتبار هؤلاء الأطفال محرومين فتقوم الكنيسة باستضافتهم لدى بعض العائلات لفترة العطلة ، وتقدم لهم ما يفتقدونه من أسباب الترفيه ، وخطورة المشهد أن الأطفال كانوا يودعون الراهبات بالدموع ، ما يعنى أن أثراً حقيقياً قد تركته فى نفوس أطفال المسلمين الأبرياء[٢] .

وفى مدينة « هامبورج » الألمانية يؤكد الشيخ « على إحسان خالصى » إمام المركز الإسلامى أن أطفال المسلمين تتعرض للتنصير فى دور الحضانة والمدارس الألمانية ، حيث يقوم القساوسة بدور كبير فى تلقينهم مبادئ وتعاليم المسيحية ، وهذا يعرض أطفال المسلمين لأن يعرفوا عن المسيحية أكثر مما يعرفون عن دينهم ودين آبائهم الإسلام[٣] .

---

(١) لوشاتليه : الغارة على العالم الإسلامى - المكتبة السلفية - القاهرة ١٩٩١ - ص ٤١، ٤٢.
(٢) مجلة الدعوة - رجب ١٤٠٣ هـ - أبريل ١٩٨٣م - ص ٤٤ .
(٣) مجلة الأمة : اعدد ٤٦ - ص ٣٧ .

وهذا نموذج لعمل المنصرين حيث حولوا مدينة « مليلية » - المغربية التى تحتلها أسبانيا - إلى وكر للمبشرين الذين يتحدثون العربية بطلاقة ، ويوزعون منشورات باللغة العربية وبالمجان ، كما أن للموضوعات التى تطرقها هذه المنشورات خطراً على العقيدة الإسلامية ، إذ لم يعد سراً ما يُبيت للإسلام من مخططات رهيبة ترمى إلى زعزعة ثقة المسلمين به وإثارة الشبهات حوله ، وتمثل حملات التنصير الأداة التنفيذية لهذه المخططات ورأس حربة لهذا التحامل المسعور ، من ذلك ما قدمته إحدى المجلات التنصيرية فى « مليلية » باللغة العربية ، وتسمى « مفتاح المعرفة » فى أحد أركانها فى قصة رشيد البدوى ، ذلك الشاب القروى اليتيم ، الذى أُصيب بتشويه فى وجهه فاحتقره أهل قريته مما اضطره لوضع لثام على وجهه إلى أن ابتسم له الحظ ليأتيه الخلاص على يد رجل كريم يحب الخير ويخلص ليسوع المسيح ، ليقبله خادماً عنده ويخلصه من أهل قريته قساة القلوب ، عديمى الرحمة ، ويذهب به للمدينة حيث يعمل ابن اليسوعى طبيباً جراحاً ليجرى له عملية تجميل تعيد نضارة وجهه وشبابه .. يتضح من ذلك أن الموضوع ينعت أهل القرية بالقسوة والجهل ، وكيف أن اليسوعى فى المقابل هو الرجل الكريم الطيب العطوف ، ذو العلم !![1] .

**تنصير الطلاب المسلمين[2] :**

مع بداية كل عام جامعى جديد فى أوروبا ومع وصول وفود طلابية من العالم الإسلامى للدراسة يدب النشاط فى أوساط منظمات التنصير التى تعمل وفق خطة خبيثة لتنصير الطلبة المسلمين ، أو تشكيكهم فى الإسلام ، ويعتمد المنصرون فى تحقيق أهدافهم على العوامل التالية :

١ - عدم إلمام الطالب المسلم الكافى باللغة الأجنبية ، خاصة أن التحدث باللغة مختلف عن قراءتها .

---

(١) مجلة رسالة الجهاد - مايو ١٩٩٠ - ص ١٨ .

(٢) مجلة الأمة : عدد ٤٦ - ص ٢٨ .

٢ - تعاون الجهاز الإدارى والتعليمى فى الجامعات والمعاهد مع المنصرين ومدهم بعناوين الطلبة المسلمين .

٣ - إدخال العنصر النسائى فى التنصير مما يجعل الإغراء بالجنس فخاً للتورط فيما بعد .

٤ - نشر مفهوم أن المسلم إذا كان قد ترك بلاده سعياً وراء العلم الحديث فى أوروبا ، والنصرانية هى دين أوروبا ، إذاً فالنصرانية هى دين الحضارة ، وهذا خطأ فاحش جسيم ، فأغلب علماء الغرب من الملاحدة ولا يعرفون من النصرانية إلا التعصب ضد الإسلام ، كذلك فالغرب لم يعرف التقدم العلمى إلا حينما تخلى علماؤه عن دينهم ، بينما المسلمون لم يعرفوا الجهل والتأخر إلا حينما تركوا الإسلام !!

٥ - بعض هذه المجموعات التنصيرية يتصل بأهل المسلم فى بلاده حتى يكون التنسيق منسجماً ، وتتكرر زيارات المنصرين حسب خطة موضوعة لكى تنتهى بتوقيع المسلم بخط يده على إقرار باعتناقه النصرانية ، فإذا ما نجحوا فى تنصير المسلم هنا ، فبعد عودته إلى بلاده واعتلاء المناصب سيخدم النصرانية .

وهذا تقرير مفصل صادر عن اتحاد الكنائس لتوزيعه على المنصرين بين الطلبة المسلمين ويشتمل على لمحة عامة عن الإسلام والمنظمات الطلابية الإسلامية فى أوروبا ، ونبذة عن نشاطاتها ، ثم تعريف دقيق بالطلبة المسلمين وجنسياتهم الأصلية وعاداتهم وكيفية الاقتراب منهم بهدف التنصير .

وينصح التقرير المنصرين بالبدء بالطالب الخالى من اهتمامه بدينه لكونه فريسة سهلة للمنصرين كما يحدد التقرير طريقة الاتصال بالطالب المسلم بعدم ذكر الدين مطلقاً فى البداية ، وأن يكون طبيعياً فى معاملته ويظهر اللطف والعطف والتفاهم ، ولا يسعى إلى قطف الثمرة قبل نضجها .

ويدعو التقرير المنصرين للنفاق فى تعاملهم مع الطلبة المسلمين ، بحيث

يكونون متحفظين فى علاقاتهم مع الفتيات أمام الطلبة المسلمين ، وأن يتجاهلوا ذكر المنازعات بين الدول الإسلامية ، ويتجنبوا كل حديث عن فلسطين ويتخلوا عن تأييدهم للكيان الصهيونى ، وأن يتركوا عادات البخل المشهورة عن المجتمعات الأوروبية ، فيدعون المسلمين إلى زيارتهم فى بيوتهم ويقدمون لهم الطعام .

ويركز التقرير على كيفية الحديث مع الطالب المسلم فيطلب من المنصر أن يكون منصتاً أول الوقت لكل ما يقوله الطالب المسلم عن الإسلام ، لأن هذا سيجعل الطالب ينصت إليه وهو يحدثه عن النصرانية .

ويعرج التقرير إلى ذكر الخلافات العقيدية بين الإسلام والنصرانية وكيفية الرد عليها ، وينتهى بنصح المنصرين بإعلان تنصير المسلم فى هدوء وبعيداً عن الدعاية ، حتى لا يحرجه ذلك أمام أصدقائه وأسرته .

ويذكر أن النشاط الكنسى يقوم على استغلال الظروف الصعبة لبعض الطلبة الذين يعانون الفقر والبطالة ، وذلك بفتح مراكز لإطعامهم وإيوائهم وتحدد لهذا ساعات معينة بحيث يحضر المسلمون القداس أو الصلاة النصرانية ، وتلجأ الكنيسة لأسلوب خبيث حيث توزع عليهم كتيبات تتضمن آيات قرآنية إلى جوار التعاليم النصرانية .

كما تلجأ الكنيسة إلى استغلال الطلبة النصارى العرب الذين يدّعون أنهم مسلمون تنصروا لما وجدوا النصرانية هى الحق (!!!) وهؤلاء يجندون لجلب الطلبة المسلمين المعوزين لاستغلال حاجاتهم .

* * *

## سادساً : الصهيونية والقاديانية والبهائية

تقوم المنظمات الصهيونية المنتشرة فى أوروبا بدعم من دولها بجهود مكثفة لحصار الجهود الدعوية الإسلامية والنيل منها ، حيث وجد اليهود فى البيئة الأوروبية المناخ المناسب الذى يساعدهم على تحقيق أهدافهم باختراق فاعل لوسائل الإعلام وجماعات الضغط وصناعة القرارات فى دول أوروبا .

وفى ذلك يقول المفكر الفرنسى المسلم « رجاء جارودى » فى كتابه ( دور الاستراتيجية الصهيونية فى الصراع العقائدى فى الغرب ) : « إن القوة الرئيسية للدولة الصهيونية لا تكمن فى جيشها ، بل فى قدرتها على استغلال الرأى العام العالمى وتعبئة الملايين وممارسة ضغط على حكومات أوروبا لتحقيق أهدافها » .

وقد أدرك اليهود قبل غيرهم أهمية وخطورة وسائل الإعلام ومدى قدرتها على التحكم فى الرأى العام الغربى ، فسعوا لبسط نفوذهم عليها ، بأساليب من أهمها :

- وجود عدد كبير من اليهود بين العاملين فى وسائل الإعلام الأوروبية .

- الملكية المباشرة لوسائل الإعلام أو تعيين عناصر موالية للصهيونية فى المناصب الهامة .

- الضغط على الكُتاب والصحفيين الذين يميلون لمساندة الحق العربى والاعتراض على ممارسات اليهود .

- إغراق وسائل الإعلام بمعلومات فى صالح الدولة اليهودية واستغلال سلاح الإعلان فى الضغط عليها .

ويقود الصهاينة من خلال ذلك التخطيط المحكم فى السيطرة على وسائل الإعلام حملات التشويه للشخصية الإسلامية ، وهى إحدى صور الحرب النفسية التى يشنها الغرب ضد العرب والمسلمين ، وتهدف هذه الحملات لتحقيق أمرين : **أولهما** : تصوير العرب والمسلمين بصورة منفرة ، **وثانيهما** : تصوير اليهود بصورة مشرقة ، فهم رمز الذكاء والتقدم والحداثة والديمقراطية [١] .

ولسنا بصدد الحديث عن السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام الأوروبية بالأرقام ، لأن الوضع مخيف ، فاليهودى الاسترالى « روبرت مردوخ » يملك وحده امبراطورية إعلامية تضم (١٥٠) وسيلة إعلامية فى الغرب ، وفى بريطانيا وحدها يمتلك خمس صحف يومية وعدداً من المجلات ، وشبكة تليفزيون تبث عبر الأقمار الصناعية [٢] .

كما أنشأ اليهود المؤتمر العالمى المسيحى اليهودى ، وهو منظمة تزود أكثر من (٨٠٠) منفذ وقناة إعلامية تهم الغربيين ، وتسعى هذه الحركة إلى تحسين العلاقة بين اليهودية والمسيحية وتسميها « العقيدة المشتركة » ، ولا يقف النشاط الصهيونى فى أوروبا عند حد السيطرة على وسائل الإعلام ، بل يتعداه إلى المؤسسات التعليمية والاجتماعية إلى أن يصل إلى السيطرة على مراكز اتخاذ القرار فى أوروبا .

ولا يقتصر أمر الأنشطة الدعائية المضادة للإسلام فى أوروبا على ما يقوم به المستشرقون والمنصرون واليهود فحسب - كما سبق - بل ابتلى الإسلام ببعض المارقين الذين شكلوا فرقاً ضالة تدعى الإسلام ظاهراً ، وتبطن العداء الشديد له ، وللأسف أن هذه الفرق تحسب على الإسلام إما عن

---

(١) ريجينا الشريف : الصهيونية غير اليهودية - عالم المعرفة ١٩٩٦ ص ٢٤٨ .

(٢) عبد القادر طاش : الصورة النمطية للإسلام والعرب فى مرآة الإعلام الغربى - الرياض ١٩٨٩ - ص ١١٢ .

جهل أو عن سوء نية من جانب الأوروبيين ، وتضطر المؤسسات الدعوية الإسلامية إلى صرف جزء كبير من جهدها لمحاربة تلك الفرق وتعرية حقيقتها مما يؤثر على صورة العمل الإسلامى فى أوروبا ، وينعكس سلباً على صورة الجاليات الإسلامية هناك .

والجدير بالذكر أن هذه الفرق فى نشأتها وعملها على اتصال وثيق بالكيان الصهيونى ، وتحظى بتعاطف كبير من جانب المؤسسات الصهيونية فى أوروبا وتنسق معها فى جهودها المضادة للدعوة الإسلامية هناك .

ومن أهم هذه الفرق الضالة ، البهائيون ، والقاديانيون ، الذين تتوفر لهم الإمكانات المادية الضخمة ولهم بعض « المساجد » والمراكز الخاصة بهم يشوهون بها صورة الإسلام والمسلمين.

ويذكر أن القاديانى « ميرزا طاهر أحمد » قد أعد تفسيراً للقرآن الكريم باللغة البولندية صدر فى مجلد فاخر وقد احتوى على العديد من الأخطاء الفادحة المتعمدة ، وقد ذكر هذا القاديانى الملعون أنه أعد التفسير نقلاً عن ترجمة انجليزية لمعانى القرآن الكريم، والناشر (إسلام إنترناشيونال بابليكيش) فى إسلام أباد بباكستان حيث منبع القاديانيين[1] .

* * *

---

(١) مجلة منار الإسلام - نوفمبر ١٩٩٢ - ص ٦٢ .

# الفصل الرابع

## مشكلات قصور العمل الإسلامى فى أوروبا

- أولاً : غياب التنسيق .. وبروز الشعوبية
- ثانياً : ضعف التمثيل السياسى
- ثالثاً : قصور الدعوة الإسلامية
- رابعاً : قصور التعليم والإعلام الإسلامى

## تمهيـــد

تبذل الدول والمنظمات الإسلامية المختلفة جهوداً محمودة فى مجال الدعوة والعمل الإسلامى فى أوروبا ، وتسعى من خلال ذلك إلى مساعدة الجاليات الإسلامية بها ، وإعانتها فى الحفاظ على هويتها الإسلامية وربطها بالعالم الإسلامى ، إلا أننا نستطيع القول : إن هذه الجهود لا تزال متواضعة ومتعثرة إذا ما قورنت بحجم المشاكل والتحديات التى تواجهها ، والآمال المعقودة عليها .

ولا شك أن تعثر تلك الجهود وثيق الصلة بتعدد التخطيط وغياب الاستراتيجية الموحدة التى تستلزم التعاون والتنسيق بين جهات الدعوة الإسلامية ، إلى جانب الدعاية المضادة والنزعات الهدامة التى تسعى إلى إفراغ العمل الإسلامى من مضمونه .

وينعكس ذلك سلباً على واقع الجاليات الإسلامية فى أوروبا ، ويضاعف من مشكلاتها ، ويمكن إجمال أهم المشكلات التى تعترض الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامى فى أوروبا فيما يلى :

### أولاً : غياب التنسيق .. وبروز الشعوبية :

تتعدد المنظمات والجهاد المسئولة عن الدعوة والعمل الإسلامى فى أوروبا ، والعالم ، فتذكر بعض الدراسات أن عدد المراكز الإسلامية فى مختلف أرجاء العالم تجاوز خمسة آلاف مركز ، وأنه فى العشرين سنة الأخيرة عُقد أكثر من (٥٠٠) مؤتمر ، صدرت عنها قرارات وتوصيات تجاوزت ٢٥ ألف قرار وتوصية ، ومنها ما يتعلق بالأقليات الإسلامية ، ولكن لم ينفذ منها إلا القليل [1] .

---

(١) الدكتور عبد الودود شلبى : الدعوة الإسلامية فى بلاد الغرب - بحث مقدم لمؤتمر المسلمون فى الغرب - لندن ١٩٩٣ - ص ٤٠ .

ويؤدى هذا التناقض وعدم التنسيق إلى ضياع الجهود ، وضعف تأثيرها مما ينعكس على صورة العمل الإسلامى فى الغرب وعدم فاعليته .

ويرتبط بذلك تعدد الهيئات الإسلامية القومية والتى تعمل على إبراز النعرات القومية والشعوبية ، وهى من الأمور الضارة بوحدة الجالية الإسلامية ، وتعمل على تشتيتها وتفتيتها داخل البلد الواحد ، مما يؤدى إلى عرقلة تكتيل العمل الإسلامى لصالح الدعوة ، وإلى تنافر فى الآراء ، فكل جماعة تنتمى إلى بلد إسلامى ما تقيم منظماتها الإسلامية الخاصة بها ، مما جعلها تأخذ شكلاً عنصرياً ، ونتج عن ذلك عدم وجود تنظيم عام يجمع هذه المؤسسات الإسلامية المتباينة ويشرف عليها ، ويحد من عبث بعض المتسللين إلى صفوف الجاليات المسلمة .

ويذكر أحد أفراد الجالية الإسلامية فى بريطانيا أن أكثر المسلمين الذين هاجروا إلى بريطانيا قد حملوا معهم إلى جانب عاداتهم وتقاليدهم الإقليمية خلافاتهم التى كثيراً ما تتجاوز حدود خلاف الرأى لتؤثر على علاقات تلك الفئة بأخرى ، وقد تصل إلى حد الفجور فى الخصومة والتشابك بالأيدى والضرب فى ساحات المساجد (!!) ، وأحياناً - وهذا مؤسف جداً - تتدخل الشرطة البريطانية لفض النزاع !! ، وخطورة هذه المخالفات أنها تنعكس على الناشئة ، فتشوش عليها وتجعلها فى حيرة من أمرها ، لا تدرى أين الصواب ، ومع من يكون الحق !![1] .

ومن شواهد غياب التنسيق ، وتشتت جهود العمل الإسلامى ارتباط معظم أنشطة وجهود العمل الإسلامى فى أوروبا بحكومات البلدان العربية والإسلامية التى تمولها ، مما يعطى تلك الأنشطة صبغة سياسية تعكس الخلافات بين الدول الإسلامية ، مما يفرغ العمل الإسلامى من مضمونه ، حيث لا تعدو أن تكون « الدعوة الإسلامية » تعبيراً وانعكاساً لسياسات

---

(١) مجلة الأمة - شوال ١٤٠٥ هـ - ص ٥٦ .

الدول الإسلامية وأهدافها ، وهى فى كثير من الأحيان متعارضة متناقضة متضاربة ، كما أن اعتماد تلك الجهود - فى غالبيتها - على تمويل حكومات هذه الدول يجعلها عرضة للتوقف فى أى وقت إذا ما رأت تلك الحكومات تناقضها مع سياساتها .

ومن دلائل ما سبق ، أنه فى فرنسا ، وبمبادرة من « اتحاد المنظمات الإسلامية » وهو أكبر هيئة إدارية تجمع تحت لوائها عدداً كبيراً من الجمعيات الإسلامية المنتشرة فى فرنسا ، تجتمع الهيئات الإسلامية فى الليلة الأخيرة من شعبان فى مسجد باريس المركزى لإعلان بدء الصوم ، كما تجتمع فى آخر رمضان لإعلان هلال شوال وبدء عيد الفطر ، ولكن الأوضاع السياسية المعروفة وارتباط كثير من المنظمات بحكومات بعض الدول الإسلامية يضغط على الجالية الإسلامية ويدفع بالبعض إلى مخالفة الاتفاق ، فإذا ما تم الالتزام ببدء الصوم فقد يتم الاختلاف بتحديد يوم العيد ، وترى أحياناً فى المسجد الواحد أناساً صائمين وآخرين مفطرين ، وقد ساهم هذا الوضع الشائن فى تشويه صورة المسلمين وإظهارهم بمظهر المتفرقين فى الدين والعبادة مما جعلهم محط سخرية وسائل الإعلام المغرضة ، وتكمن المشكلة الثانية فى تحديد مواقيت الصلاة ، ففى فرنسا توقيتان : الأول : أعده « اتحاد المنظمات الإسلامية ، بينما أعد الثانى « المعهد الإسلامى لمسجد باريس » ، ويؤدى هذا الاختلاف إلى دخول وقت صلاة الفجر حسب توقيت مسجد باريس قبل توقيت الاتحاد بربع ساعة ، ويتأخر العشاء حسب توقيت « المسجد » نصف ساعة عن توقيت « الاتحاد » ويقع المسلمون بسبب هذا الاختلاف فى ارتباك ، فالفجر مرتبط بالإمساك ، والعشاء مرتبط بصلاة التراويح فى رمضان ، ويرى كثير من المصلين أن توقيت الاتحاد أكثر مواءمة من التوقيت الآخر ، وخاصة فى فصل الصيف ، حيث يحدد توقيت المسجد العشاء عند منتصف الليل تماماً فى منتصف يونيو ، والفجر بالثالثة والنصف ، ويؤيد علماء مقيمون فى فرنسا توقيت الاتحاد على اعتبار أن

الشفق الأبيض لا يغيب فى فرنسا صيفاً ، ولم تنجح المحاولات الرامية إلى توحيد مواقيت الصلاة للجميع[1] .

**ثانياً : ضعف التمثيل السياسى :**

تعد هذه المشكلة من إفرازات المشكلة السابقة «التفرق وغياب التنسيق» ، ففى فرنسا مثلاً التى تضم أكبر جالية إسلامية فى أوروبا نحو خمسة ملايين مسلم ، ولكنهم لسوء الحظ ينقصهم التنظيم والتضامن وتوحيد الموقف كى تتمكن «الهيئة» التى تمثلهم من توجيههم والتحدث باسمهم مع السلطات ، وخدمة مصالحهم ( كما هو الحال مثلاً مع اليهود فى فرنسا ) .

لقد حاولت الحكومة الفرنسية إيجاد هيئة أو «جهاز» أو مركز يمثل جميع المسلمين بفرنسا وتتعامل مع الجالية الإسلامية بواسطته ، ولكنها لم تنجح إلا قليلاً بإنشاء «هيئة استشارية ، مع إمام جامع باريس» كما حاولت الدولة الجزائرية من قبل ولم تنجح بسبب معارضة دول عربية وإسلامية لمساعيها ، ولا يزال هناك أكثر من رابطة أو هيئة أو جماعة تدعى تمثيل مسلمى فرنسا ويخاصم بعضها بعضاً ، وقد يكون من الصعب - فى المدى القريب على الأقل - التوصل إلى قيام «مجلس أعلى» أو «هيئة تمثيلية» دينية أو شرعية أو اجتماعية - ثقافية تمثل المسلمين فى فرنسا أو تعبر عن أمانيهم أو تدافع عن مصالحهم ، وما دام هذا المكان شاغراً فإن مساهمة مسلمى فرنسا فى معالجة وحل المشاكل التى يتعرضون لها سوف تبقى معطلة وحل المشاكل أصعب وأخطر[2] .

ويقول محمد بشارى - رئيس الاتحاد الوطنى لمسلمى فرنسا - فى مؤتمر صحافى عقده فى مقر الاتحاد بباريس : إن مسلمي فرنسا يفتقدون

---

(١) مجلة الوعى الإسلامى - عدد ٣٣٧ - ص ٣٦ .
(٢) باسم الجسر : الشرق الأوسط ١٩٩٥/١٠/٦ .

الأدوات الضرورية للدفاع عن أنفسهم وعن وجهات نظرهم ، وأن الوقت قد حان ليتخلوا عن تحفظهم والتعبير عن مواقفهم عبر الأجهزة التى تمثلهم ، وأكد « بشارى » أن الدولة الفرنسية مطالبة بجهد أكيد للإفساح فى المجال أمام التمثيل السياسى للمسلمين ، موضحاً أن من أصل ٥٧٠ نائباً ويعاونهم ١٥٠٠ شخص و٣١٠ أعضاء فى مجلس الشيوخ يعاونهم ألف شخص وآلاف الدبلوماسيين وكبار الموظفين والمسئولين الإداريين ليس هناك عربى واحد ، وهناك رئيس بلدية عربى واحد فى عداد مئات رؤساء البلديات الفرنسيين[1] .

وفى بريطانيا رغم أن الجالية المسلمة تقدر بمليونى نسمة يشكلون الدين الثانى إلا أنه لا يوجد من يمثلها فى مجلس العموم البريطانى ، وفى السنوات الأخيرة استطاع بعض المسلمين أن يحصلوا - بالانتخاب - على عضوية عدد قليل من بعض المجالس المحلية إلا أن كثيراً منهم ضعيف الصلة بالإسلام والمسلمين ، ورغم إجادتهم للغة العربية والإنجليزية ولهم اتصالات مباشرة مع المسئولين البريطانيين إلا أن اهتمامهم بمشكلات المسلمين والبحث عن حلول لها قليل ، ومسئولية ذلك تقع على عاتق أفراد الجالية ، حيث حصر الدعاة أنفسهم فى محيط المسجد ، وبإطار ما سمى بـ « أمور الدين » بينما تركوا « أمور الدنيا » لغيرهم !![2] ، وانجلترا وفرنسا نموذجان لسائر الدول الأوروبية .

وترتبط هذه النقطة السابقة بالمشكلة الثالثة التى نعرض لها فيما يلى :

**ثالثاً : قصور الدعوة الإسلامية :**

ويرجع ذلك أساساً إلى ضعف الإمكانيات المالية والبشرية والفنية لأجهزة الدعوة الإسلامية فى أوروبا مما يجعل تأثيرها متواضعاً إذا ما قورنت

---

(١) صحيفة الحياة ١٩٩٥/١١/٨ .

(٢) مجلة الأمة - شوال ١٤٠٥ هـ ص ٥٦ .

بما يناط بها من مهام جسام ، وينعكس هذا الضعف على نوعية أولئك الذين يقومون بالدعوة فى أوروبا وما يستخدمونه من وسائل وأساليب .

ويرتبط بمسألة التمويل ضعف المساندة المالية من معظم الدول العربية والإسلامية باستثناء دول قليلة ، هذا فضلاً عن ضعف المساندة الفاعلة من حكومات هذه الدول على مستوى الدعم السياسى والدبلوماسى عن طريق وزارات الخارجية فى هذه الدول وسفاراتها وقنصلياتها فى دول أوروبا ، وذلك بعكس ما تقوم به دول الغرب حين تتابع رعاياها ومواطنيها بالخارج بكل دقة واهتمام إلى الدرجة التى قد تدفع دولة ما لإعلان الحرب على دولة أخرى دفاعاً عن رعاياها !!

والواقع أنه لا نصيب لقضية الجاليات والأقليات الإسلامية فى الخطاب السياسى للدول الإسلامية ، وبالنسبة للمنظمات الإسلامية لا يكفى أن يكون موضوع الأقليات مجرد بند من بنود العديد من المنظمات الإسلامية التى لا تنسيق بينها فى الغالب .

ومن السلبيات ، اعتماد كثير من هيئات ومنظمات الدعوة الإسلامية على العمل العشوائى دون تخطيط مسبق ، ودون استقراء للواقع وطبيعة المشكلات التى يتعين مواجهتها وترتيب الأولويات لها ، وفى معظم الأحيان يغلب على العمل الإسلامى الحماس للدعوة دون استناد إلى دراسات وتخطيط علمى دقيق .

وتعتمد الجهود الدعوية الإسلامية فى أوروبا على أساليب ووسائل تقليدية ، لا تحقق طموحاتها لا سيما فى ظل ما تزخر به المجتمعات الأوروبية من وسائل الاتصال الحديث ، ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى ضعف الإمكانيات المالية ، ولكن هذا لا يعفى بعض الهيئات الإسلامية من قصور باعتمادها على بعض الدعاة غير المؤهلين للعمل فى المجتمعات الأوروبية ، كما ينقصها إجادة التعامل مع وسائل الإعلام وجماعات الضغط وصناع القرار فى الدول الأوروبية .

ومن السلبيات كذلك عدم استغلال كثير من الهيئات الإسلامية لأبناء الجاليات الإسلامية والإفادة منها فى العمل الدعوى فى أوروبا ، فهؤلاء هم أفضل من يسهمون فى الجهود الدعوية بعد تأهيلهم وإعدادهم ، فينبغى جعل كل جماعة إسلامية فى أوروبا ذات دور حاسم فى تحقيق أهداف العمل الإسلامى .

**رابعاً : قصور التعليم والإعلام الإسلامى[1] :**

يعانى التعليم الإسلامى من النقص الشديد فى الكادر المدرب المختص ، حيث إن أكثر الذين يتصدون للتعليم الإسلامى هم من المتطوعين غير المختصين الذين يجدون أنفسهم بحكم الحاجة أمام وظيفة تعليمية تحتاج منهم إلى خبرات تربوية عالية حتى يتمكنوا خلال الوقت المحدد المتاح أن يحققوا المردود التربوى المطلوب ، ولكن هذه الخبرات تنقصهم .

والبرامج المطبقة فى التعليم الإسلامى التكميلى هى برامج مأخوذة فى غالبها من المناهج التعليمية المطبقة فى البلدان الإسلامية ، وأكثر المدرسين يعتمدون على الكتب المدرسية المقررة فى دول العالم العربى والإسلامى ، ولا شك أن هناك اختلافاً فى الظروف النفسية والتربوية والاجتماعية يجب مراعاته وأخذه بعين الاعتبار على مستوى المناهج التعليمية .

إن بعض المدرسين جاء وهو لا يملك الأهلية والكفاية العلمية التى تمكنه من أداء رسالته على النحو الأمثل ، وهناك من يعجز عن الرد على تساؤلات الطلاب ، خاصة إذا كانت تتصل بالأمور الغيبية ، ويأمرهم بعدم تكرار السؤال ، وأن الأمر قد يؤدى بهم إلى الكفر ، دون أن يضع فى اعتباره طبيعة النظام التعليمى فى دول أوروبا الذى يربى الفرد منذ الطفولة على ألاّ يقبل أمراً إلا بعد مناقشته !!

---

(١) مجلة الوعى الإسلامى عدد ٣٥٣ - ص ١٧ ، ١٨ + مجلة الأمة عدد ٥٨ - ص ٥٦ + مجلة المختار الإسلامى عدد ٢١ - ص ٧٩ .

وتشهد العملية التعليمية فى كثير من المراكز والجمعيات شيئاً من عدم الانتظام فى الالتزام بالأوقات المحددة ، مما يؤدى إلى ضعف المواظبة والاستمرار ، وهذا الأمر له مردود سلبى فى العملية التربوية ، وقد تعود هذه الظاهرة إلى نقص فى الجدية من القائمين على التعليم ، أو إلى إهمال من أولياء الأمور فى إحضار أبنائهم فى الوقت المطلوب ومتابعتهم ، أو إلى تقصير من الجانبين .

إن اختيار الوقت المناسب أمر ضرورى لنجاح العملية التربوية ، لكن ظروف التعليم التكميلى باعتباره محصوراً فى أوقات الراحة الأسبوعية للطفل تجعله يتصرف فى خيار محدود من الزمن ، والأوقات التى يقضيها المتعلم منتزعة من وقت راحته ، مما يقلل من مدى قدرته الاستيعابية فى هذا الوقت ، وأما من حيث المكان فإن العديد من الجمعيات تنظم التعليم فى مراكزها أو فى المساجد ، وفى الغالب لا تكون هذه الأماكن مهيأة باللوازم المدرسية المطلوبة ، مما يكون له أثر سلبى وانطباع غير مشجع لدى المتعلم .

ومع جوانب الضعف التى ذكرناها يظل التعليم التكميلى يؤدى دوراً مهماً لا يمكن الاستغناء عنه ، ومهما كانت حصيلته النهائية من حيث المعلومات التى يكتسبها الطفل والشاب ضعيفة إلا أن الأثر التربوى العام يظل منطبعاً فى الذاكرة .

ونشير إلى أن هناك تقصيراً كبيراً من الآباء والأمهات فى حفاظ أبنائهم على اللغة العربية أو تعلمها تحدثاً وكتابة ، وهناك جهود من بعض الهيئات الإسلامية فى تعليم اللغة العربية إلا أنها ليست كافية .

ومن ناحية أخرى يعانى الواقع الإسلامى فى أوروبا من ضعف الإعلام الإسلامى أو فشله ، ويمكن تلخيص أسباب ذلك فيما يلى :

- الذين قاموا بالمحاولة لم يكونوا متفرغين للعمل ، فكانت مهمتهم تلتهم أكثر أوقاتهم .

- الذين قاموا بالمحاولة كانوا واقعين تحت سيطرة قوى سياسية ، أو يخدمون مصالحهم فقط .

- الذين قاموا بالمحاولة هم أفراد أو هيئات لم يكن يهمهم سوى نشر ما يعبر عن فكرهم .

- وهناك محاولات إسلامية رسمية لم يكن يهمها سوى خدمة نظام أو أنظمة معينة ، وقد أنشأت منظمة المؤتمر الإسلامى وكالة الأنباء الإسلامية الدولية ، ولكن عملياتها هامشية وغير فعالة .

- نقص الموارد المادية والبشرية .

إن مشكلة الإعلام جزء من صراع الجاليات الإسلامية فى أوروبا للتأكيد على قيمهم وشخصيتهم الذاتية .

* * *

# الباب الثالث

# حلول مشكلات الجاليات الإسلامية في أوروبا

- الفصل الأول : الدعوة والدعاة .. الإعداد .. المنهج .. الأسلوب
- الفصل الثاني : نحو خطة لتطوير الإعلام والتعليم الإسلامي
- الفصل الثالث : دفع جهود التنسيق والتكافل بين الجالية
- الفصل الرابع : الحوار والتفاهم .. وتصحيح صورة الإسلام

## تمهيـــد

إن الاعتراف بالمشكلة أولاً ثم تشخيص أعراضها بدقة وموضوعية هما بداية الطريق نحو العلاج والحل ، فالحلول هى الوجه الآخر للمشكلات ، ومما لا ريب فيه أن معالجة ما يكتنف علاقة الجاليات الإسلامية بالمجتمع الأوروبى من توتر يتطلب اهتماماً خاصاً من الطرفين معاً ومما لا شك فيه أيضاً أن مهمة إعادة بناء صيغة جديدة لتلك العلاقات على أساس من فهم كل منهما للآخر والاحترام المتبادل بينهما ، ثم التعاون المشترك لا تتحقق إلا ببذل جهود مدروسة وجادة وعملية من قبل الجانبين .

وينبغى بالنسبة للجاليات الإسلامية من إمعان النظر ومعرفة الأدواء وتقديم الدواء ، لأن الواقع الذى تعيشه هذه الأقليات واقع كئيب ، وأخطر ما فيه جهل أصحابه به ، فيجب مساعدتهم لعجزهم منفردين عن مجابهته .

وكثير من أفراد هذه الجاليات لا يعرف بعضهم بعضاً ، ولا يدركون أنهم مسئولون عن ذلك شرعاً ، حسب النص القرآنى العام ﴿ **وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا** ﴾ ، وفى النصوص الإسلامية دعوة قوية ومتكررة للبحث عنهم ومساعدتهم ، لأنهم « المستضعفون فى الأرض » .

فلم يعد شيء يعيدهم فى هذا العصر إلى ذاكرتنا إلا أوصاف عامة : الجاليات ، الأقليات ، اللاجئون ، الأسرى ، الرعايا ... إلخ .

ويجب أن تنطلق المبادرة لتحقيق هذه المهمة من جانب الطرف الأوروبى ، والمطلوب منه أن يقدم صيغة جديدة لكيفية إدماج المسلمين فى المجتمعات التى يعيشون فيها بصورة اختيارية إيجابية ، ولا تهدف إلى إجبارهم على الذوبان والانصهار القسرى ، بل لابد أن تستند هذه الصيغة الجديدة على تعددية واسعة وتسامح رحب الآفاق ، وتعايش سلمى بين مختلف الديانات والقوميات والانتماءات الفكرية والسياسية ، ولا قيمة

للتعددية المزعومة إذا استمرت أوروبا فى النظر إلى الإسلام بوصفه ديناً غربياً عن أوروبا ، واعتبار ثقافته مناوئة لقيمها ، واعتبار الوجود الإسلامى نشازاً لا مكان له فى الجسم الأوروبى .

إن هذا التغيير الجوهرى فى نظرة أوروبا للإسلام وأتباعه هو حجر الزاوية لأى تغييرات أخرى تتلوها ، سواء فى مجال التشريعات والقوانين التى تحمى حقوق المسلمين وتشجعهم على الاندماج أو فى مجال الممارسات التى تتعلق بكيفية التعامل مع الظاهرة الإسلامية ، وبغير هذا التغيير الجوهرى ستكون التغييرات الأخرى مجرد مسكنات قد تخفف من وطأة المشكلات مؤقتاً ، ولكنها لن تنجح فى القضاء عليها والتخلص من عواقبها الوخيمة على الطرفين .

أما مسلمو أوروبا فيقع على عاتقهم كِفْلٌ من المسئولية لابد أن يضطلعوا به ، فلم يعد بمكنتهم أن يعيشوا فى عزلة وتقوقع فى ما يشبه « الجيتوات » المغلقة ، لابد لهم من مواجهة مشكلات التعايش مع الواقع الأوروبى بكل إيجابياته وسلبياته بشجاعة وإقدام ، وعليهم التوصل إلى حسم خلافاتهم وتجميع جهودهم والاتفاق على تأسيس هيئات تمثيلية لهم بأساليب شورية « ديمقراطية » ، وبدون ذلك لن يصلوا لحقوقهم ، ولن يقيموا علاقات مثمرة مع واقعهم .

وما يؤسف له أن الوجود الإسلامى فى أوروبا لم ينجح كثيراً فى تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام ، وفى تجلية الصورة الحقيقية عن الإسلام للأوروبيين ، وإذا كانت صورة الإسلام السلبية قديمة فى العقل الأوروبى ، فإن تقصير مسلمى أوروبا من جهة ، والتصرفات المسيئة للدين التى تصدر عن بعض المسلمين قد أسهما فى ترسيخ الاعتقاد لدى الأوروبيين باستحالة الالتقاء بين أوروبا والإسلام ، وحتمية التصادم بينهما ، وبعدم قابلية المسلمين للتفاعل الإيجابى مع الواقع الأوروبى الذى يعيشون فيه .

ويبقى بعد ذلك دور العالم الإسلامى فى الإسهام فى تجسير الفجوة الواسعة بين أوروبا والمسلمين المقيمين فيها ، وهو دور مهم يرتكز على محورين :

**أولهما** : الإسهام فى توثيق عرى الصداقة مع أوروبا بفتح قنوات للحوار والتفاهم مع الشرائح الفكرية والسياسية البارزة فيها ، وتيسير سبل التعاون والتبادل الاقتصادى والسياسى والثقافى مع دولها وتجمعاتها ، ذلك أن قيام علاقة صحية متينة بين بلدان العالم الإسلامى وأوروبا سينعكس حتماً بالإيجابية على مسلمى أوروبا ، ويسهم فى تحسين علاقاتهم هم أيضاً مع الواقع الأوروبى ومعطياته واندماجهم فيه .

**أما المحور الآخر** : فيتمثل فى ضرورة سعى الدول الإسلامية إلى دعم مسلمى أوروبا مادياً ومعنوياً ، ومراعاة استفادتهم المباشرة من ثمرات العلاقة الحسنة بين تلك الدول وأوروبا ، ولن يحقق هذا الدعم المطلوب أثره المرجو إلا إذا كان مبرأ من الأغراض السياسية والحزبية .

كما أنه لن يحقق أثره المرجو إلا إذا انطلق من منهج واضح يؤكد على عدم التدخل فى شئون المسلمين أو محاولة التأثير عليهم فى ما يتخذونه من سياسات وإجراءات تلائم ظروفهم الخاصة وتستجيب لحاجاتهم الواقعية .

وسوف نتناول فى هذا الباب - بعون الله تعالى - تصوراتنا للحلول المقترحة لمشكلات الجاليات الإسلامية فى أوروبا ، وذلك على المحاور التالية :

- **الفصل الأول** : الدعوة والدعاة .. الإعداد - المنهج - الأسلوب .
- **الفصل الثانى** : نحو خطة لتطوير الإعلام والتعليم الإسلامى .
- **الفصل الثالث** : دعم جهود التنسيق والتكامل فى أوساط الجالية .
- **الفصل الرابع** : الحوار والتفاهم - وتصحيح صورة الإسلام .

# الفصل الأول

## الدعوة والدعاة : الإعداد - المنهج - الأسلوب

## تمهيـــد

إن أية دعوة مهما كانت من السمو ، لا يمكن أن تجتذب إليها الأنصار إلا إذا كان لها دعاية ، وقد أخذت الدعاية فى العصر الحديث مكاناً يجعلها فى الدرجة الأولى من الأهمية ، أين نحن فى الشرق أو فى الغرب ؟ أين مبعوثونا ؟ أين الدعاة منا ؟ لا شيء من ذلك مطلقاً ، ومن المعروف أن مبعوثى الحكومة ، ومبعوثى الأزهر إلى الأقطار الخارجية ، إنما بُعثوا لتعليم الحساب والخط والإملاء واللغة العربية فى مدارس ابتدائية أو إعدادية أو ثانوية ، ليس لنا فى الخارج قط مبعوثون ، وإذا كان الدين الإسلامى ينتشر فإنما ينتشر بقوته الذاتية برغم الهجوم عليه ، وبرغم العقبات التى تعترض طريقه .. ولنقارن ذلك كله بالإرساليات التبشيرية ، ومن أمامها ، ومن خلفها المستشفيات ، والملاجئ ، والمدارس ، والمعاهد ، والمال يُغدق ، والوظائف تُهيأ ، ولنتصور كفتى الميزان إحداهما لا شيء فيها ، وتلك هى كفة المسلمين بالنسبة للإسلام ، والأخرى فيها كل شيء ، وتلك هى كفة المسيحيين بالنسبة للمسيحية (1) .

هل فكر العاملون للإسلام فى أوروبا بالقيام بدراسة لطبيعة المجتمع الأوروبى ومكوناته ، والعقلية الأوروبية ومداخلها الحقيقية ، وطبيعة المشكلات التى تواجه الفرد هناك ؟ هل استطعنا إيجاد الدليل الثقافى الذى يمكننا من التعامل مع المجتمع الأوروبى ؟

فى الحقيقة إننا لم نلمس من ذلك إلا بعض الجهود ومع التقدير لها إلا أنها دون المطلوب بكثير ، وحتى نكون فى مستوى المشكلات التى نعرض

---

(1) الدكتور / عبد الحليم محمود - شيخ الأزهر الأسبق - أوروبا والإسلام - دار المعارف - القاهرة ١٩٧٩ - ص ٤٣ .

لمعالجتها ، والتحديات المطلوب مواجهتها ومحاولة تجاوزها ، لابد من قراءة صحيحة للواقع الأوروبى ، بل وإعادة القراءة أكثر من مرة ، واختبار النتائج التى نتوصل إليها ما أمكن ، وإلا فكيف يتعامل المسلم مع هذا المجتمع الذى يخضع كل شىء فيه للدراسة والإحصاء والتحليل .

إن قضية تطوير وسائل الدعوة إلى الله تعالى ورسم « استراتيجية » سليمة للدعوة الإسلامية فى المجتمعات الأوروبية هى القضية المطروحة على الدعاة إلى الله ، ولعل الحكمة والموعظة الحسنة التى أمرنا الله بها مع الجدال بالتى هى أحسن - لا بالتى هى أخشن - لا تخرج عن حسن التقدير للموقف وللظروف ، وحسن الآداء ، إنها وضع الأمور فى نصابها ، ووزن الأشياء بموازينها ، ويقودنا ذلك إلى أن نترسم الخطا التالية فى تطوير وسائل الدعوة الإسلامية فى المجتمعات الأوروبية :

**- كيفية النهوض بالدعوة الإسلامية :**

إن الوسائل التى قد تنفع للعالم الإسلامى الذى يعانى من أمراض تاريخية ، من السلبية والتخلف والتمزق الثقافى والتراجع الحضارى ، والافتتان بالحضارة الأوروبية .. حضارة الغالب ، والعجز عن تمثل تاريخه ، لا تنفع مع مجتمع آخر ، كالمجتمع الأوروبى ، مجتمع مادى متقدم له مواريثه التاريخية ، وله حاجاته الخاصة به .

إن بعض الذين يدعون إلى الله فى أوروبا حملوا معهم منابرهم - من عالمهم الإسلامى - التى كانوا يصعدون عليها ، ودفاتر خطبهم التى كانوا يقرءون فيها ، ليقيموها فى أوروبا ، ويعيدوا قراءتها من جديد ، جاهلين أو متجاهلين طبيعة المجتمع الأوروبى ومشكلاته ، وحاجاته الحقيقية ، وأنواع العلاج التى تنفع معه ، والأولويات الإسلامية التى تقدم له ، وما يشكو منه هذا المجتمع المادى من أمراض تنتهب سعادته وهو يبحث عن البديل ، فلا يجد من يحسن تقديمه .

إن مثل هؤلاء كمثل أترابهم الذين يصعدون منابرهم وبأيديهم كتب الخطب المنبرية حسب المناسبات يقرءون ، وقد تغير الزمن وتغيرت المشكلات وتغير الأشخاص ، فلابد من الفهم الشمولى للإسلام ، واعتبار أن المنابر التى يعتليها الدعاة إلى الله دائمة التطور بحسب مقتضيات الظروف والأحوال ، وليست ذات المنابر فى كل زمان ومكان ، والذى يعتقد ذلك كالذى يعتقد بصلاحية السيف والرمح للاستعمال فى الحروب الحديثة .

إن أهم مشكلات الدعوة الإسلامية تتمثل فى غياب الخطاب الإسلامى المناسب للعقلية الأوروبية ، وذلك راجع إلى التركيبة الاجتماعية المختلفة للبلدان الأوروبية ، بمعنى أن الحجة ووسيلة الدعوة تختلف من مجتمع إلى آخر ، ولابد من التأكيد على الاختلاف فى أسلوب طرح الإسلام من بيئة إلى أخرى ، ومن هنا يتطلب الأمر أن نعرض الإسلام بأسلوب حضارى يتناسب مع العقلية الأوروبية التى تقوم على الدليل الحسى ، فلا تتغاضى عن فقه الأولويات .

إن من أخطر السلبيات التى تواجه الدعوة فى أوروبا أن كثيرين من الدعاة مازالوا يعيشون على ذكرى ماضى الأمة ومشاكلها التاريخية متناسين أو متجاهلين اختلاف العصر ، والغريب أن يثير البعض قضايا فرعية هامشية تتعلق بفقه الفروع وهذا لا يلائم الدعوة الإسلامية ، سواء بين الجاليات الإسلامية ، أو بين الأوروبيين أنفسهم .

ومن أخطر التحديات التى تواجه الدعوة الإسلامية فى المجتمعات الأوروبية القوميات والحزبيات التى دخلت على العمل الإسلامى ، والتى ينبغى العمل الجاد على تلافيها والتأكيد على وحدة الصف والتنسيق بين الهيئات العاملة للإسلام .

وهذه جملة مقترحات يمكن أن تفيد فى مجال النهوض بالدعوة الإسلامية :

- العمل على الإفادة من الوسائل والتقنيات الحديثة فى مجال الدعوة ونشر الإسلام .

- الاهتمام بدعوة الأوروبيين وإنشاء المراكز المتخصصة لذلك .

- العمل على الإفادة من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة فى الدعوة إلى الله .

- تشجيع إنشاء المكتبات ودور النشر الإسلامية لتوسيع انتشار المطبوعات الإسلامية .

- إقامة الدورات التدريبية والتأهليلية للرفع من كفاءة الدعاة والأئمة العلمية .

- تزويد الدعاة بالكتب والمراجع العلمية المتخصصة التى تعينهم على المراجعة والبحث .

- إنشاء لجان لدراسة مشكلات الدعاة واحتياجاتهم فى مناطق الجاليات الإسلامية .

- حث الدعاة المؤهلين من ذوى الكفاءات المتميزة على المشاركة الإيجابية فى الصحف والمجلات وفى وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ، ومساعدتهم على ذلك .

- توجيه الدعاة والجمعيات الإسلامية إلى ضرورة الالتزام بالكتاب والسُّنة ومنهج السلف الصالح فى الدعوة .

**الدعاة : الإعداد - المنهج - الأسلوب :**

إن الدعوة الإسلامية فى أوروبا تحتاج إلى مهارة فائقة ، وعلم وحكمة واعية ، ودراية كافية ، وجهاد مستمر ، وصبر ومصابرة ، وتضحية وإخلاص دائم .

والدعوة واجب إسلامى متجدد ، والدعاة المسلمون يستطيعون بحسن الإعداد تجاوز مصاعب الدعوة ، ومن أهمها تخطى حاجز العقائد الأخرى والمفاهيم الحضارية السائدة على أساس من النقاش الهادئ والحوار الهادف والإقناع العقلى والبرهان الساطع ، فإذا اعتمد بعض المبشرين على تقديم المال والخدمات الصحية والاجتماعية ، فإن الدعاة المسلمين يعتمدون بالدرجة الأولى على الفكر والواقع معاً .

إن نجاح الدعوة الإسلامية مرتبط ومنوط بشخصية الداعية وحكمته ونشاطه وأسلوبه القائم على الأناة والصبر والإخلاص ، والكياسة والفطنة والذكاء ، والتكيف مع الواقع ، دون نسيان المبدأ أو الغاية ، أو الهدف والمصير .

ولذلك فإن الأمر يتطلب من الهيئات والمؤسسات والمراكز الإسلامية فى أوروبا - والعالم الإسلامى - أن تعمل على إعداد الداعية المناسب لهذه المجتمعات ، كما أنه لابد من إعداد داعية لغير المسلمين .

وتعد قضية تحديد الدعاة العاملين فى الحقل الأوروبى حجر الزاوية فى إنجاح الدعوة ، وقد فقدت الدعوة الكثير من أسباب نجاحها عندما تصدى للتعبير عنها دعاة افتقدوا مؤهلات الداعية فضلوا وأضلوا وأساءوا للإسلام أكبر إساءة من حيث ظنوا أنهم يخدمونه .

وعندما يتعلق الأمر بالدعوة الإسلامية فإن القضية تكون أكثر حساسية ، ذلك أن من يتصدون لهذا العمل يواجهون منافسة وتحديات خطيرة ويخاطبون جمهوراً على درجة عالية من الثقافة والاطلاع ، ومحاصر بالعديد من الوسائل الدعائية والمغريات التى تستهدف إبعاده عن وسائل الدعوة الإسلامية .

لذا ينبغى الاهتمام بشكل كبير بكيفية اختيار من يعملون فى مجال الدعوة الإسلامية فى المجتمعات الأوروبية ، وإعدادهم إعداداً علمياً وعقائدياً ، بحيث يستطيعون تحمل المهام الموكلة إليهم فى مجال إنجاح خطة الدعوة الإسلامية .

ويمكن إضافة بعض النقاط التى ينبغى التركيز عليها فى إعداد الدعاة فى أوروبا :

- التكوين العقدى العميق .

- التكوين اللغوى الدقيق - من حيث اللغة العربية ، لغة القرآن ، إلى جانب اللغات الأوروبية الأخرى .

- الوقوف الجيد على آيات وأحاديث الأحكام .

- دراسة العوامل العرقية والتاريخية وغيرهما التى تؤدى للصراع بين الجاليات والأوروبيين .

- تكثيف الدراسة الاجتماعية للعادات والطبائع السائدة فى المجتمعات الأوروبية ، وانتقاء ما يمكن النفاذ من خلاله بالدعوة إلى الله .

- اتساع صدر الداعية واستيعابه للخلافات المحتملة فى فهم الإسلام والقدرة على التعامل معها .

- إعطاء الأولوية فى التصدى للعمل الدعوى لأفراد الجاليات الإسلامية المقيمين فى أوروبا ويتمتعون بالأهلية لذلك ، فهم الأكثر قدرة على معرفة مداخل المجتمع الأوروبى (١) .

ومن الضوابط التى يتعين توفرها فى الداعية المشتغل بالدعوة فى المجتمعات الأوروبية أن يتحلى بجملة صفات أخرى ، منها : الحلم والتواضع والحكمة وسعة الصدر والذكاء فى عرض أفكاره ، وأن يحقق فى ذاته القدوة الحسنة ليدعو بأفعاله أكثر من لسانه ، وأن يهتم بحسن مظهره وأناقته وأسلوبه فى العرض حيث بلاغة الحديث وإشراقته وحسن إلقائه ، وإظهار يسر الإسلام ، والبعد عن الأحقاد التاريخية وما من شأنه إثارة الضغائن ، وأن يعتمد فى أسلوبه فى عرض الإسلام على بيان صفاء عقيدته وكمال

---

(١) د. سامى الشريف : « استراتيجية إعلامية لمخاطبة الأقليات الإسلامية فى المجتمع الغربى » - مركز المعلومات بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة .

شريعته ووضوحها ، وأن يعرض سمو أخلاق الإسلام دون القدح فى المذاهب والأديان الأخرى ، والبعد عن الخلافات المذهبية والسياسية ، وأن يعتمد فى مناقشاته ومناظراته أيضاً على الأدلة العلمية والعقلية ، مفيداً من الإعجاز العلمى فى القرآن والسُّنة ، وما توصل إليه العلم الحديث من نظريات وحقائق علمية تتطابق مع ما ورد فيهما ، على أن يكون ذلك من أساليب الدعوة وليست أموراً يعتمد عليها الإسلام فى إثبات ما جاء به من حقائق ، وقد يصلح شخص للدعوة فى تلك المجتمعات والبيئات وآخر لا يصلح ، وهذا يتوقف على ظروف الداعية وأحواله .

وتتطلب الدعوة فى أوروبا إعداد الكوادر المتخصصة فى مجال التوجيه والتربية من خلال المساجد والمراكز الإسلامية المنتشرة فى الدول الأوروبية ، وهى فى الغالب تفتقر إلى دعاة أكفاء يجمعون بين العلم الشرعى والاستيعاب الكافى لخصائص المجتمعات الأوروبية ، وما يستلزم ذلك من معرفة بمشكلات الجالية الإسلامية ، وإتقان للغات الأوروبية مما يمكنهم من التواصل مع المجتمع ، ومع وجود عدد من الدعاة المبتعثين من بعض البلدان الإسلامية ، إلا أن هؤلاء لا يغطون إلا جزءاً محدوداً من المجال الدعوى ، فضلاً عن أن بعضهم إن توفر لهم التكوين الشرعى ، قد تنقصه الدراية بالواقع وإتقان لغة البلاد ، مما يجعله ذا أثر محدود فى محيطه الاجتماعى ، لذلك نؤكد ونكرر أن تكون نخبة من أبناء المسلمين المقيمين فى أوروبا هو الحل الطبيعى لتلبية حاجات الدعوة هناك .

والحاجة ملحة بطبيعة الحال إلى مدرسين أكفاء لتدريس التربية الإسلامية والقرآن الكريم واللغة العربية يكونون ذوى اختصاص من جانب ، وأصحاب اطلاع جيد على الواقع الأوروبى من جانب آخر ، وذلك لتغطية النقص الذى أشرنا إليه فى الباب الثانى على مستوى الكادر التعليمى المتخصص فى المدارس الإسلامية التكميلية والنظامية ، ويستحسن أيضاً أن يكون هؤلاء المدرسون من أبناء الجالية الإسلامية لتتحقق فيهم الشروط التى ذكرناها آنفاً .

**الفتاوى المعاصرة وفقه الواقع :**

هناك حاجة ماسة إلى باحثين ودارسين متخصصين فى مجال البحث الدينى الشرعى والاجتماعى ، إذ أن وجود المسلمين فى مجتمعات غير إسلامية يطرح عليهم إشكالات شرعية تحتاج إلى دراسة ، كما أن واقع المسلمين الاجتماعى يطرح كثيراً من المسائل على بساط البحث ليتصدى لها الدارسون الأوروبيون بعيداً عن الخلفية الإسلامية التى تعد ضرورية لفهم طبيعة هذه الإشكالات المطروحة .

ومن العجيب تعدد مراكز البحث الأوروبية فى شئون الإسلام والمسلمين مع غياب مذهل للباحثين المسلمين ، بل إن حاجة المجتمعات الأوروبية ذاتها إلى جهد فكرى تعريفى بالإسلام يقتضى وجود مفكرين وباحثين أكفاء لتغطية فراغ كبير فى هذا المجال الحساس ، فالحاجة ملحة إلى مؤسسات تعليمية شرعية متخصصة هناك .

فينبغى إيجاد هيئات وأجهزة يتوفر فيها قدر من الأهلية الفقهية والدراسية المطلوبة التى تمكن من النظر فى المشكلات المستحدثة بغية الوصول إلى حلول إسلامية تطمئن إليها أفئدة ملايين المسلمين فى أوروبا من مقيمين ووافدين ، حيث أن تزايد أعداد المسلمين واحتكاكهم بمجتمع الحضارة الغربية قد أديا إلى إيجاد بعض المشكلات الخطيرة والمتباينة تباين البلاد الأوروبية وعادات وتقاليد أهلها ، ولما كانت تلك المشكلات تتطلب إيجاد حلول عاجلة ، فيتعين دراسة كافة مشكلات المسلمين واقتراح الحلول المناسبة لها على هدى القرآن والسُّنة والإجماع والقياس ، ويمكن الاستعانة بالوسائل التالية لتحقيق هذه الأهداف :

– الاتصال والتواصل بين المراكز والجمعيات الإسلامية فى أوروبا لمعرفة المسائل والمشكلات التى تواجه المسلمين ، والعمل على تصنيفها كخطوة نحو إيجاد الحلول المناسبة .

– ترجمة الأعمال الفقهية المعتمدة المختارة بعناية ، بعد شرحها وتبسيطها للغات الأوروبية .

- إصدار النشرات والدراسات للرد على الافتراءات والأضاليل والشبهات المتعلقة بالإسلام .

- إقامة الندوات والمحاضرات والمعارض التى تتناول المسائل الفقهية التى تهم فى الدرجة الأولى مجتمع الجاليات الإسلامية فى أوروبا ، وتساعد على إظهار كمال الشريعة الإسلامية .

والمشكلات الفقهية فى مجتمع الجاليات متعددة ، بعضها يختص بالعبادات ، وأكثرها ذو طابع اجتماعى بسبب العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين المسلم والمجتمع الذى يعيش فيه ، أو بين المسلم وأخيه المسلم فى ظل هذا المجتمع .. فهناك مثلاً قضية المواقيت الشرعية للصلاة تُثار على مدار السنة وفى كل البلدان الأوروبية ، ولكنها أكثر وضوحاً فى البلدان التى تبعد عن خط عرض ٤٥ درجة مثل البلدان الإسكندنافية حيث يكون النهار طويلاً جداً فى قسم من السنة ، ويكون الليل كذلك طويلاً جداً فى قسم آخر من السنة ، مما يصعب معه التحكم فى تحديد أوقات الصلاة والصيام ، وهناك مشكلة المطعم والمشرب وهى مشكلة شائعة ، فالمسلمون غير مطمئنين لكثير مما يأكلون أو يشربون ، وهناك مشكلات تتعلق بالمعاملات المالية والزواج ، وخطبة الجمعة ومدى ارتباطها باللغة العربية ... إلخ .

فالقضية الفقهية ، أو قضية الأحكام الشرعية تحتاج دون شك إلى دراية وفقه وفهم لطبيعة مجتمع الاغتراب ، ولكن كثيراً من المسئولين فى الهيئات والمراكز الإسلامية فى أوروبا لا يتمتعون للأسف - لعدم وجود رصيد من العلوم الشرعية ومناهج أصول الاستنباط الفقهى والمقايسة - بأهلية فقهية تمكنهم من بحث هذه المشكلات ، فعدم توافر الكفاءة لدى القائمين على أمور المسلمين فى أوروبا والرغبة فى توحيد وجهات نظر الفقهاء ، أو التوفيق بينها ، أو اختيار أنسبها يجعل من الأهمية بمكان إيجاد « جهة معينة » تتولى النظر الفقهى لإيجاد الحلول الشافية .

إن الجهل بالفقه الشرعى هو مسئولية المسلم نفسه الذى يجب عليه أن

يسعى لمعرفة أحكام دينه ، ثم مسئولية الدعاة الموجودين فى كل دولة أوروبية فهم الذين ينبغى عليهم إبراز فقه خاص بمجتمع الجاليات المسلمة « فقه الواقع والأولويات » ويعتمد ذلك على قاعدتين أصوليتين عامتين :

- دور العرف فى استقاء الحكم الشرعى .

- تقديم المصلحة الكلية على المصلحة الشخصية .

والعرف القولى والعملى معترف به فى الشريعة الإسلامية وفى استنباط الحكم الشرعى ، وقد غير الإمام الشافعى بعض فتاواه بسبب تغير البيئة ، وأحد أهم مبررات الحكم الشرعى معرفة مصالح العباد ، ولذا كانت القاعدة الفقهية الخالدة : حيث كانت المصلحة فَثَمّ شرعُ الله ، والواقعية فى التفكير تحذر المسلم من الجدل والافتعال فى البحث عن الحكم ، يقول تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياءَ إنْ تُبْدَ لكم تَسُؤْكُمْ ﴾** ، فهناك من أبناء الجاليات من لا يكتفى بجهله الدينى العام ، بل يتمحك فى بعض الفتاوى ويتشدد ويشق على نفسه بحثاً عن رأى خاص يُرضى هواه ، وهذا أمر خطير ينبغى ألا يكون فى مسلم وخاصة فى مجتمع الأقليات ، كما أن فهم مقاصد الشريعة ، وفهم المصالح الكلية وتقديمها على المصالح الجزئية والخاصة أمر ينبغى العناية به .

إن الفقيه فى مجتمع الأقليات فى الدول غير الإسلامية ينبغى أن يتمتع بمواصفات خاصة تتسم بمساحة من المرونة قد تتسع أو تضيق حسب الحال وذلك فى ضوء ثوابت الإسلام وشريعته ، بحيث يعمل بفتاويه المعاصرة على تجميع الناس حوله ، لأنه لا معنى لفقيه يثير فتنة بفتوى قد تضر ولا تنفع ، لذلك يفضل أن يكون الفقيه من أبناء الجالية لمعرفته بالواقع - لأن الفقيه القادم من البلدان الإسلامية أحياناً يأتي بمشاكله - وينبغى ألّا يحسب على تيار فكرى معين وانتماءٍ ضيق تضيع معه هيبته وتفقد الثقة فيه ، وتجعله يُضيِّق ما وسعه الإسلام .. ويمكن إجمال أربع صفات لفقيه الأقليات :

- ألا يتقيد بمذهب معين فى استقاء الحكم الشرعى وفى إفتاء من يستفتيه ، لأن هذا سوف يجعل فى الأمر سعة ، ولا يجعله من حيث لا يدرى فى خط ضيق الأفق .

- أن يدرك تبعات رسالته ، وأنه يمثل رمزاً دينياً ، وما قد يترتب على فتواه من رد فعل .

ونضرب لذلك مثلاً يجسد الصفتين السابقتين ، هب أن مسلمة بالغة تزوجت شاباً دون ولى فى « لندن » هل من الحكمة أن يأتى الفقيه هنا ويقول لها : زواجك باطل ، ويفسخ العقد !!

الواجب هنا أن يُجاز العقد شرعاً ، لأن الناس هناك قد لا تعرف هذه القاعدة الشرعية وهى موافقة الولى عند النكاح ، لأن الفسخ هنا يضر ، خاصة أن الإمام أبا حنيفة يجيز ذلك .

- أن يعرف الفقيه مراتب المأمورات ، ومراتب المنهيات ، وفقه الواقع والأولويات فى الفعل والاجتناب ، فعندنا عشرات الأحكام ، ما بين فرض وواجب وسنة ومكروه ومندوب ومستحب وحرام ، ومن المنكور أن نصف المكروه بالحرام .

- أن يعرف الفقيه درجات الناس فى الفعل والاجتناب ، وأنه أمام بشر قد يصيبون ، وقد يخطئون ، ولكنهم محتاجون إلى من يميز لهم الحلال والحرام .

والمجامع الفقهية فى العالم الإسلامى التى تتمتع بالتقدير والاحترام ، مثل : مجمع البحوث الإسلامية ، ولجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، بمصر ، واللجنة الدائمة للإفتاء ، ومجمع الفقه الإسلامى بالسعودية ، هذه الهيئات مطلوب منها التدخل لحل المعضلات الفقهية للجاليات مع مراعاتها للواقع ، لأن ترك الأمر بيد أشخاص قد يعدد الفتوى فى الشأن الواحد وهذا ربما يثير الفتنة .

كذلك ينبغى ألا تكون الجنسيات المختلفة للجاليات عاملاً من عوامل الشقاق وإحداث المشاكل ، مثلاً : الاختلاف فى رؤية هلال رمضان أو

شوال ، فقد تكون هناك جالية مصرية أو مغاربية أو باكستانية تتنوع فى بلد أوروبى فتضارب مع بعضها عند رؤية الهلال رغم وجودهم فى بلد واحد ، فيلتزم كل منهم برؤية الهلال فى بلده الأصلى ، إن هذا النوع من تصدير المشاكل الفقهية ينبغى حله عن طريق الدول الإسلامية أولاً .

**نحو ترجمات أمينة لمعانى القرآن الكريم :**

لا يمكن ائتمان غير المسلمين للقيام بأى مشروع لترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية ، ذلك أن كل الترجمات التى قام بها غير المسلمين وأغلبهم من « المستشرقين » ممتلئة بالأخطاء والمطاعن والسموم ، ومهما حسنت نوايا - بعض - المستشرقين فى عصرنا هذا ، فإن التاريخ العريق للاستشراق فى الطعن فى الإسلام يجعلنا ننظر إلى أعمال الاستشراق فى مجال العلوم الإسلامية نظرة شك وريبة .

ومترجم القرآن إذا كان يهودياً أو نصرانياً أو كافراً أو حتى مسلماً غير متدين أو شيوعياً أو ملحداً لا يمكن أن نعول عليه لإخراج ترجمة صادقة وأمينة لمعانى القرآن الكريم ، لأن غير المسلمين لا يؤمنون أصلاً بالإسلام ، ولا يعتقدون بصحة القرآن ، لأنهم لو آمنوا بصحة القرآن لأسلموا - كما أسلم بعضهم - وعدم إيمانهم بالقرآن يجعلهم غير متحمسين لإبراز المعانى السامية للقرآن ، لأنهم غير مقتنعين بما ورد فيه ، والحماس والاقتناع شرطان ضروريان لنجاح أى عمل ، فتأتى ترجماتهم ماسخة ، فاترة مثل أحاسيسهم تجاه الإسلام ، ونظراً إلى حقدهم على الإسلام فإنهم يتعمدون حشو الترجمة بسمومهم ومطاعنهم وأوهامهم .

لذلك ينبغى أن نتعلم من هذا التاريخ العريق للطعن والتحريف والتشويه والتشكيك ، ونمسك بزمام الأمور ، ولا نكلف إلا المسلمين بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية .

وقد كان لمؤسسة « بافاريا » فى مدينة ميونخ بألمانيا - وهى دار نشر

عربية إسلامية صاحبها عربى مسلم هو المصرى عبد الحليم خفاجة - تجربة جيدة فى هذا المجال ، حيث أصدرت أول ترجمة أمينة لمعانى القرآن بالألمانية عن طريق هيئة من عشرة مسلمين - خمسة عرب وخمسة ألمان - وذلك حتى يكمل بعضهم بعضاً فيما يتعلق باللغة والنحو والتفسير[1] .

ويتعين فى هذا الصدد على « مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف » أن يعزز دوره فى مجال إصدار ترجمات لمعانى القرآن الكريم باللغات الأجنبية يكلف بها مسلمين ، ذلك أن الدعوة إلى تشجيع ترجمات « المسلمين » لمعانى القرآن تبدو اليوم أوكد من أى وقت مضى ، وتبقى أيضاً دعوة المهتمين من الباحثين فى مجالى الترجمة والقرآنيات أمراً مفروضاً يمليه داعى التضافر والتعاون من أجل خدمة كتاب الله تعالى وهداية البشرية إلى نوره .

والآن .. هل يتجاوز المسلمون المواقف الخطابية وردود الأفعال الانفعالية ، وهل يُخضعون قضية نشر الدعوة الإسلامية وإعداد الداعية وترجمة معانى القرآن إلى لون من الدراسة المتأنية ، والبرامج ، والاختيار ورصد النتائج وتحديد المسارات الصحيحة وتسجيل التجربة ، تطويراً للذات وللوسائل حتى يتحقق على أيديهم عملية إنقاذ البشرية ؟!!

* * *

---

(١) ثابت عيد : دراسة بصحيفة الحياة ١٩٩٥/١٢/٢٤ .

# الفصل الثانى

## نحو خطة لتطوير الإعلام والتعليم الإسلامى

- أولاً : الإعلام .. وفعل السحر .
- ثانيــاً : قواعد التحرك الإعلامى وشروط نجاحه .
- ثالثــاً : أهداف الخطة الإعلامية .
- رابعــاً : أدوات ووسائل تنفيذ الخطة الإعلامية.
- خامساً : الفضائيات والبث الإذاعى العربى .
- سادساً : مقترحات بشأن البث الإذاعى والتليفزيونى

# الإعلام .. وفعل السحر

ارتقت وسائل الإعلام فى العصر الحاضر وقطعت آماداً فسيحة فى اجتذاب النفوس وصياغة الأفكار ، وتوسلت بها مذاهب « مفلسة » أتقنت فن الدعاية حتى بدت وكأنها على جانب كبير من « اليسار » !! والغريب أنك تبحث عن الإعلام الإسلامى وسط هذا السباق المحموم فلا تجد إلا نفراً قلائل يتحركون بدأب ، ويتحملون بجلد ، ويستميتون فى عرض الحق وسط ميدان كثرت فيه ألاعيب السحرة ، وغابت عنه عصا موسى ، ولذلك تسمع طنيناً للباطل لا ينتهى ، وأنيناً للحق لا ينقطع ، وكان المفروض أن يكون الإعلام الإسلامى أندى صوتاً وأرحب ساحة لأنه يقوم بدءاً على كتاب معجز البيان ورسول أوتى جوامع الكلم واختصرت له المعانى اختصاراً[1] .

وفى عصر يوصف بأنه « عصر المعلومات » وفى ظل حرب إعلامية يخوضها الجميع بعد أن تحولت الكرة الأرضية بفضل ثورة الاتصالات وتقنية نقل المعلومات أشبه بكرة مضرب صغيرة ، حتى إن الحواجز الجغرافية والزمنية لتكاد تنعدم من جراء التواصل الإعلامى عبر تقنيات بالغة الدقة والسرعة ، تنقل المعلومة فى سرعة تنافس البرق بالصورة الحية والصوت النقى والإثارة المطلوبة .

وفى زمن تخطت فيه « ثورة المعلومات » كل الحواجز المصطنعة ، وكسرت كل القوانين المنظمة والمقيدة لـ « وزارات الإعلام » التى تقف عاجزة فعلاً عن اللحاق بسرعة تواتر وتغير الأحداث ، وتطور التقنية المعلوماتية .. فى زمن وعصر هذه سماته ، فإن قضية « الدفع الإعلامى » عن

---

(١) الشيخ محمد الغزالى : تقديم لكتاب نظرات فى مسيرة العمل الإسلامى – كتاب الأمة ٨ – ص ٧ .

الجاليات المسلمة فى أوروبا تعد أحد أهم الواجبات التى يتعين الاضطلاع بها ، فالأداة الإعلامية تؤدى اليوم ما لا تستطيع الجيوش أن تؤديه ؛ لأن عصر ما بعد الحداثة أصبح الإعلام فيه هو الذى يجعل من « النماذج العقيدية » نماذج مقبولة لدى الأطراف الأخرى ، عبر ما يطلق عليه « التسويق الإعلامى » .

إن المواطن الأوروبى أصبح يخضع فكرياً وثقافياً لهيمنة المؤسسات التى تملك وسائل الإعلام الضخمة ، وهذه الشركات بوسائلها تشكل إلى حد كبير كيفية تفكير الناس ونظرتهم إلى المسلمين ، وهذه الشركات والمؤسسات يملك اليهود جانباً كبيراً منها - وهم أعداء المسلمين - لذا يجب أن تتوفر للمسلمين أدوات إعلامية تواجه وتدفع وتبين للناس حقيقة الإسلام ، فالمبادرة الإعلامية ثم متابعة الفيضان الإعلامى جزء مهم من تدعيم الوجود الإسلامى للجاليات المسلمة فى أوروبا .

ومهمة الدفع الإعلامى عن الجاليات المسلمة تقع على عاتق الدول والمنظمات والهيئات المسلمة وبالتأكيد وسائل الإعلام الإسلامية بمختلف وسائلها وطرقها ، وهى ليست مهمة سهلة فى ظل هذا الجو المسموم والمحموم والحملات المتصاعدة فى أوروبا ضد كل ما هو إسلامى .

وقد ارتفعت مؤخراً أصوات من هنا وهناك على الساحة الإعلامية الإسلامية تنادى بضرورة إيجاد تنظيم أو هيكل مهمته تبنى قضايا الجاليات المسلمة وطرحها بطرق وأساليب ترسخ عدالتها ، ولا تستعدى عليها الحكومات ، بل تستنفرها للتعامل بموضوعية مع هذه القضية ، ذلك أن غياب الإعلام عن هذه القضية عمداً أو سهواً قد أدى إلى تفاقم هذه المشكلات فأصبحت فى أكثرها مزمنة ، بينما يُواجَه أغلبها بالحديد والنار فى أكثر من بلد أوروبى باعتبارها « قضية داخلية » لا ينبغى للآخرين التدخل فيها ، كما أن غياب الإعلام الإسلامى قد وضع القضية أو « الملف » كله فى أيدى أجهزة أخرى ليست لها مصلحة ، ولا لديها حرص على أن تحيا الجاليات الإسلامية بكرامة وإنسانية .

إن فتح « ملف » الجاليات المسلمة واستعراض صور المآسى اليومية التى تعانى منها سيضعنا مباشرة أمام مسئولياتنا تجاه إخواننا الذين وجدوا أنفسهم بالرغم منهم فى هذا المجتمع أو ذاك ، وهى مسئولية جماعية لا تقف عند الإدانة أو الدعم المعنوى عن طريق البيانات ، إنما ينبغى أن يأخذ شكلاً عملياً وهذا لا يعتبر تدخلاً فى شئون الدول المعنية أو توغلاً فى سياساتها الداخلية .

ويمكن الاستناد فى حملة كهذه إلى بنود المواثيق والمعاهدات الدولية التى تهتم بهذا الشأن ، وتضعه على رأس أولوياتها ، وما أكثر هذه المعاهدات إذا وجدت من ينقب عنها ويقرؤها بروية .

إن ضياع كثير من حقوقنا المشروعة كمسلمين مَرَدُّه جهل كثير منا بها وعدم مبالاة بعضنا فى المطالبة بهذه الحقوق ، وهى حقوق لا تمنح للجاليات بسهولة ، فعالم اليوم غابة تحكمها الأسود ولا مكان فيها للضعفاء أو المتخاذلين أو المترددين .

وإذا كنا نطالب بخطط إعلامية توجه إلى المجتمعات الأوروبية فإن الأمر ليس هيناً ، أياً كانت الجهات التى تتبنى هذه الخطط ، ذلك أن الاختراق الإعلامى لتلك المجتمعات ذات الوفرة الإعلامية يعد أمراً بالغ الصعوبة ، فالمواطن الأوروبى محاصر بالعديد من وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية على اختلاف صورها وأشكالها المستحدثة ، وهو لا يجد وقتاً كافياً ليلاحق عشرات المحطات التليفزيونية التى تحاصره ليل نهار بأحدث وأسرع الخدمات الإخبارية والثقافية والترفيهية وغيرها ، كما أن المواطن الأوروبى لا يعير اهتماماً كبيراً للأحداث والقضايا البعيدة عن محيط اهتمامه .. باختصار فإن الغربيين يفتقدون الحوافز الفاعلة لمتابعة وسائل الإعلام الأخرى !![1] .

وأبناء الجاليات الإسلامية فى أوروبا يفتقدون - بدرجة أقل - مثل تلك

---

(١) د / سامى الشريف : الإذاعات العربية الموجهة .. دار الوزان - القاهرة ١٩٨٩ - ص ١٣٠ .

الحوافز ويخضعون للإغراق الإعلامى نفسه ، ورغم ما تشهده الساحة الأوروبية من نشاطات إعلامية إسلامية ، إلا أنها لا تزال دون المستوى بالنسبة لعالمية الإسلام والتحديات المفروضة .

وبنظرة فاحصة للكيانات التنظيمية الدولية فى مجال الإعلام نلاحظ غياب التنظيم الإعلامى الإسلامى على المستوى الدولى ، ولا سيما فى وسائل التقنية الحديثة ، بل والأهم أن معظم تلك التنظيمات تمت فى إطارات معادية للإسلام .

وفى إطار العالم الإسلامى قامت بعض الكيانات التنظيمية الإعلامية ولكن على أسس إقليمية وليست إسلامية ، مثل : اتحاد الإذاعات العربية ، وجهاز تليفزيون الخليج ، والقمر الصناعى العربى ، والقنوات الفضائية العديدة للدول العربية .. وغيرها[1] .

أما الكيانات التنظيمية الدولية فى مجال الإعلام الدولى مثل : وكالة الأنباء الإسلامية ، ومنظمة إذاعات الدول الإسلامية - فبالإضافة لقلتها فإنها تتسم بضعف إمكاناتها وافتقادها للتخطيط العلمى والتنسيق فيما بينها ، فضلاً عن عدم امتداد خدماتها الإعلامية لتشمل الجاليات الإسلامية فى أوروبا .

وإذا كان ثمة بعض الجهود الإعلامية المتناثرة ، فإنها لا تزال جهوداً ضعيفة يغلب عليها الطابع السياسى والنظرة القومية الضيقة والارتباط بمصالح دول أو منظمات بعينها ، ومن ثم فإن تاثيرها لا يزال محدودًا ، ولا سيما فى ظل ما تتعرض له تلك الجاليات من دعايات مضادة ذات كفاءة عالية وتقنية هائلة وميزانية ضخمة ، لذلك فإن التخطيط العلمى أصبح ضرورة فى مختلف المجالات ، والمجال الإعلامى من أهمها ، حيث

---

(١) ماجى الحلوانى : القمر الصناعى الإسلامى .. مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٨٧ - ص ٥١ .

تحتاج إلى تخطيط دقيق ، فالعمل الإعلامى ليس عملية ارتجالية أو تلقائية ، ولكنه يقوم على التخطيط السليم والاستراتيجيات المدروسة [1] .

والتخطيط الإعلامى عملية إرادية مقصودة تقوم بها أجهزة متخصصة من أجل تنظيم وتعبئة جهود الأفراد والجماعات والمؤسسات لكى يتسنى للمجتمع تعبئة إمكاناتها الإعلامية والمادية والبشرية بشكل كامل للنهوض بالمسئوليات وتحقيق الأهداف الموضوعة ) .

وسوف نستعرض فى الصفحات التالية بعض المحددات الضرورية لتخطيط العمل الإعلامى الموجه إلى الجاليات الإسلامية فى أوروبا ، من خلال النقاط التالية [2] :

**أولاً : قواعد التحرك الإعلامى وشروط نجاحه :**

ونحن بصدد التخطيط للتحرك الإعلامى لمخاطبة الجاليات يتعين أن نأخذ فى الاعتبار القواعد التالية :

– وضوح الأهداف العامة للخطة الإعلامية .

– وضوح السياسة التى تسند إليها الخطة الإعلامية .

– وضع استراتيجية متكاملة تستهدف التنسيق بين العمل السياسى والإعلامى المؤثر على صانعى القرار فى أوروبا ، والعمل الحضارى التثقيفى المؤثر على صورة المسلم السائدة فى أذهان الأوروبيين .

– الاستفادة من المنظمات والمؤسسات الإسلامية العاملة فى أوروبا استفادة كاملة والتنسيق بينها .

– إعداد وتجنيد العناصر البشرية الملائمة للعمل الدعوى والإعلامى مع التركيز على أبناء الجالية .

---

(١) الدكتور / سامى الشريف : استراتيجية إعلامية لمخاطبة الأقليات الإسلامية فى المجتمع الغربى – بحث مقدم للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة .

(٢) إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال .. ص ٣٦١ .

– توفير الإمكانيات المالية الكافية لتنفيذ الخطة الإعلامية واستمرارها .

– تحديد أولويات الإنفاق ونسبه بين أدوات التنفيذ والمشروعات المقترحة لذلك .

**ثانياً : أهداف الخطة الإعلامية :**

يجب أن تنطلق الخطة الإعلامية من منطلقات إسلامية خالصة ، بعيداً عن الخلافات والصراعات السياسية والمذهبية ، وهذه أهم أهداف الخطة الإعلامية :

– تحسين صورة الإسلام والمسلمين فى أوروبا وإبراز الدور الحضارى للأمة الإسلامية وفضلها على أوروبا .

– الرد والتصدى لدعاوى المستشرقين الذين يشوهون حقيقة الدعوة الإسلامية .

– تفنيد الدعاية المضادة للإسلام والأخذ بمبدأ الدعاية « الهجومية » وليس « الدفاعية » .

– التركيز على أن الأمة الإسلامية داعية للسلام والأمن والتعاون الدولى .

– إيجاد جسور من التعاون الفعال مع أجهزة الإعلام والمؤسسات الثقافية والتعليمية وقادة الفكر فى الدول الأوروبية ، وإتاحة الفرصة أمام المنصفين من المفكرين الأوروبيين المدافعين عن الإسلام .

– إتاحة الفرصة أمام المفكرين الإسلاميين الذين يحظون بقدرة على التأثير والمواجهة .

– تصحيح الأخطاء وتقويم السلوكيات الصادرة عن المسلمين المسيئين للإسلام .

– تنمية فهم أعمق وأفضل للإسلام بين الجاليات وتزويدهم بالرؤى الإسلامية فى قضاياهم .

- الاهتمام برعاية الجيل الثانى من الشباب المسلم مِمَّنْ تربَّوْا ودرسوا فى المجتمعات الأوروبية .

- شرح وتبسيط العلوم الإسلامية فى أشكال وقوالب إعلامية مناسبة للجاليات بلغاتهم .

- الاهتمام بجهود ترجمة القرآن الكريم وكتب التراث الإسلامى الأصلية ليتسنى للجاليات الإسلامية دراستها .

- الاهتمام بتعليم اللغة العربية - لغة القرآن - لأبناء الجاليات من خلال مختلف وسائل الإعلام المتاحة .

- تأهيل الكوادر الإعلامية من أبناء الجاليات وإعدادهم للعمل فى مجال الإعلام الإسلامى .

**ثالثاً : أدوات ووسائل تنفيذ الخطة الإعلامية :**

حتى يكون التحرك الإعلامى مجدياً ينبغى إنشاء هيئة إعلامية لشئون الجاليات تتولى تخطيط وإعداد وتوجيه العمل الإعلامى الإسلامى ، وإذا تعذر ذلك حالياً - لأسباب ما - فيمكن تنفيذ الخطة الإعلامية اعتماداً على الأجهزة الموجودة حالياً مع إحكام التنسيق بينها ورسم أهداف مضبوطة لأنشطتها بحيث يكون الإشراف العام مثلاً لمنظمة المؤتمر الإسلامى .

وبالنظر إلى ما يتاح للجاليات من وسائل إعلامية متنوعة ومتقدمة تقنياً ينبغى أن تقدم وسائل الإعلام الإسلامية محتوى اتصالياً جذاباً ومشوقاً ، فإن الخطة الإعلامية ينبغى أن تضع هذه الأمور فى الاعتبار لتستطيع المنافسة والصمود أمام الدعايات المضادة ، وفى هذا الإطار فإن ثمة بعض المقترحات :

- تقديم محاضرات وسط تجمعات كبيرة للجالية ومواطنى أوروبا عن التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية .

- إقامة ندوات لمعلمى المدارس الابتدائية وغيرها مِمَّنْ يُعلمون أبناء المسلمين التراث والثقافة الإسلامية .

- تشجيع حركة التأليف فى مجال العلوم الإسلامية باللغات الأوروبية ومنح مكافآت لمن يؤدون ذلك .

- إقامة معارض ثقافية وحضارية للدول والمنظمات الإسلامية فى عواصم أوروبا للتعريف بالحضارة الإسلامية .

- تشجيع حركة الزيارات المتبادلة بين المفكرين المسلمين من الدول الإسلامية والمقيمين فى أوروبا .

- الاهتمام بإعداد كتب للأطفال المسلمين فى أوروبا عن قصص القرآن وفى التعريف بالإسلام والحضارة الإسلامية .

- تشجيع حركة التبادل الثقافى والفكرى بين الجامعات الإسلامية والأوروبية للمناقشة والحوار وتفنيد الدعاوى .

- إصدار بعض الصحف والمجلات المحلية فى مناطق الجاليات بحيث تقدم لهم المواد الشرعية والثقافية ، وتبادل أخبار المسلمين لربطهم بالعالم الإسلامى ، وأنظمة الغرب تتيح مثل هذه المطبوعات .

**الفضائيات .. والبث الإذاعى والمرئى :**

يحار المرء من موقف المحطات الفضائية العربية التى لا تبث إلا ما يسمى بالترفيه من غناء وأفلام ومسلسلات ممجوجة وسخيفة و « رقص !! » حتى لكأن كل هذه المحطات نسخة واحدة مكررة ، عمادها كلها ( التجهيل ) والاستهتار بعقل المتلقى العربى والمسلم .. والمسألة فى الحقيقة أكبر بكثير من ذلك الكم الهائل من ( التنطيط ) وتمايل الحسان والمسلسلات السمجة ؛ لأنها ببساطة تتعلق « برسالة » ذات أبعاد وأهداف محددة ، أما فى غياب هذه « الأهداف » فإن « الرسالة » لا تعدو أن تكون « تهريجاً » ، ولتأكيد ذلك نتساءل ما مساحة البرامج الثقافية الهادفة ( دينية وغير دينية ) فيما تقدمه هذه الفضائيات مقارنة بحجم ما يسمونه ( بالترفيه ) ؟! وما الذى تقدمه هذه المحطات لأطفال المسلمين غير أفلام الكرتون التى تمسخ عقولهم

الصغيرة الغضة بكل ما هو خيالى ومثير وبدون هدف واضح غير الإلهاء والتسطيح ؟!

وإذا تساءلنا عن المردود الفعلى لهذه المحطات التى تتكلف مبالغ طائلة ، كانت الإجابة : لا شيء إيجابياً ، لقد تلقى القائمون على أمر هذه القنوات الفضائية « الإشارة » العصرية خطأ وذلك حين اعتقدوا أن الترفيه هو الهدف الأول ، فانطلقوا فى سباق رهيب بعضهم مع بعض لتقديم أكبر كم من « الغث » فخرجت أغلب القنوات العربية صورة ممسوخة ومشوهة لا تحمل فكراً ، ولا ترتقى بعقل ، ولا تحقق هدفاً ، ولا يُرجى منها فائدة تذكر .

وقد قال إعلامى عربى بارز عن هذه القنوات : إنها تزيد جهل الإنسان العربى الجاهل أصلاً !! وتلك حقيقة تؤكدها الثقافة الرخيصة المتمثلة فى المواد « الفنية » الهابطة ، وحوار « المجاملات » ، و« التلميع » على المكشوف لبعض الشخصيات والوجوه التى ساهمت بقدر معتبر فى زيادة تجهيل الإنسان العربى والاستهانة بعقله ، وقد خسرت القنوات الفضائية العربية المعركة منذ الوهلة الأولى وأصبحت تتخبط فى التعبير عن ذاتها ، عاجزة عن الوصول إلى عقل المتلقى العربى والمسلم المغترب بما « تتقيؤه » من مواد غير هادفة ، ومن المؤسف حقاً أن نبقى دائماً فى ذيل الركب الإعلامى وأن نغوص فى « أوحال » الجهل فى عصر المعلومات ، بينما غيرنا يسبح فى بحره [1] !!

لقد بات الآن من واجب الدول والمنظمات الإسلامية العمل على استغلال البث الفضائى بهدف تقديم برامج إسلامية تعبر عن الصورة الحقيقية للإسلام وتقوم بتعديل وتصحيح المفاهيم الخاطئة التى ما فتئ الغرب يروج لها ، وقد أصبحت الفرصة مواتية أكثر من أى وقت مضى فى ظل وجود قنوات فضائية تبث إرسالها فى معظم الدول الأوروبية ، وقد يجدر

---

(١) منير حسن منير - صحيفة العالم الإسلامى ١٩٩٥/٧/١٧ .

التنبيه إلى أن تقديم معطيات الإسلام وتعاليمه السمحة قد يبدو غير ممكن عبر قنوات الصحافة العربية المكتوبة نظراً لحاجز اللغة ، إلا أن القيام بذلك عبر قنوات البث الفضائى وباللغات الأوروبية يبدو الآن أمراً ميسراً لا يدعو لأكثر من استقطاب علماء ومفكرين مسلمين أكفاء قادرين على أداء هذه الرسالة السامية ، ولا يجادل اثنان فى أهمية هذا الدور خاصة إذا علمنا أن احتمال مشاهدة كثير من المواطنين الأوروبيين لهذه البرامج يبقى أمراً وارداً ، وفى انتظار تنفيذ قرار إنشاء محطة فضائية إسلامية تبث برامج إسلامية باللغات الأجنبية وتعكس الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين ( حسب ما تم التبشير به منذ وقت غير بعيد ) يتعين أن يستمر وعى المسلمين بضرورة مجابهة الإعلام الغربى الرهيب بقصد إبراز صورة الإسلام الناصعة وتلميعها ، إنه جهاد إعلامى واجب ، بل هو فرض كفاية يتحمل مسئولية القيام به كل من أوتى القدرة على ذلك(1) .

**مقترحات بشأن البث الإذاعى والتليفزيونى :**

يجب الاهتمام بدعم وتقوية الوسائل الإعلامية الإسلامية الموجودة فعلاً والتنسيق بينها ، وعلى رأسها منظمة إذاعات الدول الإسلامية التى أنشئت عام (١٩٧٥) إلى جانب بعض الإذاعات التى تهتم بعلوم القرآن الكريم ، كإذاعات القرآن الكريم من القاهرة والرياض والكويت ، وإذاعة نداء الإسلام من مكة المكرمة ، مع الاهتمام بإقامة محطات تقوية لتلك الإذاعات لتصل بوضوح إلى المستمع الأوروبى مع ترجمة بعض معانى القرآن الكريم .

- الاهتمام بالإذاعات الموجهة من دول العالم الإسلامى صوب أوروبا وتوظيفها إسلامياً ، حيث توجه الدول العربية وحدها نحو تسع وخمسين ساعة لمخاطبة المستمعين فى أوروبا وأمريكا بخمس لغات ، هى : الإنجليزية ، الفرنسية ، الألمانية ، الأسبانية ، الإيطالية ، وتقدم بعض هذه الإذاعات القليل

---

(١) حسن عزوزى - صحيفة المسلمون ١٩٩٥/١٠/٦ .

من البرامج الدينية ، لكنها تركز على الموضوعات السياسية والدعائية ، مع افتقارها للتخطيط العلمى السليم والتنسيق فيما بينها ، وكذلك ضعف إرسالها مما يفقدها أهميتها ، ولا سيما وهى توجه إلى جمهور مشبع بوسائل إعلامية أكثر تقدماً .

- إنتاج وتوزيع أفلام سينمائية وفيديو عن التراث والحضارة الإسلامية ، وتزويد المراكز الإسلامية بها لتكون فى متناول أيدى المسلمين والأوروبيين .

- ضرورة إعادة النظر فيما تقدمه الدول العربية والإسلامية من إذاعات موجهة إلى أوروبا ، ودراسة مدى جدوى استمرارها وأن يتم التنسيق بينها لبث إذاعة موجهة باللغات الأوروبية .

- يمكن التغلب على مشكلة إنشاء محطات إذاعية وتليفزيونية داخل أوروبا بالتركيز على إقامة صلات وثيقة مع أرباب الإعلام فى الصحافة والإذاعة والتليفزيون والسينما عن طريق شركات العلاقات العامة المتخصصة فى هذا المجال ، كما يفعل اللوبى الصهيونى ، وذلك عن طريق شراء الوقت على القنوات الإذاعية والتليفزيونية وتقديم برامج عن الإسلام .

ولعل قائلًا يقول : إن ثمة العديد من أنواع هذا النشاط الذى تقوم به بعض سفارات الدول الإسلامية فى العواصم الأوروبية التى تشترى أوقاتاً ، بل تؤجر أحياناً بعض القنوات التليفزيونية ، إلا أن ما يقدم من خلال هذا النشاط - وإن تضمن بعض البرامج الدينية - لا يعدو أن يكون دعاية سياسية للدولة التى تقدم الدعم ، لكن ما نقترحه أن يستهدف هذا النشاط فائدة الجاليات ، وتعليمها العلم النافع .

- ورغم أهمية وضرورة هذه الوسائل الإعلامية التى يمكنها أن تخدم أهداف الدعوة فى أوروبا ، فإن الأمل معقود فى أن تهتم الدول والمنظمات الإسلامية بالبث التليفزيونى عبر الأقمار الصناعية ، والمتأمل فى خريطة المحطات الدولية التى تبث عبر هذه الأقمار يلحظ وجوداً فاعلاً للدول العربية

والإسلامية ، إلا أنه حينما ننظر للمحتوى الذى تقدمه لا يجد إلا فجاجة وعريا وإسفافاً بحجة منافسة المحطات الغربية ، مما يُعد أكبر إساءة للإسلام ، فوجود المحطات الإسلامية على خريطة البث المباشر مطلب ملح وضرورة حضارية ، لكن ما تقدمه هذه المحطات من مواد وبرامج .. هذا هو الأهم !!

ويجب أن تسعى الخطة الإعلامية المقترحة إلى إنشاء قمر صناعى إسلامى أو تأجيره لبث البرامج الإسلامية لمخاطبة الجاليات بما يحفظ هويتهم ويصون إيمانهم ، فمهما بذلت الدول العربية والإسلامية من جهود فى إنتاج برامج خليعة ، فلن تبارى الغرب فى هذا ، ولكن المباراة والمنافسة بإنتاج ملتزم بقيمنا وعقيدتنا .

**وشهد شاهد من أهلها :**

لا شك أن هناك مفكرين غربيين قد درسوا الإسلام فى شىء من التدبر والروية والموضوعية وأثنوا عليه ، وهم ينقسمون إلى قسمين :

( أ ) فريق أعلن إسلامه بلا مراءاة ، وجابه الرأى العام فى بيئته بعقيدته ، ثم كرس جهده للدعوة إليها .

(ب) وفريق أحب الإسلام ومدحه ، ولا ندرى ماذا أسَرَّ فى نفسه (!!) وعنهم يقول « اللورد هيدلى » : إن خوف الانتقاد ، والرغبة فى الابتعاد عن التعب الناشئ عن التغيير ، تآمرا على منعهم من إظهار معتقداتهم .

وأيّاً كان الأمر فإنه يتعين على « الإعلام الإسلامى » أن يضع فى خطته نشر وترجمة أعمال المفكرين الغربيين المنصفة للإسلام إلى اللغات الأوروبية ، ومن ذلك :

- « الكونت هنرى دى كاسترى » ، وكتابه القيم : « الإسلام سوانح وخواطر » والذى تحدث فيه بموضوعية وإنصاف ، كاشفاً للشبهات ، سواء فيما يتعلق بنبى الإسلام ، أو التعاليم الإسلامية .

- « توماس كارلايل » وكتابه - ذائع الصيت - « الأبطال » : من العار أن يُصغى أى إنسان متمدين لوهم القائلين : إن دين الإسلام كذب ، وأن محمداً ليس على حق ، لقد حانت محاربة هذه الادعاءات السخيفة المخجلة ، فالرسالة التى دعا إليها هذا النبى ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمان ، لملايين كثيرة من البشر ، فهل من المعقول أن تكون أكذوبة ، أو خديعة مخادع ؟ ولو أن التضليل والكذب يروجان هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفاً وعبثاً ، وكان الأجدر ألا توجد . هل رأيتم رجلاً كاذباً يستطيع أن يخلق ديناً ، ويتعهد بالنشر بهذه الصورة ؟ فمن الخطأ أن نعده كاذباً ، فما الرسالة التى أداها إلا الحق والصدق ، وما كلمته إلا صوت حق صادق صادر من العالم المجهول ، وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع ، ذلك أمر الله ، وفى ظنى أنه لو وُضع قيصر بتاجه وصولجانه وسط هؤلاء القوم بدل هذا النبى ، لما استطاع قيصر أن يجبرهم على طاعته ، كما استطاع هذا النبى فى ثوبه المرقع ، وهكذا تكون العظمة والبطولة والعبقرية » .

- « تولوستوى » أديب روسيا الأشهر تحدث عن الإسلام ورسوله فى إجلال وإكبار وتقدير ، فقال : « لا ريب أن نبى الإسلام من كبار الرجال المصلحين ، ويكفيه فخراً أنه هدى أمة بأسرها إلى نور الحق ، وجعلها تجنح للسلام ، وتكف عن سفك الدماء ، ومثله جدير بالاحترام والإجلال » ، ونتيجة لهذه الكلمة المنصفة حرمه « البابا » من رحمة الله (!!) فكتب الشيخ محمد عبده مخاطباً الأديب الكبير :

« .. فليس ما حصل لك من - رؤساء الدين - سوى اعتراف منهم أعلنوه للناس أنك لست من القوم الضالين » .

- « اللورد هيدلى » من كتابيه : « محمد .. المثل الكامل » ، « حياة محمد» ، حيث يقول : « إن نبى العرب ذو أخلاق متينة ، وشخصية حقيقية وُزنت واختبرت فى كل خُطا حياته ، ولم يُر فيها أقل نقص أبداً ، وبما أننا فى حاجة لنموذج كامل يفى بحاجاتنا فى خطوات الحياة ، فحياة هذا النبى تسد تلك الحاجة .

- الدكتور « جرينيه » عضو مجلس النواب الفرنسي في بداية هذا القرن - يقول : « إنني تتبعت آيات القرآن التي لها علاقة بالعلوم الطبية والطبيعية ، فوجدتها منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة ، فـ ( أسلمت ) لأنني تيقنت أن ( محمداً ) أتي بالحق الصراح قبل ألف سنة ، ولو أن كل صاحب فن من الفنون ، أو علم من العلوم ، قارن الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيداً ، كما قارنت أنا .. لأسلم بلا شك ، إن كان عاقلاً خالياً من الأغراض »[1] .

- « الفونس إتيين دينيه » الفرنسي الذى وضع كتابه : ( أشعة خاصة بنور الإسلام ) ملأه فضلاً عن إنصاف الإسلام - باللوحات البديعة من ريشته القادرة ، ذات البلاغة فى تصويرها ، والبيان فى صحتها : وله فى متحف ( لوكسمبورج ) لوحته الشهيرة ( غداة رمضان )[2] .

- القس « ميشون » فى كتابه « سياحة دينية فى الشرق : « من المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التسامح وحسن المعاملة ، وهما أقدس قواعد الرحمة عند الشعوب والأمم »[3] .

- « زيجرد هونكة » الكاتبة الألمانية التى وضعت عدة كتب منصفة للإسلام ، منها : « شمس الله تشرق على الغرب » ، وكتاب « الله ليس كمثله شيء » الذى يتصدى علمياً وموضوعياً لما يلصقه الغرب بالإسلام ظلماً أو جهلاً به ، ويبين أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يخلص الغرب من الزيف[4] .

- « أرنولد توينبى » المؤرخ البريطانى الأشهر وكتابه « العالم والغرب » يقول فيه : « إن الإسلام قد انتشر سلمياً إلى بلاد بعيدة جداً عن شبه الجزيرة

---

(١) الدكتور / عبد الحليم محمود - مرجع سابق - ص ٨٧ ، ٨٨ .
(٢) ، (٣) المرجع السابق ص ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٣ .
(٤) صحيفة المسلمون ١٢/٥/١٩٩٥ .

العربية ، مثل : إندونيسيا والصين وجنوب روسيا »[1] .

- « فيرهوفن » فى كتابه « الإسلام » يقول فيه : « رغم الاختلاف فى فهم شخصية نبى الإسلام فإن الحقيقة التى لا مراء بشأنها أن القوة الدافعة له كانت من نبع دينى خالص ، وكانت أحكامه ونظرته للأمور وللناس تُقاس بمقياس واحد لا يختل ، وهو حكم الله فيهم ، وما يصدر عنه من تعاليم »[2] .

- « هيستون سميث » فى كتابه « أديان الإنسان » يقول : « إن المسلمين فى أقل من قرن من الزمان بعد نهضتهم التى دفعهم إليها الدين الإسلامى قد أصبحوا سادة الإمبراطورية التى امتدت من سواحل المحيط الأطلسى فى أقصى الغرب إلى حدود الصين فى أقصى الشرق ، وخلال هذه الفترة اجتذبوا إلى عقيدتهم أناساً غرباء عنهم وعن جنسهم وهذا ما لم تستطعه الحضارات الأخرى ، إن هذه النهضة العربية لا نجد لها سبباً رئيسياً إلا الدين ، وهو هنا الدين الإسلامى »[3] .

- « فرتيجوف شسون » فى كتابه « فتح الإسلام » يقول : « يبدو أن الإنسان إناء ، وجاء الإسلام لملء هذا الإناء ، أولاً بالحقيقة المطلقة ، وثانياً بالقانون المطلق ، لذا فإن الإسلام فى الجوهر حقيقة وقانون ، الأولى تخاطب العقل ، والأخير هو العقيدة »[4] .

- « جوته » الشاعر الألمانى الكبير ، يقول : « إذا كان الإسلام يعنى الاستسلام لله ، فإننا جميعاً نعيش ونموت على الإسلام »[5] .

- « برنارد لويس » وكتابه « الشرق الأوسط » الصادر فى لندن فى أكتوبر ١٩٩٥ - يرصد كيف جاء الإسلام كثورة تحرير ضد أوضاع القهر التى كانت سائدة آنذاك ، فألغى طبقة رجال الدين المتحكمة ، لأنه لا رهبنة فى الإسلام والحاكم لا يرث الحكم ، وإنما يبايعه الشعب ، وأعتق العبيد ،

---

(١) ، (٢) ، (٣) الدكتور / محمد عبد العليم مرسى - الشرق الأوسط ١٩٩٥/٩/٧ .
(٤) ، (٥) مجلة الوعى الإسلامى - محرم ١٤١٣ هجرية .

وأعطى المرأة حقوقاً قانونية لم تكن قائمة فى أية دولة فى ذلك الوقت ، وتمتع غير المسلمين بالسماحة التى اتسم بها الإسلام ، بعكس ما كان سائداً فى العصور الوسطى من اضطهادِ غير المسيحيين»[1] .

- « سيديو » الفيلسوف الفرنسى فى كتابه « تاريخ العرب العام » : « إن العرب أساتذة العالم ، وزارعو بذور العلم والفنون ، وإن العالم اليوم من زرعهم يقتطف ، ولا ينكر ذلك إلا من لا يعرف الشمال من اليمين ، إن الحضارة الإسلامية قد فرضت نفسها بفضل ما لها من خصائص»[2] .

.. ومن منصفى الإسلام كذلك من مفكرى الغرب : الشاعر الفرنسى « لامارتين » والمستشرق « بورث سميث » والألمانيان : « فلفريد هوفمان ، وآن مارى شيميل » .. وفى الحقيقة إن قائمة المؤمنين بالإسلام ، أو المدافعين عنه من قادة الفكر والرأى فى الغرب تطول ، ويحتاج استعراضها لموسوعة علمية ضخمة لإيفائها حقها من البحث والتحقيق ، وهو ما لا يتسع المجال له هنا .

لذلك نعيد التأكيد على وجوب إعادة نشر هذه الأعمال الأدبية والفكرية على أوسع نطاق لإزاحة هذا التجهيل بالإسلام فى العقلية الغربية عن طريق « كتب وأعمال » مفكرى الغرب أنفسهم .

**مقترحات لتطوير التعليم الإسلامى :**

إن التعليم الإسلامى فى أوروبا لا يزال - مع الجهود المبذولة - فى حاجة إلى مزيد من الاهتمام والرعاية والتطوير ، ومما يعين على ذلك الأخذ بعوامل النجاح والتمكين ، ومن أهمها :

- الحرص على أن يتصدى لقضية التعليم أهل الاختصاص والخبرة ، لأن التعليم علم وفن لا يقبل الارتجال أو مجرد الهواية .

---

(١) محمد سلماوى : صحيفة الأهرام ١٩٩٥/١٠/٦ .

(٢) مجلة الوعى الإسلامى - عدد ٣٢١ .

– التمسك بالجدية والإتقان ، وهذا شرط لكل عمل يروم النجاح والتفوق ، وهذا الشرط يزداد تأكيداً فى الساحة الأوروبية ، حيث أن طبيعة الحياة فيها تقوم على التنظيم والدقة والإتقان .

– العمل على إيجاد دعامة مالية ثابتة تجعل التعليم الإسلامى قائماً على أساس من الاستقرار والثبات ، ولعل فى مشاريع الوقف التعليمى ما يساعد على تحقيق هذه الدعامة .

– استخدام الوسائل السمعية والبصرية الحديثة فى البرامج التعليمية .

– التعاون الأكاديمى فى المجال التعليمى مع الجامعات والمعاهد التعليمية فى الدول العربية والإسلامية وكذلك فى الدول الأوروبية نفسها للاستفادة بخبراتها فى تطوير التعليم .

– تشكيل لجنة عليا للتعليم الإسلامى على مستوى عام وشامل ، ووضع سياسة موحدة لبرامج التعليم الإسلامى ، وتحديد المناهج التى تُدرس لأبناء الجالية الإسلامية ، وتوزيع المدارس الإسلامية توزيعاً إقليمياً يفى باحتياجات الجاليات المسلمة .

– تقديم بعض المنح الدراسية لأبناء الجاليات الإسلامية فى أوروبا للدراسات الإسلامية بجامعاتها ومعاهدها لتكوين كوادر متخصصة منهم فى مجال التعليم الإسلامى فى أوروبا .

– إيجاد أنماط من المدارس الإسلامية تراعى فى مناهجها تدريس المواد الدينية بجرعات كافية إلى جانب تدريس المواد العصرية ، وذلك لتخريج جيل ناضج فى ثقافته الإسلامية ، ومؤهل مهنياً لتتاح له فرص العمل .

– تشجيع الجاليات الإسلامية على إقامة المدارس الإسلامية بالجهود الذاتية ، وتقديم العون من البلدان العربية والإسلامية في حالة قصور النفقات ، واستخدام أجزاء من المساجد للتعليم الإسلامى الأولى مما يربط التلاميذ بالمسجد ، ويقلل من التكاليف المادية المطلوبة .

## اللغة العربية .. تعليم وثقافة ودعوة :

اللغة العربية هى وعاء الثقافة الإسلامية ، وهى اللغة الوحيدة المرتبطة بالدين ارتباطاً لا انفصام له ، لأنها لغة الإسلام ، والقرآن ، والحديث ، ولغة أهل الجنة ، وهى أيضاً لغة التراث العربى الإسلامى الذى شارك فى بناء صرحه الشامخ علماء الإسلام الأفذاذ ، وكثير منهم لم تكن اللغة العربية لغتهم الأصلية ، ومع ذلك ألّفوا بلغة الضاد وصنفوا وأبدعوا آلاف الأعمال الفكرية العظيمة ، ونتيجة هذا الارتباط العضوى بين الإسلام واللغة العربية كان وجوب العمل على نشرها والتمكين لها وتوسيع نطاق تعليمها جزءاً لا يتجزأ من خدمة الإسلام : عقيدة ودعوة ، ثقافة وحضارة ، وقد كانت اللغة العربية فى العصور الوسطى بالاصطلاح الأوروبى « لغة الجنس البشرى الحضارية » فى الفترة الممتدة من منتصف القرن الثامن إلى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى ، لدرجة أنه كان يتحتم على من يريد الإلمام بعلوم وثقافة عصره أن يتعلم اللغة العربية .

لذلك فإن الاتجاه إلى نشر اللغة العربية اليوم لا يبدأ من الصفر ، فقد سبق لها الذيوع والانتشار فى العالم القديم منذ قرون عديدة ، وإنما هو عبارة عن عملية إحياء وتجديد فقط لعملية كانت قائمة بالفعل .

إن حدود الأوطان الحقيقية لا تحدها العوامل الجغرافية أو السياسية بقدر ما تحددها العوامل اللغوية من حيث سعة الانتشار للغة أو تقلصها ، لذلك فإن حدود أوطان الأمم إنما هى حدود لغتها ، فحيثما تنتشر لغة أمة « ما » فى بلاد عديدة فهى بشكل أو بآخر تعتبر حضارياً وثقافياً امتداداً طبيعياً لنفوذها الثقافى والحضارى والفكرى والروحى ، بل والاقتصادى والاجتماعى ، وقد قال الزعيم الفرنسى « ديجول » : « إن من يتحدث اللغة الفرنسية سوف يشترى البضاعة الفرنسية ، ويتعصب لكل ما هو فرنسى » .

ومن هنا فإن الأمة التى تهمل لغتها والتى تتقاعس عن نشرها ، هى أمة تحتقر ذاتها ، وتفرض على نفسها العزلة والتبعية الثقافية ، لأن اللغة ليست

إحدى العناصر المكونة للحضارة فحسب ، ولكنها الأداة المعبرة عنها .

وقد أثبتت اللغة العربية حيويتها ، وقدرتها على التطوير والتجديد ، ومواكبة التطورات في مختلف العصور منذ استطاعت أن تخرج من نطاق الصحراء وتعبيراتها الضيقة إلى عالم الحضارة الواسع لتعبر عن كل ما جدَّ في العالم الجديد من علوم وفنون ومصطلحات ، ومن ثم فهي قادرة على مواكبة أحدث التطورات في هذا العصر .

وقد أصبحت اللغة العربية اليوم من جديد لغة عالمية ، كما كانت من قبل ، فهي لغة رسمية في الأمم المتحدة والمنظمات العالمية ، لذلك فهي مطالبة بإحياء دورها الحضارى في التفاعل والحوار والتبادل الثقافي .

واللغة العربية تحظى على المستوى الأوروبى بمكانة كبيرة عند العلماء الأكاديميين وأساتذة الجامعات منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى اليوم ، غير أن تعليمها قاصر على المرحلة الجامعية ، والدراسات الأكاديمية ، ولا تتعداها إلى المجال الشعبى ، أو مراحل التعليم العام بمراحله الأولى .

**أهداف نشر اللغة العربية فى أوروبا :**

- ربط أبناء الجاليات الإسلامية بالثقافة العربية والإسلامية .

- التعريف بهوية الأمة العربية الإسلامية ، الحضارية والثقافية .

- التعريف بالتراث الفكرى والحضارى الإسلامى العريق والخصب فى إطار ترجمة روائع الفكر والإبداع الإسلامى .

- ربط صلات وعلاقات متينة ، فكرية وروحية وإنسانية مع شعوب أوروبا لإشاعة الصداقة والسلام .

والواقع أن نشر اللغة العربية فى أوروبا بين الجالية الإسلامية وفى أوساط غيرها لا يسر الصديق ، ولا يحزن العدو ، لعدم الجدية الكافية فى ذلك ، ومع ذلك فإن الأمر المدهش أن اللغة العربية لم تتوقف يوماً عن الانتشار

بدافع ذاتى ، أو تلقائى ، لكونها لغة دين وثقافة فى آن واحد ، فهى تنتشر بانتشار الإسلام ، فحيثما وُجد الإسلام وُجدت معه اللغة العربية ، لأن القرآن عربى ، وصلاة المسلم وعبادته لا تجوز إلا بالقرآن العربى ، ولا يمكن لأى مسلم أن يحفظ القرآن إلا إذا عرف العربية فى شكل محدود بسيط .

**مقترحات لنشر اللغة العربية :**

إن الضرورة الثقافية والحضارية تقتضى تكثيف الحضور العربى الثقافى فى أوروبا من خلال القيام بعمل مخطط مدروس لنشر اللغة العربية على مستويين : **أولهما** : الجاليات الإسلامية ، **وثانيهما** : مستوى الراغبين من غير العرب والمسلمين من الأوروبيين فى تعلم اللغة العربية والاطلاع على الثقافة الإسلامية ، وهناك نشاط محمود فى هذا المجال ، ولكن يتعين تطوير هذه الجهود وتنسيقها لتثمر الثمرة المرجوة ، ونقترح فى هذا المجال ، ما يلى :

- تدريس العربية كمنظومة متكاملة من خلال نصوص عربية ومواد سمعية وبصرية تُبنى على الجوانب اللغوية والمعرفية والثقافية والحضارية الإسلامية .

- إعداد متخصصين فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها على أسس علمية متطورة وعقد دورات تدريبية لهم ، ليكونوا قادرين على تعليم العربية لغير ناطقيها ، ووضع المناهج ، وإعداد النصوص والكتب العلمية وإنتاج الوسائل التعليمية والإشراف التربوى والتوجيه المهنى .

- إجراء البحوث الأساسية المعينة على تيسير تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .

- تصميم المناهج ، وتأليف النصوص المتدرجة المستويات والمتعددة الأغراض ، ووضع المعاجم المتدرجة الميسرة المعينة على التعليم والتعلم .

- كتابة اللغات المتصلة بالحضارة الإسلامية بالحرف العربى ، والجدير بالذكر أن العديد من اللغات كاللغة التركية واللغة التتارية - كانت تُكتب

فى الماضى بالحرف العربى ، وكذلك اللغة الإندونيسية وبعض اللغات الأفريقية ، قبل أن يعمل أعداء الإسلام على طمسها ، وإحلال الأحرف اللاتينية محلها .

– الالتزام بالفصحى الميسرة فى المرحلتين الابتدائية والمتوسطة ، والتدرج إلى تدريس الأدب ونحوه بعد ذلك .

– تشجيع إنتاج برامج علمية تعليمية للغة العربية ، تُوظَّف فيها التقنية الحديثة ( حاسب ، فيديو ... إلخ ) يستفيد منها مدرسو وطلاب المناهج اللغوية .

– دعم برامج الدراسات الإسلامية واللغة العربية فى الجامعات والمعاهد الأوروبية بالإمكانات اللازمة والقدرات المؤهلة التى تضمن تدريس المواد الإسلامية واللغة العربية وعرضها عرضاً مبنياً على تأصيل علمى صحيح ، ومنهج سليم شامل ، وتتولى بعض المؤسسات الإسلامية أمر الإشراف والمتابعة .

– دعم الكتاتيب القرآنية المنتشرة بمساجد أوروبا ، لأنها فضلاً عن تحفيظها النشء القرآن الكريم فهى فى نفس الوقت تدعم تعليم اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم .

– الجمع بين اللغة العربية والتربية الإسلامية فى إطار متجانس ، بحيث يتم التركيز على الربط المنهجى بين المادتين فى آن واحد ، وفى إطار من التكامل بينهما .

– السعى إلى إيجاد كفاءات محلية فى الواقع الأوروبى من أبناء الجالية الإسلامية يتم تكوينها جيدًا ، وتلقينها المهارات الفنية والأساليب التعليمية لتتولى هى فى محيطها وبيئتها القيام بتعليم اللغة العربية .

– قيام محطات التليفزيون – والإذاعة – الفضائية العربية الموجهة إلى أوروبا ببث برامج تعليمية ميسرة للغة العربية للجاليات الإسلامية ، وللأوروبيين الراغبين فى الانفتاح على الثقافة العربية والإسلامية .

- الاستفادة بتجارب الآخرين فى تعليم اللغة العربية ، حيث إن لتعليم اللغة الإنجليزية أكثر من مؤلف ، وأكثر من برنامج مشرق تقدمه إذاعة لندن بأساليب وطرق شتى جذابة تخاطب به مستويات متباينة يوجه إلى الناطقين بغير الإنجليزية ، والذى يفوته سماع هذه البرامج يمكنه الحصول بسهولة ويسر على تسجيلات وكتب وشرائط فيديو بأسعار مدعومة ، هذا عدا المراكز الثقافية والمؤسسات المنتشرة فى أنحاء العالم ، والتى يشرف عليها متخصصون لغويون فى التربية والتعليم وتحديد المستويات وتقديم القدر الملائم بالصوت والصورة والكلمة المقروءة حسب الظروف ، وليس حال اللغة الفرنسية ، أو اللغة الألمانية ومعاهد « جوته » بأقل شأناً واهتماماً من اللغة الإنجليزية والحرص على نشرها .. لذلك يتعين أن نستعين بهذه التجارب المفيدة حتماً فى مجال تعليم اللغة العربية .

**اللغة العربية .. والدعوة الإسلامية :**

تبرز أهمية اللغة العربية من خلال كونها لغة القرآن الكريم وأهميتها للداعية على نحو خاص ليتوافر له الفهم الدقيق المبنى على العلم قبل العمل ، والقائم على تدبر معانى القرآن الكريم وأحكامه ، وفهم السُّنة النبوية ، ومعرفة دقائق التفسير المهمة للداعية ، وإدراك المقاصد فى القرآن والسُّنة ، فضلاً عن أهمية العربية لمن يريد الإفتاء لمعرفة دلالات الألفاظ فى الأدلة الشرعية ، وغير ذلك من الغريب والمجاز والدلالات البلاغية .

ويقول شيخ الإسلام « ابن تيمية » عن حكم تعلم العربية من المسلمين غير الناطقين بها : « ينبغى لكل أحد أن يتعلم اللغة العربية لأنها اللسان الأَوْلى بأن يكون مرغوباً فيه من غير أن يُحَرَّم على أحد أن ينطق بالأعجمية » ، وقوله أيضاً : « إن نفس اللغة من الدين ومعرفتها فرض واجب ، فإن فهم الكتاب والسُّنة فرض ، ولا يُفهم إلا بفهم العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به ، فهو واجب » .

والواقع أن الجاليات الإسلامية فى أوروبا تفتقر إلى الداعية الإسلامى القادر على مد جسور التفاهم والثقة معهم ، خاصة أن كثيراً من الدعاة هناك لا يجيدون اللغات الأوروبية ، فيقتصر دورهم على قراءة القرآن ، وإمامة الصلاة .. وهذه هى كل مهام الدعوة !!

والحقيقة أن هذه الجاليات بحاجة ماسة إلى فهم صحيح للدين لتتمكن من الصمود أمام الحملات التنصيرية من جهة ، وحملات الإبادة والضغوط الداخلية من ناحية أخرى ، وهذا ما يلقى بالعبء على المؤسسات والمنظمات الإسلامية العاملة فى أوروبا أو العالم العربى والإسلامى فى ضرورة تخريج دعاة يجيدون اللغات الأجنبية .

وبعد .. فإن تعليم اللغة العربية لأبناء الجاليات الإسلامية وغيرهم يجب أن تتضافر لتحقيقه كافة الجهود .

* * *

# الفصل الثالث

## دعم جهود التنسيق والتكافل فى أوساط الجاليات الإسلامية فى أوروبا

## دعم جهود التنسيق والتنظيم

تعرفنا من خلال « باب المشكلات » على العديد من المصاعب والمشاكل التى تجابه الجاليات الإسلامية فى القارة الأوروبية نتيجة التفرق وغياب التنسيق ، بل والصراع أحياناً بينها ، وذلك لتقديم الولاء القومى على الولاء للعقيدة .

لذلك - ولكى نقضى على السلبيات الخطيرة الناتجة عن هذه الظاهرة المنكورة - يتعين أن يكون الولاء للإسلام ، وللإسلام وحده ، وليس للقوميات والعصبيات ، قال الشاعر المسلم :

أبى الإسلام لا أب لى سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

فمشكلة الولاء للقومية الضيقة تحد كثيراً من كيان الشخصية المسلمة ، وإنشاء المؤسسات القومية هى عملية تؤدى بالتأكيد إلى التنافر بين أبناء الجاليات الإسلامية فى بيئات المهجر - أوروبا - ، فيجب إلغاء القوميات ، أو تقديم الانتماء للإسلام عليها ، أو دمج القوميات فى الشخصية المسلمة ، لأن الإسلام لا يعرف العصبيات ، ولا يفضل جنساً على آخر ، فالكل فى عرف الإسلام سواسية بحيث يجب أن تسود روح الأخوة الإسلامية .

ولتحقيق هذا الغرض الأولى من حيث الانتماء للعقيدة قبل أى شىء ينبغى توحيد الهيئات والمؤسسات والجمعيات والمنظمات الإسلامية ، ففى البلدان الأوروبية يأخذ العديد منها صبغة قومية ، بحيث ينشطرون إلى مجموعات متناثرة متنافرة ، ويدخلون فى صراعات بعضهم مع بعض لا مبرر لها ، وهذا يؤدى إلى عدم فاعلية الجهود المبذولة .

فتوحيد الهيئات الإسلامية فى شكل منظمة عامة تشرف على هذه الهيئات والمنظمات المختلفة سوف يدفع العمل الإسلامى حتماً قُدماً إلى الأمام لتحقيق نتائج طيبة تعود بالنفع العام على جميع أبناء الجالية الإسلامية

فى أوروبا ، وليكن هذا التوحيد والتكتل على غرار المجلس القارى الأوروبى للمساجد - الذى أشرنا إليه في الحديث عن النشاط الإسلامى فى بلجيكا فى الفصل الأول من الباب الأول - وقد نجحت تجربته ، فلماذا لا يظهر تنظيم إسلامى عام يشرف على جميع الأنشطة الإسلامية بالقارة الأوروبية ، على أن يكون هذا التنظيم تنظيماً هرمياً تُمَثِّل الهيئة المقترح إنشاؤها والتى تنضوى المؤسسات الإسلامية الأخرى تحت لوائها - تمثل - قمة هذا التنظيم الهرمى الذى يتفرع بعد ذلك إلى تنظيمات تمثل قطاعات على مستوى الوحدات السياسية فى القارة الأوروبية ( غرب أوروبا - شرق أوروبا - وسط ، شمال ، جنوب ) ثم تخضع لهذه التنظيمات - الممثِّلة للقطاعات الجغرافية المختلفة - الهيئات والمنظمات الإسلامية فى مختلف الدول الأوروبية التى تُمثِّل بتنظيم إسلامى واحد لكل دولة أوروبية على حدة ، فيكون هناك تنظيم إسلامى يضم الهيئات الإسلامية العاملة فى المملكة المتحدة ، وتنظيم إسلامى يضم كافة الهيئات الإسلامية فى فرنسا ، وآخر فى ألمانيا .. إلى آخر الدول الأوروبية .

ولأن الإسلام يَجُبُّ الاختلافات العرقية ، ويسمو فوق النزعات القومية والعنصرية ، فقد ساد وانتشر بين كافة شعوب الأرض قاطبة ، يقول الله تعالى : ﴿ **واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون** ﴾ [ سورة الأنفال : الآية ٢٦ ] .

﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [ سورة الحجرات : الآية ١٣ ] .

كما يقول تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾ .
[ سورة آل عمران الآية : ١٠٣ ]

ويقول الرسول ﷺ : « الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » .

فكيف تكون هذه مبادئ الإسلام والجاليات الإسلامية تتشتت فى بلاد المهجر أمام العصبيات والقوميات والشعوبية والقبلية ؟! ولكى يكون دور الجاليات الإسلامية فاعلاً ومجدياً ينبغى نبذ هذه التيارات المتفرقة ، فكثرة الهيئات الإسلامية فى البلد الواحد ، وفى المدينة الواحدة ، وأحياناً فى القرية الواحدة والمصنع الواحد فى بلدان المهجر أمر مكروه وممجوج ، فكيف يكون موقف الجالية الإسلامية فى بلد أوروبى ما عندما تتقدم أكثر من جهة إسلامية لتطالب حكومتها بقطعة أرض ما لبناء مسجد عليها ، فلأى جهة منها تمنح الحكومة الأرض ؟!

ومن أسف أن تصل الخلافات بين هذه الهيئات إلى عرض منازعاتهم أمام قضاء الدول الأوروبية ، مما يسئ لهم وللإسلام فى آن واحد .

لذلك يجب الأخذ بالاقتراح المذكور بتوحيد هذه الهيئات من خلال هيئة إسلامية واحدة ، وسوف يترتب على هذا التنظيم والتكتل والتوحيد لجهودهم المتفرقة أن يقفوا صفاً واحداً للمطالبة بحقوقهم القانونية - التى تتمتع بها الأقليات الأخرى ، كاليهود - من سلطات الدول الأوروبية ، التى ستعمل حساباً لتكتلهم هذا .

كذلك من إيجابيات الوحدة وتنسيق المواقف بين الجاليات الإسلامية أن تحشد أصواتها لانتخاب شخصيات إسلامية منها تمثلها فى المجالس التشريعية والنيابية فى الدول الأوروبية ، مما قد يساهم فى اعتراف الدول الأوروبية بالدين الإسلامى الذى يدعم الوجود الإسلامى هناك ، ويحقق له مكاسب عديدة تتمثل فى منح امتيازات فى بناء المساجد والمراكز الإسلامية والمدارس الإسلامية ، فضلاً عن الاعتراف بتشريعات الأحوال الشخصية للمسلمين فى شئون الزواج والميراث ، وكذلك الاعتراف بأعياد المسلمين ومنحهم إجازات بأجر فيها ، ومنحهم إجازة كذلك - أو السماح بوقت مناسب على الأقل - لأداء صلاة الجمعة ، وكذلك بتيسير ذبح المواشى

حسب الشريعة الإسلامية حتى يتناولوا طعاماً حلالاً كما أمر دينهم ، وتيسير إنشاء مقابر خاصة لدفن موتى المسلمين.

ويترتب على وحدة الكلمة والموقف بين الهيئات الإسلامية فى أوروبا أن تتحد كلمتها فيما يتعلق بتحديد مواقيت الصلاة ، وأوائل الشهور العربية ، خاصة شهرى رمضان وشوال ، لاحتفالهم بالعيد فى وقت واحد ، واتخاذ رأى واحد فيما يتصل ببعض المشاكل والمسائل الفقهية التى قد تثير خلافاً عن طريق مجلس فقهى معتمد .

كل هذه الإيجابيات يمكن أن تحدث فى حالة توحيد الجهود الإسلامية ، على أن هذا التنسيق والتنظيم ووحدة المواقف ، لن تتم إلا بتحقيق أمرين فى البداية ، هما :

- أن تكف دول العالم العربى والإسلامى عن التدخل السلبى فى شئون هذه الجاليات وبذر بذور الشقاق والنزاع بينها ، رابطة أى مساعدة مالية أو سياسية بتبعيتها فى مواقفها لنظامها .

- أن تسعى الجاليات الإسلامية بقدر المستطاع على أن يكون جل اعتمادها فى ممارسة أنشطتها على الجهود الذاتية لأبنائها ، وحتى تتلافى أى تدخل فى شئونها من الجهات المانحة داخلياً وخارجياً .

* * *

## نظام الوقف الإسلامى .. وتحقيق التكافل

تحدثنا فى السطور السابقة فى نهاية الصفحة السابقة عن وجوب اعتماد الجاليات الإسلامية على الجهود الذاتية فى مختلف أنشطتها حتى تتجنب التدخل فى شئونها من الجهات الممولة .

– ويعتبر نظام « الوقف الإسلامى » من أهم الأنظمة التى اعتمدها السلف الصالح من المسلمين قديماً لتحقيق التكافل بين أبناء المجتمع الإسلامى من ناحية ، ولدعم مؤسساتهم الدينية والتعليمية والاجتماعية من ناحية أخرى ، بما يحقق لهم الاستقرار والاستمرار .

وفى الحقيقة فإن الوقف الإسلامى فى أوروبا بات ضرورة ملحة بسبب طبيعة المشكلات والمخاطر التى تحيط بالمسلمين هناك ، وما يحتاجونه على ضوء ذلك من مؤسسات إسلامية فعالة فى مختلف المجالات ، وما يتطلبه ذلك من إمكانيات وموارد مالية كبيرة غير متوافرة غالباً ، وإذا توافرت أحياناً تكون مرتبطة بشروط من يدفع ، فلا حلَّ لتلبية هذه المطالب الدائمة بعيداً عن الشروط المملاة ، إلا بوجود وقف إسلامى ثابت ، يأخذ مبرراته من العوامل التالية :

١ – استقرار المسلمين فى أوروبا من المهاجرين المقيمين والمتجنسين أو المواطنين المسلمين الأصلاء من أهل البلاد ، يتعين معه التفكير الجاد فى إقامة مؤسسات إسلامية ثابتة تحمى وجودهم .

٢ – حداثة الوجود الإسلامى خاصة فى أوروبا الغربية يستدعى بناء كثير من المؤسسات الإسلامية ( مساجد – مدارس ) بعكس النصارى واليهود فلديهم مؤسساتهم التى ورثوها عن أجدادهم .

٣ – المخاطر الكبيرة التى تهدد الجيلين الثانى والثالث من أبناء الجالية

الإسلامية فى أوروبا من محاولات طمس الهوية ، وذوبان الشخصية بسبب غياب التعليم الإسلامى ، وهذا يلزمه نفقات باهظة لإقامة المؤسسات التعليمية .

٤ – حاجة المؤسسات الإسلامية القائمة إلى سند مالى ثابت لا يعتمد فحسب على التبرعات العارضة التى ليس لها طابع الاستمرارية ، مما قد يترتب عليه عدم استكمال أو توقف بعض المشروعات الإسلامية القائمة أو التى فى سبيل الإنشاء .

**مجالات الوقف :**

يتعين بناء قاعدة اقتصادية خيرية – انطلاقاً من نظام الوقف الإسلامى – تقوم على إنشاء وتطوير ودعم المؤسسات الإسلامية فى مختلف المجالات مثل :

– إنشاء مدارس إسلامية خاصة لحماية أبناء الجاليات الإسلامية من الذوبان فى المجتمعات الأوروبية والحفاظ على ذاتيتها وثقافتها .

– إقامة معاهد وكليات متخصصة فى مجال الدراسات الإسلامية والشريعة واللغة العربية .

– تخصيص منح لغير القادرين على متابعة الدراسة .

– إنشاء مؤسسات إعلامية من خلال « صندوق وقفى إعلامى » لدعم العمل الإعلامى الإسلامى من خلال محطات بث تليفزيونية وإذاعية وصحف ودور نشر ، لمواجهة الحملات الإعلامية الحاقدة والمنظمة ضد الوجود الإسلامى فى أوروبا .

– إنشاء دور حضانة للأطفال ، ودور أخرى لرعاية المسنين المسلمين ، وكذلك إنشاء دور لرعاية الأيتام ، وأخرى لرعاية المعوقين المسلمين .

– إنشاء « صندوق وقفى » خاص بإنشاء المساجد والمراكز الإسلامية ودور لتحفيظ القرآن الكريم وعلومه .

- تأسيس شركات استثمارية إسلامية لإنشاء بعض المشروعات من خلالها يعمل فيها أبناء الجاليات الإسلامية العاطلين عن العمل للقضاء على ظاهرة البطالة فى صفوفهم .

- المساهمة فى نفقات زواج الفتيان والفتيات من أبناء الجالية الإسلامية من غير القادرين وذلك تحصيناً لهم من الوقوع فى براثن الرذيلة التى يزخر بها المجتمع الأوروبى من ناحية ، والحيلولة دون الزواج المختلط بسلبياته التى عددناها فى « باب المشكلات » من ناحية أخرى .

هذه هى أهم مجالات الوقف التى يتعين تغطيتها ، إلا أنه ينبغى أن يتم ترتيب تنفيذ هذه المجالات ضمن أولويات محددة ، وبأسلوب يعتمد التدرج المدروس ، على أن يكون الإنفاق عليها فى ضوء الموارد والمصادر المتاحة من الوقف بمعنى أن يحدث تنظيم بين مداخل الوقف وبين المشاريع الموقوف عليها .

**مصادر الوقف :**

إن إحياء سنة الوقف الإسلامى ، وتفعيل دوره فى خدمة الجاليات الإسلامية فى أوروبا يقتضى تغطية « مجالات الوقف » التى ذكرناها فى السطور السابقة ، وذلك من خلال مصادر الوقف التالية :

- ما ترصده الدول العربية والإسلامية والمؤسسات الخيرية الإسلامية - وغيرها - فى العالم العربى والإسلامى وفى أوروبا ، وتبرعات الأفراد من أهل البر والإحسان .
- تبرعات وقروض أعضاء هيئة الوقف .
- قروض حسنة تدفع إلى الوقف الإسلامى لفترات محددة .
- الأوقاف الخيرية التى تسجل باسم أصحابها - فى بلدان العالم العربى والإسلامى أو البلدان الأوروبية - ويُرصد ريعها لمصلحة الجاليات الإسلامية فى أوروبا .

- ضرورة الاستفادة من الأعمال التطوعية الخيرية فى أوروبا .

- فتح فرص لذوى الدخول المحدودة - وكذلك المرتفعة - للمشاركة فى الوقف الخيرى عن طريق طرح أسهم وقفه .

- تطوير صرف ريع الأوقاف ، وذلك بالتركيز على دعم المشاريع ذات العائد الاجتماعى العالمى مع الالتزام الدقيق بالمقاصد الشرعية للوقف وأهداف الواقفين .

- تنمية ريع الأموال الموقوفة من خلال إدارة أستثمارية محترفة .

- تسهيل المشاركات والمساهمات المختلفة لتكوين صناديق وقفية جديدة لتغطية مجالات أخرى فى حاجة إلى الدعم الثابت .

- يتعين لضمان استمرارية مصادر الوقف واستقرارها ضرورة بناء الثقة بين جمهور الواقفين وأمانة الوقف من أجل إنجاح التجربة وترسيخها وتطويرها ، ويجب توثيق الصلة بالواقفين ومتابعة تزويدهم بالمعلومات والبيانات الخاصة بالأصول الموقوفة .

ولن يتحقق ذلك إلا بإنشاء جهاز حديث متطور لإدارة الوقف واستثمار الأموال الموقوفة وفق الصيغ العصرية ومراعاة تحقيق التوازن بين « مجالات الوقف » و « مصادر الوقف » .

* * *

# الفصل الرابع

## الحوار والتفاهم .. وتصحيح صورة الإسلام

## أولاً : الحوار والتفاهم

لقد أصبح الحوار فى عالم اليوم ضرورة مهمة من ضرورات العصر من أجل التغلب على المشكلات الواقعية لعالمنا على جميع المستويات ، بل يعد الحوار بين أهل الأديان فى كثير من الأحيان بمثابة الخلفية لبقية المشكلات ، لما للدين من تأثير عميق فى نفوس الناس ، ومن هنا فإنه لا يمكن عزل الحوار بين الأديان السماوية الكبرى عن ألوان الحوارات الأخرى ، لأنه يتشابك معها بطريقة أو بأخرى تشابكاً ظاهراً أو خفياً ، أردنا أو لم نرد ، والحوار بهذا المعنى يُعد أيضاً جزءاً لا يتجزأ من الحوار بين الحضارات .. فالحضارات فى كل مكان فى العالم قامت على أساس دينى ، وإذا كان عالمنا يتجه إلى الحوار على المستويات الأخرى ، فمن باب أولى ينبغى أن يكون الحوار موجوداً على المستوى الدينى بهدف القضاء على الكثير من مظاهر الصراعات التى يلعب فيها الدين دوراً خطيراً[1] .

**الحوار والتفاهم .. نماذج وأمثلة :**

اتخذ الحوار والتفاهم أشكالاً عديدة ، فمن حوار عربى أوروبى ، إلى حوار بين الشمال والجنوب ، إلى حوار بين الشرق والغرب إلى حوار إسلامى مسيحى .

ويمكن القول بأن الحوار له جذور تعود إلى قرون بعيدة ، على أن أولى محاولات بعث هذا الحوار والتفاهم ترجع إلى عام (١٩٠١) فى مؤتمر «أدنبرج» للتبشير حيث نادى بعض المشاركين فيه بمراجعة نظرة المسيحيين إلى المؤمنين بالأديان السماوية الأخرى ، ومنها الإسلام ، وبعد فترة من الخمول ، ومنذ عشرين عاماً عقدت مؤتمرات للحوار وتعددت على نحو

---

(١) الدكتور / محمود حمدى زقزوق .. الأهرام ١٩٩٥/١١/٣ .

متقطع ، إلا أنه خلال السنوات القليلة الماضية من بداية هذا « العقد التسعينى » تزايدت هذه المؤتمرات والندوات الحوارية بصورة ملفتة ، وهذه نماذج وأمثلة لها :

– فى ٢٣ من نوفمبر (١٩٩٠) اختتمت فى جمهورية « مالطة » ندوة الحوار الإسلامى المسيحى تحت عنوان : « التعايش بين الأديان : الآفاق والواقع) وذلك بمقر المركز الثقافى الإسلامى ، وذلك فى إطار اللقاءات الحوارية التى تنظمها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، والمجلس البابوى للحوار بين الأديان بالفاتيكان ، وشارك فى الندوة خمسة عشر من المهتمين بالحوار ، ترأس الوفد الإسلامى الدكتور / محمد الشريف أمين عام جمعية الدعوة الإسلامية ، وترأس الوفد المسيحى الكاردينال « إرينزى »[١] .

– وفى ١٠ من أكتوبر (١٩٩٤) اختتمت فى العاصمة السودانية « الخرطوم » أعمال المؤتمر الذى انعقد تحت عنوان « حوار الأديان .. سلام للجميع »[٢] .

– وفى ١٣ من يونيو (١٩٩٥) اختتمت فى العاصمة السويدية ( استكهولم ) أعمال مؤتمر « الحوار بين الإسلام وأوروبا » ، وتقرر عقد المؤتمر القادم فى جامعة « آل البيت » بالأردن[٣] .

– وفى ٧ من يوليو (١٩٩٥) انعقد فى العاصمة الأردنية ( عمان ) مؤتمر تحت عنوان : « المسلمون وحوار الحضارات فى العالم المعاصر » وقد شارك فيه ٨٠ مفكراً[٤] .

– وفى أغسطس (١٩٩٥) وفى نطاق الحوار العربى الأوروبى انعقدت

---

(١) مجلة رسالة الجهاد – عدد ٩٥ – يناير ١٩٩١ .
(٢) صحيفة الشعب – ١٩٩٦/١/١٩ .
(٣) صحيفة المسلمون ١٩٩٥/٦/١٩ .
(٤) صحيفة الشرق الأوسط ١٩٩٥/١٠/٧ .

فى العاصمة البرتغالية ( لشبونة ) دورة دراسية تحت عنوان : «أى مستقبل لحوض البحر المتوسط والاتحاد الأوروبى» اشترك فيها باحثون عرب وأوروبيون ، منهم الرئيس البرتغالى ( ماريو سواريش ) [١] .

- وفى أغسطس (١٩٩٥) افتتح الأمير حسن ولى عهد الأردن ورشة عمل أكاديمية حول النظرة التاريخية المتبادلة بين الإسلام والمسلمين من جهة ، وبين المسيحية والمسيحيين من جهة أخرى [٢] .

- وفى سبتمبر (١٩٩٥) وتحت عنوان : « الإسلام والغرب .. ومفاهيم وحقائق المجتمعات المتعددة » عقد مركز دراسات الإسلام والعلاقات المسيحية الإسلامية فى جامعة ( برمنجهام ) البريطانية ندوة شارك باحثون مسلمون وأوروبيون ، وتناولت مكانة الأقليات الدينية فى المجتمعات العربية والأوروبية [٣] .

- وفى نوفمبر (١٩٩٥) افتتح فى العاصمة الهولندية ( لاهاى ) برعاية رئيس محكمة العدل الدولية - القاضى الجزائرى محمد بجاوى ، وممثلين عن الاتحاد الأوروبى والبنك الدولى والجامعة العربية ومندوبين عن عدد من بلدان الشرق الأوسط أعمال الدورة السادسة لمؤتمر الحوار العربى الأوروبى للتعاون والتبادل الأكاديمى والتربوى بين أوروبا والشرق الأوسط [٤] .

- وفى ٢٧ من نوفمبر (١٩٩٥) انعقد فى العاصمة الأسبانية ( برشلونة ) مؤتمر الشراكة الأوروبية المتوسطية ، شاركت فيه ١٢ دولة متوسطية ، ودول الاتحاد الأوروبى الخمس عشرة [٥] .

وهذا المؤتمر يواكب ما حدث فى نفس التاريخ (٢٧ نوفمبر) قبل ٩٠٠ سنة تماماً سنة (١٠٩٥) ، حين دعا البابا ( أوروبان الثانى ) بالقرب من برشلونة - مكان المؤتمر - إلى أولى الحملات الصليبية .

---

(١) ، (٢) صحيفة الشرق الأوسط ٨/٢٠ - ١٩٩٥/٨/٢٤ .

(٣) صحيفة الأهرام : ١٩٩٥/٩/٢٠ .

(٤) ، (٥) صحيفة الحياة : ١١/٦ - ١٩٩٥/١٢/٨ .

– وفى ٦ من ديسمبر (١٩٩٥) انعقد مؤتمر مغلق تحت عنوان : « الحوار الأوروبى مع الحضارات الإسلامية » وذلك فى العاصمة البريطانية (لندن) وشارك فيه « فدريكومايور » مدير منظمة اليونيسكو ، فضلاً عن أكاديميين من أوروبا والعالم الإسلامى [١] .

– وفى ديسمبر (١٩٩٥) عقد المعهد الجامعى « سور أروزلا » بمدينة نابولى الإيطالية مؤتمراً للحوار بين الديانات السماوية الثلاث : الإسلام والمسيحية واليهودية برعاية الرئيس الإيطالى تحت عنوان : « التوحيد والنزاع : سبيل الوقاية وحل النزاع بين الأديان التوحيدية الثلاث فى حوض البحر المتوسط » وشارك فى هذا المؤتمر ممثلاً عن الأزهر الدكتور محمود حمدى زقزوق نائب رئيس جامعة الأزهر – وزير الأوقاف فيما بعد فى مصر [٢] .

– وفى بداية يناير (١٩٩٦) انعقد فى مدينة « بيل » بسويسرا مؤتمر للحوار الإسلامى المسيحى ، نظمته الأكاديمية السويسرية للتنمية ومؤسسة المعهد السويسرى ، شارك فيه ١٠٠ من علماء الإسلام والمسيحية ومنهم علماء ممثلون للأزهر الشريف [٣] .

**موقف الإسلام من الحوار :**

لقد كان القرآن سباقاً فى دعوته إلى الحوار فى قوله تعالى : **﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾** [ آل عمران : ٤٦ ] ، ولم يكتف القرآن الكريم بالدعوة إلى الحوار ، بل رسم أيضاً منهج هذا الحوار : **﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ﴾** [ العنكبوت : ٦٤ ] ، **﴿ وإنا أوإياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ﴾** [ سبأ : ٢٤ ] ، **﴿ فقل تعالوا نَدْعُ**

---

(١) صحيفة الحياة : ١١/٦ – ١٩٩٥/١٢/٨ .
(٢) صحيفة الأهرام ١٩٩٥/١٢/٢٢ .
(٣) صحيفة الشعب : ١٩٩٦/١/٥ .

**أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾** [ آل عمران : ٦١ ] ، فحتى حين أخفق الحوار لم تُعلن الحرب على المخالفين ، ولم تصوب لهم المطاعن ، بل جاء الاقتراح « بالمباهلة » بالدعاء إلى الله تعالى أن يعاقب الطرف الكاذب - وهو معروف سلفاً دون ذكره أدباً للحوار - باللعنة ، كما يقول تعالى : **﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير ﴾** [ الشورى : ١٥ ] ، **﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾** [ الكهف : ٢٩ ] ، **﴿ لا إكراه في الدين ﴾** [ البقرة : ٢٥٦ ] ، **﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء ﴾** [ البقرة : ٢٧٢ ] ، **﴿ لكم دينكم ولى دين ﴾** [ الكافرون : ٦ ] .

وقد تحاور الرسول ﷺ مع وفود مسيحية ، وبصفة خاصة مع وفد نصارى نجران الذى قدم إلى « المدينة المنورة » برئاسة أسقفهم أبى الحارث .

بل إن الرسول الكريم قد عقد معاهدة مع اليهود حين هاجر إلى المدينة ، كما أرسل العديد من الرسائل إلى الملوك والأكاسرة والقياصرة .

وعلى امتداد التاريخ الإسلامى حيث كانت السلطة والقوة بأيدى المسلمين ظل الحوار مستمراً بين المسلمين وأهل الكتاب ، وألّف المسيحيون - وكذلك اليهود - كتباً عديدة دفاعاً عن دينهم ، وجدالاً مع المسلمين ، بل وهجوماً على الإسلام أحياناً ، واتسعت صدور المسلمين - غالباً - لذلك كله ، وقد كان المسيحيون يضيقون باليهود ذرعاً ويضطهدونهم كثيراً ، فكان المسلمون هم الذين يحمونهم ، وربما كان حال اليهود فى الأندلس مثالاً جيداً على ذلك ، فقد أنقذهم المسلمون من اضطهاد المسيحيين لهم .

وانقطع الحوار أحياناً بسبب الاعتداء على المسلمين واندلاع القتال ، كما حدث مع الروم الذين قتلوا سفير رسول الله ﷺ « دحية الكلبى » فى عهد « هرقل » .

والحديث عن الحوار يفترض فيه وجود فرقاء متعددين يدور بينهم حوار ، ومن ثم فإذا لم تكن هناك قناعة بالتعددية يستحيل الحديث عن أى لون من ألوان الحوار ، والإسلام يرى التعددية ليست مجرد حق من حقوق الإنسان ، وإنما يراها سنة من سنن الله فى الكون البشرى ، حيث تنفرد الذات الإلهية وحدها بالوحدانية ، وما عدا الله سبحانه وتعالى يقوم على الإزدواج والتعدد يقول تعالى : ﴿ **ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم** ﴾ [ هود : ١١٨ - ١١٩ ] ، والمفسرون يقولون : أى للاختلاف خلقهم ، فالأصل والعلة أن يكون هناك تعدد ، وأن يكون هناك اختلاف ، وأن يكون هناك فرقاء ، هذا هو التأسيس لقضية الحوار بين المسلمين وغيرهم ، التعدد أيضاً إسلامياً موجود فى الشرائع وفى المناهج ، وإذا كان دين الله واحداً ، فشرائعه متعددة ، والتعدد فى الشرائع والمناهج يقتضى التعدد فى الحضارات ، والإسلام حدد قانون العلاقات الدولية وقانون العلاقة بالآخر فى آيات الممتحنة : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** ﴾ [ الممتحنة : ٨ ] ، فلا قتال إلا لمن يخرجنا من ديارنا ، أو يقاتلنا فى ديننا ، وكل آيات القتال إذا تتبعناها فى القرآن الكريم تتحدث عن الإخراج من الديار وعن القتال فى الدين ، إذاً : الموقف الدينى من الآخر موقف البر والعدل والقسط طالما أنه لا يفتننا عن ديننا ، وأسلوب العلاقة بالآخر يحددها القرآن الكريم ، فنحن مطالبون كشرط لإيماننا أن نؤمن بالكتب والرسالات السابقة ، قال تعالى : ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾ [ البقرة : ٢٨٥ ] ، هذه أسس الإسلام فى الاعتراف بالآخر الدينى ، وفى أساليب ومعايير العلاقة بهذا الآخر [١] .

---

(١) الدكتور / محمد عمارة - الأهرام أول فبراير ١٩٩٦ .

**دوافع الحوار وأهدافه :**

إننا فى أعين بعض أهل الغرب مجرد غزاة خرجوا من الصحراء لكى يسيطروا على العالم وليسفكوا الدماء، ويهدموا الحضارات ، وفى أعين بعضهم الآخر لسنا إلا هرطقة من هرطقات المسيحية المنشقة عنها ، ومن وجه ثان نحن نبدو لهم أصحاب دين لا يهدف إلى هداية البشرية بقيم الأخلاق والروح والسلم بقدر ما يهدف إلى احتياز السلطة السياسية ، والقوة العسكرية لممارسة الإكراه والضغط والعدوان ، ومن وجه ثالث لا يرى فينا الغلاة من أهل الغرب ، إلا برابرة معادين لقيم الحرية والمساواة والكرامة والعدالة الإنسانية وحقوق الإنسان ، لا نعبد الله بقدر ما نعبد الجنس والشهوة والاستبداد والخنوع أيضاً .

أما الغرب فى أعيننا فيتمثل فى نزعة الهيمنة والسيطرة ، وفى العداء المبيت المنظم والتآمر على مشاريعنا وتطلعاتنا ، ولا نتصور الغرب إلا فى مسوح المادية الصارخة ، وفى العلمانية المعادية للدين ، وفى الليبرالية وفى الفساد الأخلاقى والاجتماعى ، وأمور كثيرة لا تثير فى نفوسنا إلا النفور والعداء والكراهية ، كل هذا وذاك يُقال من هذا الطرف أو ذاك ، ولا يخفف من حدة ذلك إلا تلك الجهود المحدودة التى لا يدخر أصحابها وسعاً فى أن يبينوا لأقرانهم أن فى ذلك كله مبالغات لا مسوغ لها ، وأوضاعاً ينبغى الانعتاق منها لرؤية المناطق المضيئة التى تبعث على الإعجاب والتعاطف والتواصل وراء أحقاد الماضى وكراهيات الحاضر وهواجس المستقبل ، فلتتبين إلى أى مدى نستطيع إقامة علاقات إيجابية مع هذا الغرب فى المستقبل ، وما هى طبيعة التواصل أو الالتقاء أو الحوار ، أو التنابذ أو التنافر أو العداء التى يمكن أن توجه إليها هذه الأسس[1] .

أعلن الرائد اللاهوتى الألمانى البروفيسور « هانزكونج » وهو أحد المهتمين بمسألة الحوار أنه « بدون سلام بين الأديان ، سيكون هناك حرب بين

---

(١) الدكتور / فهمى جدعان - الشرق الأوسط ١٩٩٥/٧/١١ .

الحضارات ، ولا سلام بين الأديان بدون حوار بينها ، ولا حوار بين الأديان بدون البحث فى أسسها » .. فما الذى يجب عمله إذاً ؟ ماذا يمكن أن نفعل ؟ ما هى العلاقات الجديدة التى يجب علينا أن نسعى لتكوينها ؟

الإجابة على هذه الأسئلة عن طريق أربع مقولات لتغيير التوجه :

الصداقة لا العداء - التفهم لا الجهل - الانفتاح لا الانغلاق - التعاون لا المجابهة .

لقد اخترتُ - كما يقول الأسقف « كانتربرى » فى محاضرته بجامعة الأزهر - كلمة « الصداقة » مفضلاً إياها على كلمة « التسامح » من أجل المعانى المتعددة المرتبطة بالكلمة الأخيرة ، فأنا - الأسقف - مع التسامح الحقيقى ، لكن هناك فهم علمانى ضيق للكلمة يجب أن نراقبه بحذر ، وهو الرأى الذى يساويها باللامبالاة التى نشعر بها تجاه الأشياء التى لا تهمنا ، وهذا ليس بتسامح حيقيقى ، ولكن التسامح الصادق يظهر عندما يعتنى الناس من أعماقهم بمعتقداتهم ، وفى نفس الوقت يظلون قادرين على احترام حق الآخرين فى اعتناق معتقدات مخالفة وأن يعيشوا فى سلام معهم .

- التفهم لا الجهل : إن جهلنا بعضنا ببعض لهو أمر جد خطير ، فالجهل هو أخطر أمراض الحضارة ، وهو ينبع من الخوف وسوء الفهم والتعصب ، وقد تتبع كتاب صدر فى (١٩٩٣) للدكتور « عزيز العظمة » الطريقة التى بها فهم الإسلام فى الغرب عبر العصور المختلفة ، حيث أظهر التشويهات التى تعرض لها الإسلام عبر ثلاثة عصور ، فحتى زمن حركة الإصلاح فى القرن السادس عشر جُسِّد الإسلام كدين متعصب وشرير ، وخلال عصر التنوير فى القرن الثامن عشر كديانة غريبة ، أو بالأحرى سخيفة ، وفى العصر الحديث كدين يجب الخوف منه .

- الانفتاح لا الانغلاق : وإذا كان للحوار أن يستمر من خلال الصداقة فلا مناص من أن نتناول مسألة الانفتاح التى تطرح نفسها بإلحاح ، فإذا كنا حقاً ننشد السلام والتآلف على ظهر هذا الكوكب الصغير المزدحم ،

فيجب أن تكون روح الصداقة والاحترام متبادلة بيننا وبين هؤلاء الذين يخالفوننا فى العقيدة [1] .

وفى خضم هذا الجو لابد من موقف إيجابى من التفاهم وإقامة علاقات متداخلة تقوم على تبادل مصالح مشتركة ، وكذلك لابد من محاولة تفهم الآخر وتقبله كما هو ، دون أن يعنى ذلك تطابق جميع الآراء والاتجاهات والموافقة عليها ، فالتعاون شأنه شأن التعددية ، إنما يعنى احتفاظ كل فريق بخصائصه وصفاته وقبول الآخر على حاله ، وإلا انتفى التعاون والتعدد ، ولابد فى هذا المجال من التفرقة بين الأفكار والمواقف ، وبين التعاون وتبادل العلاقات الثقافية ، وكذلك لابد فى المجال الدينى من التفرقة بين العقيدة والمعاملة ، فإن المرء أو الشعب يمكن أن يحتفظ بآرائه وبمواقفه القومية والوطنية وبعقيدته الدينية ، وفى الوقت نفسه يقيم مع من يخالفه أنواع العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ [ النحل : ١٢٥ ] صدق الله العظيم .

فلابد من النظر فيما وراء الخلافات القائمة سواء أكانت ظاهرة أم كامنة ، لتلمس أسبابها ، ثم لتوضيح وجوه الشبه والتقارب التى يبنى عليها مستقبل العلاقات الثقافية ، وقد صدر كتاب بالإنجليزية عن الفاتيكان عام (١٩٦٩) بعنوان : « دليل الحوار بين المسلمين والمسيحيين » وهو مجموعة مبادئ وجهتها لجنة « شئون غير المسيحيين » بالفاتيكان إلى المسيحيين أنفسهم ، وقد جاء فى الفصل الرابع تحت عنوان ( كيف نعد للحوار ) : « علينا نحن المسيحيين أن نعترف بالمظالم التى ارتكبت فى الماضى ، وعلينا أن نتخلص من أسوأ مشاعر تحيزنا ، وعلينا أن نذكر فكرة الإسلام عن المسيحية » [2] .

---

(١) صحيفة الأهرام : ١٩٩٥/١٠/٦ .

(٢) الدكتور / ناصر الدين الأسد من بحثه المقدم إلى مؤتمر الحوار العربى الأوروبى – لشبونة – أغسطس ١٩٩٥ .

وفى نفس المعنى ، وفى إطار الحديث عن الحوار بين الأديان يقول الدكتور / ميلاد حنا : « لا يشعر أى مسيحى فى الوقت الحاضر بالرضا عن الطريقة التى اتبعها أسلافنا فى حسم الصراعات ، فقد تسبب الصليبيون فى إحداث آثار جسيمة فى علاقات المسيحيين بعضهم ببعض ، وعلاقاتهم بالمسلمين ، وهناك الكثير الذى ينبغى أن نعتذر عنه »[1] .

**شروط الحوار ووسائله :**

إذا أُريد للحوار أن يكون مثمراً ، فعلينا أن نتحاشى النقائص التى أصابت المحاولات السابقة ، وهنا يبرز السؤالان المهمان التاليان :

١ - من يمول مؤتمرات وندوات الحوار الدولية والإقليمية والمحلية ؟

٢ - ومن الذى يشارك فيها ؟

ذلك لأن التمويل ينبغى أن يأتى من جهات شعبية حرة مستقلة ، أو من مؤسسات أكاديمية لا تمولها وزارات الخارجية ، أو مخابرات أية دولة .

وأما المشاركون فيجب أن يكونوا علماء وباحثين مشهودًا لهم بالموضوعية ، ولا يشترط أن يكونوا مجرد موظفين ووعاظ ووزراء رسميين .

أما عن أى حوار ، فلكَىْ يأخذ بأسباب النجاح ينبغى أن تتوافر فيه الشروط التالية :

- المساواة التامة بين أطراف الحوار ، فالحوار كما هو معروف يقتضى أن يكون هناك طرفان أو أكثر كل منهما ند للآخر ، فليس هناك حوار حقيقى بين طرف يفرض إرادته ويُملى شروطه وطرف ضعيف لا حول له ولا قوة .

ولا يكتمل الحوار إلا بالاعتراف بالآخر ، والإسلام يعترف باليهودية والنصرانية ، وأصحابها لا يعترفون بالإسلام كدين سماوى ، وإذا غاب هذا

---

(١) صحيفة الأهرام ١٧/١٠/١٩٩٥ .

الشرط فلا اعتراف بالتعددية ، ولا إمكانية لقيام حوار حقيقى بين الأديان ، ورغم ذلك ، ومع الواقع الراهن فلا بأس من الحوار ، لأنه يحقق بعض المكاسب المرجوة ، فهناك إتاحة لفرصة التعارف بين الناس ، وهناك إتاحة لفرصة كشف الحقائق وتبديد الأوهام والأكاذيب والشبهات وعلامات الاستفهام ، وقد حدث تعاون بين المسلمين والمسيحيين فى بعض المؤتمرات الدولية الأخيرة - مؤتمر السكان - دفاعاً عن الأسرة الشرعية ، ويستطيع أهل الديانات المختلفة بالحوار أن يتعاونوا فى حقل القيم والأخلاق (١) .

- أن تكون هناك قضية - أو قضايا - يتحاور الجانبان بشأنها ، ولابد فى هذه الحالة أن تُحدد بدقة عناصر القضية حتى لا يدور الحوار فى حلقة مفرغة .

- أن يكون هناك تحديد واضح لأهداف الحوار حتى تكون هذه الأهداف دليل المتحاورين ، لا يحيد عنها طرف من الأطراف ، إذ بدون ذلك سنجد كل طرف « يغنى على ليلاه !! » .

- أن يكون هناك مناخ مناسب للحوار يتأى عن الأحكام السابقة والمفاهيم المغلوطة لذلك فإن أى حوار يراد له النجاح لا يجوز أن تكون غايته العمل على إلغاء الطرف الآخر أو استبعاده أو التقليل من شأنه ، بحيث ينطلق الحوار من الاحترام المتبادل والمساواة التامة بين الأطراف ومن نظرة إنسانية شاملة ، ولا يعنى الحوار بأى حال من الأحوال محو الهوية الخاصة لكل من الديانات الثلاث ، أو تنازل أصحابها عن بعض معتقداتهم لصالح أى طرف ، أو إلغاء الخصوصيات التى يتمتع بها كل دين ، فهذا أمر غير وارد إطلاقاً (٢) .

- إن التعريف بالإسلام لا يتم بمجرد دعم المسلمين بالخارج بل لابد

---

(١) الدكتور / محمد عمارة - مرجع سابق .

(٢) الدكتور / محمود حمدى زقزوق - مرجع سابق .

من إقامة حوار نِدِّىٍّ متكافئ يقوم على الحجة والتفاهم ويستند على عقل مفتوح وقلب شجاع وجنان ثابت ، وينبثق من ثقة بالنفس وامتلاك لأسباب التصدى ، والحوار لا يكون بالمواجهة وتصيد أوجه الاختلاف ، أو حتى إظهار تميز وجهة النظر والغمز واللمز بوجهة نظر محاورك ، أو الحط من قدره أو غمطه حقه ، كما أنه لا يكون بالاستكانة لتعالى الخصم أو التسليم بمقولاته بانهزامية وضعف ، فالحوار لا يكون إلا بين نِدَّيْن يحترم أحدهما الآخر ، وإلا استحال إلى إملاء للمواقف وإلزام بالآراء.

## حوار .. ولكن كيف[1] ؟!!

يتعين أن يوفَد إلى مؤتمرات الحوار من يستطيع مجاراة الناس والتفاهم معهم وتفهم مراميهم واستغلال حسن النوايا وتشجيعها وتأييدها ، والانتباه لسيئها والاحتراز منه وتعريته والتحذير منه .

وفى هذه الحوارات توجد الفئتان ، أى حسنو النوايا ، صادقو العزائم ، متفتحو العقول والقلوب ، وكذلك الخبثاء ممن يكيدون للإسلام وأهله ، ويقض مضجعهم تفاهم أهله مع الغرب ، أو تفهم الغرب لحقيقته ، وكلا الطرفين جدير بالحوار ، قمين بالنقاش ، ولكل فئة مراميها ، ولكل منهما طريقتها ، ولكل منهما الأسلوب الذى يصلح للتفاهم معها ، وليس أضر على الإسلام من الانكماش وترك الساحة لمن لا يرجون له ولأهله الخير سواء كانوا ممن ينتسبون إليه زوراً وبهتاناً ، أو ممن لا يخفون عداءهم له ، أو كانوا ممن يلوون عنقه ليشفى أمراض أنفسهم ، أو ممن يجهلونه ولكنهم لا يكفون عن لى ألسنتهم بما يعيبه .

ولا علاج لكل ذلك إلا بالخروج إليهم ومنازلتهم حتى يتبين الخبيث من الطيب ، ويقضى الله أمراً كان مفعولاً ، ولكن الأهم من ذلك أن يتم رسم منهج واضح ، وتقدير محكم لا يترك للاجتهادات الشخصية إلا القليل ،

---

(١) الدكتور / عبد العزيز بن إبراهيم السويل - صحيفة الشرق الأوسط .

فلو أسست مثلاً « هيئة إسلامية للحوار » فينبغى أن تشمل المفكر والسياسى والعالم والطالب ، وتقوم بدراسة أساليب الغرب وفهم طرائقه ورصد توجيهاته ثم تقوم بهضم الثقافة الإسلامية وإعادة صياغة طرحها بما يتناسب وكل ذلك .

ومن أهم أسس التفاهم والحوار تأجيل ما ينكأ جرحاً ، أو يذكى ناراً ، لا لعدم وجود ذلك ، بل لوجوب اعتماد استراتيجية استمالة القلوب أولاً ، والإحسان إلى من يُظهر بعض الود من الاعتدال فى ذلك ، وبعدم المبالغة فى كيل المديح واستجداء الدعم من هذا الطرف أو ذاك ، وقد نجح فعلاً أقوام ابتدءوا بذلك على ما هم عليه من مكر وخداع وكره للغرب ، إلا أن للحكمة - ونحن أجدر بذلك من غيرنا - دورًا لا يستهان به لتأسيس مساق الحوار لتحقيق موقع قدم ثم الانطلاق منه .

إن علينا أن نحسن قواعد اللعبة ، ونجيد فن السجال ، ولا بأس من خلط ذلك بشىء من حكمة ديننا وجميل خلقنا من ترفع عن المهاترة ، وتقديم بديل للفاحش من القول ، بل علينا مهمة تعديل مسار الحوار والرقى به بما يحث عليه شرعنا من الحوار والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن .

والحذر كل الحذر أن ننساق إلى كيل المدائح لمن يميل نحونا ويبدى تعاطفاً معنا ، ولما نتبين أهدافه ونطلع على حقيقة مراميه ، بل لا ينبغى المبالغة فى ذلك حتى مع من صحت نواياه ، وثبت ولاؤه فأسلم ، فليس لأحد أن يمن على الله بإسلامه ، بل الله يمن على من هداه ، ولا فضل لأحد على هذا الدين حتى نستميت لاستمالة مفكر أو نفتخر بانضمام قائد إلى معسكرنا .

ولكى يكون الحوار حقيقياً ، يجب أن يكون جاداً ، مخلصاً ، بعيداً عن الشكليات ، ويشترك فيه أفراد محدودون يقدمون فيه وجهات نظر صادقة ، ويتحاورون محاورات بناءة ، إذا كان ذلك فسيكون مفيداً ، وإذا كان غير ذلك ، أى مجرد دعاية لجهة من الجهات ، تريد أن تلقى فى روع

الآخرين أنها قد غيرت موقفها وصارت أكثر مرونة ومستعدة للحوار ، فى حين تدل شواهد أخرى أنها لم تغير فى حقيقة الأمر شيئاً من مواقفها ، فإن الحوار على هذا النحو لن يحقق ثمرة ما[1] .

**رسالتان متبادلتان!![2]**

نختم هذا الموضوع عن الحوار والتفاهم بهاتين الرسالتين لما فى رد الرسالة الثانية على الرسالة الأولى من معان ودلالات نحب أن نثبتها هنا :

**الرسالة الأولى** : السيد المحترم صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر ( كان فى ذلك الوقت الدكتور عبد الحليم محمود - رحمه الله رحمة واسعة ) .

السلام عليكم ورحمة الله .. وبعد .. فيسر جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية فى مدريد أن تتوجه إلى فضيلتكم لتشرف بإخباركم بما استقر عليه الرأى من انعقاد مؤتمر قرطبة العالمى الإسلامى المسيحى الثالث خلال عام ١٩٧٩ إن شاء الله ، وقد رأت إدارة الجمعية اختيار موضوع : « محمد وعيسى ملهمان للقيم الاجتماعية المعاصرة » ليكون محور اللقاء القادم ..

وفى انتظار كريم ردكم نرجو أن تقبلوا خالص تحياتنا ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سكرتير عام جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية بمدريد

- **الرسالة الثانية** : بسم الله الرحمن الرحيم .. السيد المحترم ... تحية طيبة .. وبعد : فإنى أشكر لكم هذه الرغبة فى التفاهم بين المسلمين والمسيحيين ، وإثراء الفكر المعاصر بالحلول التى أوحاها الله تعالى إلى محمد وعيسى صلى الله عليهما وسلم ، وذلك فيما يتعلق بالمشاكل المعاصرة .

---

(١) الدكتور / محمد فتحى عثمان - فقه الدعوة .. ملامح وآفاق - كتاب الأمة - ص ١٢٢ .

(٢) الدكتور / عبد الحليم محمود - مرجع سابق - ص ١٨١ - ١٨٧ بتصرف .

وقد وصلتنى أخبار المؤتمرين السابقين ، وأحب أن أنبه فى مودة ، ومن أجل تفاهم عميق إلى بعض الأمور :

١ - إن الإسلام - منذ أن بدأ خالف الجو العالمى : اليهودى والوثنى .. فى أمر عيسى عليه السلام ، لقد أعلن الإسلام مباشرة تقديره واحترامه لعيسى وأمه ، أما عيسى فهو وجيه فى الدنيا والآخرة ، وأما أمه فهى صِدِّيقة ، ووجود عيسى عليه السلام جزء من إيمان المسلم ، وبراءة أمه وطهرها جزء من إيمان المسلم ، ولم يقف الإسلام من عيسى عليه السلام ومن أمه موقف اليهود الذين مازالوا على موقفهم إلى الآن من عيسى وأمه ، لقد افتروا ومازالوا على عيسى وعلى أمه ورموهما ببهتان شنيع ، أما الإسلام ، فإنه مجدهما ومازال يمجدهما .

فماذا لقى المسلمون من المسيحيين فى مقابل ذلك ؟!!

٢ - إنه لابد من الاعتراف بالدين الإسلامى وبرسوله حتى ينال المسلمون فى أورروبا ما يناله اليهود من الاعتراف بأعيادهم وشعائرهم ، وأنه لا يتأتى التفاهم بين أتباع رسول يحترمه المسلمون هو عيسى عليه السلام ، وأتباع رسول لا يعترف به المسيحيون هو محمد ﷺ .

٣ - إن المسلمين والمسيحيين يعملون على مقاومة الانحراف والانحلال والمادية والإلحاد ، وكان يجب أن يسيرا فى خط متعاون متساند ضد التيارات المنحرفة ، ولكن - للأسف - يسير المسيحيون فى طريق تنصير المسلمين بقوة : فهم يعملون ليل نهار على أن ينصروا المسلمين فى كل مكان فى العالم وكل الدول الغربية ترسل إرساليات لتنصير المسلمين بأسلوب مكشوف واضح ، أو بأسلوب خفى مستور ، والدول الإسلامية ليس لها إرساليات تبشيرية ، وقد أرسل المسيح عليه السلام لهداية خراف بنى إسرائيل الضالة ، ومع ذلك فإن المسيحيين تركوا خراف بنى إسرائيل الضالة وأخذوا يعملون على تنصير المسلمين تساعدهم الثروة ووسائل الحضارة الحديثة ، ولو حصروا نشاطهم على تنصير الوثنيين لما أثار ذلك

ضيق المسلمين الشديد وكراهيتهم للأسلوب ولموضوع التنصير نفسه .

٤ - ونحب أن ينتهى التنكيل بالمسلمين فى الأقطار التى بها الأغلبية المسيحية ، نحن نحب أن ينتهى ذلك إنسانية ، وديناً ..

٥ - وفى هذه المؤتمرات التى تعقدونها يتبع المسلمون مبادئ دينهم فيحترمون المسيح عليه السلام وأمه ، أما المسيحيون فإن البعض منهم لا يبالى ، فيتحدث عن رسول الإسلام بما يضيق به المسلمون فلا تكون هذه المؤتمرات وسائل تفاهم ، وإنما تكون وسائل تنافر ، كما حدث فى المؤتمرين السابقين ، فيجب التزام روح التفاهم ، فلا يُساء إلى المسلمين فى مقدساتهم .

٦ - ونحن من جانبنا قدمنا أسس التفاهم واضحة سافرة : احترام المسيح عليه السلام ، احترام أمه عليها السلام .. فماذا قدم المسيحيون ؟ .. لا شىء ؟

بل على العكس من ذلك لقد هاجموا ومازالوا يهاجمون رسول الإسلام ، ومبادئ الإسلام ، فهل يمكن مع ذلك التفاهم ؟!!

٧ - وأحب أن أقول : إن الإسلام هو العامل الأكبر فى تثبيت المسيحية حين اعترف بوجود المسيح عليه السلام وحين برأ أمه ، ومع ذلك قوبل ومازال يقابل بالجحود من المسيحيين .

وبعد : فإنى أحب صادقاً أن نتعاون فى صد كل انحراف ، وأحب أن أقول إنه لولا تقديرى لكم لما كتبت لكم هذا ، وإننى يسرنى أن أقرأ لكم ، وسأتحدث إليكم عن رأيى فى موضوع المؤتمر فى المستقبل إن شاء الله .. ولكم تحيتى وتقديرى .

الدكتور / عبد الحليم محمود - شيخ الأزهر

* * *

## ثانياً : تصحيح صورة الإسلام

نحن نشتكى دوماً من سوء فهم الغرب ، قادةً ، ورأياً عامًا ، وإعلاماً ، لمواقفنا وقضايانا العادلة ولقيمنا ومبادئنا ، وعاداتنا وتقاليدنا ، كما نحتج على الحملات المغرضة ومحاولات الدس الصهيونية لتشويه الوجه العربى والإسلامى ، و« غسل أدمغة الشعوب » لحملها على معاداة العرب والمسلمين .. وتقديم صورة مشوهة عن حضارتهم وتاريخهم وواقعهم .

ولكننا نتساءل : ماذا قدمنا نحن بالمقابل للرد على الحملات وتحسين الصورة ومواجهة الفئات المعادية والحاقدة على اختلاف توجهاتها وعقائدها ؟ وما هو الأسلوب الأمثل لتوضيح المواقف وتصحيح النظرة ، وجذب الرأى العام العالمى .. والأوروبى بالذات ، لا ليقف معنا بالكامل ، فهذا مستحيل ، بل ليتعاطف معنا ويتفهم الحقائق ثم يحكم ويتخذ الموقف السليم .

إن تصحيح صورة الإسلام فى أوروبا يبدأ من المسلمين فى العالم الإسلامى ، وفى أوساط الجاليات الإسلامية هناك ، وذلك من خلال عملية شاملة تقوم على أساس إصلاح الأحوال بعقل ورشد وفقاً للمقاصد الشرعية ، ذلك أن قدراً ما من المسئولية فى تشويه صورة الإسلام يقع على عاتق المسلمين أنفسهم وينبع من محيطهم ، ذلك أن بعض الممارسات الخاطئة وبعض مظاهر الانحراف فى جوانبه المادية والأدبية ، وكذلك بعض أسباب التأخر والتراجع التى تعم بلدان العالم الإسلامى ، كل ذلك يسهم بقسط فى إيجاد الأسباب والدواعى التى تشجع بعض الأوساط الفكرية والإعلامية الأوروبية على ترويج الصور المشوهة عن المجتمعات الإسلامية ، أو فى أوساط الجاليات الإسلامية هناك ، والتى تدفعها إلى شن غاراتها الإعلامية والسياسية والفكرية ضد المسلمين أفراداً وجماعات وفكراً وعقيدة وحضارة وثقافة .

لذلك ينبغى تضافر كافة الجهود لتصحيح صورة الإسلام والمسلمين فى أذهان الأوروبيين لأن المسلمين لا يمكن لهم أن يفرضوا أنفسهم على العالم ، وأن يلزموا - أو على الأقل - أن يقنعوا الغرب بالعدول عن تشويه صورتهم فى وسائل الإعلام الأوروبية المختلفة إلا إذا كانت لديهم المناعة الواقية ، وكان لهم الاحترام الذى يفرض نفسه والمصداقية التى تحقق لهم حضوراً متميزاً على الساحة الدولية .

إن العلاقة بين صورة المسلمين فى الداخل ، والصورة فى الخارج ، علاقة وثيقة جداً ، لذلك فإن المطلوب فى الوقت الراهن تقوية آليات العمل الإسلامى - الرسمى والشعبى - المشترك فى دائرة التضامن الإسلامى من أجل الرفع من مستوى الحياة فى بلداننا ، وفى سبيل اكتساب الوسائل التى تساعد على الظهور أمام العالم بالمظهر الذى يليق بنا كأمة ذات رسالة وحضارة ، وبذلك تتحسن صورتنا لدى أوروبا والغرب كافة ، ونثبت وجودنا فى الساحة الدولية .

لابد من امتلاك وسائل القوة والمناعة والحصانة إذا أردنا تصحيح صورتنا لدى الغرب ، ولن تتحسن الصورة البشعة التى يظهرنا بها الغرب بقرار ، ولكن بإرادة البناء الجاد ، والتغيير الرشيد ، والعمل المتواصل لما فيه التقدم والازدهار فى المجالات كافة .

وذلك يستدعى حتماً إقدام الجمعيات والمنظمات الإسلامية من خلال مختلف وسائل الإعلام والاتصال على التوجه إلى الغربيين فى محاولة دائبة لإيضاح ما غمض والتبس بالنسبة للدين الإسلامى فى العقلية الأوروبية ، وشرح خلفيات الأحداث والمواقف التى تحدث فى البلدان الإسلامية أولاً ، وفى صفوف الجاليات الإسلامية المتنامية فى أوروبا ثانياً .

ويمكن إرجاع الأسباب التى تعمل على تشويه الصورة الحقيقية للإسلام إلى أصناف ثلاثة من المسلمين - من حيث الأسباب النابعة منهم - يؤثرون فى ذلك :

- صنف يدعى أنه يفهم الإسلام ، وهو يفهمه من خطأ يزيغ به عن مقاصده ، الأمر الذى يوجِد لدى هذا الصنف نوعاً من الجهل المركب ، وغالباً ما يدفع به إلى تحميل الإسلام ما هو برىء منه ، فيقدمه منكمشاً تارة ، وعدوانياً تارة أخرى .

- صنف يعرف الإسلام على حقيقته لكنه لأسباب منهجية لا يحسن تبليغه ، وبدلاً من أن يقربه إلى المدارك ، يجعلها تضيق به .

- صنف ثالث ، وهو الأخطر لا يفهم الإسلام بتاتاً ، ومع ذلك ينتصب داعية له ، معتمداً على منهجية العنف والتصلب والغلو ، وقد يندس بين هؤلاء من يضمرون الإساءة للإسلام بهدف عزله عن المجتمعات الأوروبية ، واستغلال أحداث العنف الدموية المنسوبة لبعض المسلمين للإساءة من خلالها إليهم وإلى الدين الذى يعتنقونه .. الإسلام .

وفى إطار تصحيح صورة الإسلام والذود عنه وصد الحملات المضادة له فإن تصحيح العديد من أوضاع المجتمعات الإسلامية فى العالم الإسلامى ، والتجمعات الإسلامية فى أوروبا ، والسعى لإيجاد انسجام بين تلك الأوضاع وقيم الإسلام ومبادئه ، تُعد خطوة حضارية ضرورية وأساسية فى الرد العلمى على محاولات التزييف والتشويه .

ويجب لذلك ضرورة الاتفاق على خطة عمل شاملة لمواجهة هذه الحملات المضادة للإسلام وتكوين فهم صحيح له ولحضارته ، والتأكيد على أن تشمل خطة العمل ما يلى :

- اتخاذ المبادرات الفاعلة للتعريف بالإسلام والمجتمعات والتجمعات الإسلامية دون انفعال أو استعلاء على الآخرين ، وبغير تردد أيضاً فى الدفاع عن القيم والمبادئ الإسلامية .

- السعى لتجميع المفاهيم الإسلامية الصحيحة حول المسلم والتعايش والإخاء ، وتقديمها على نحو ميسر للفهم مستمدة من القرآن الكريم ،

والحديث الشريف مع الاستئناس بالتاريخ الإسلامى ، وضرورة الأخذ بعين الاعتبار نمط تفكير الجمهور المتلقى ، وهو جمهور تتنوع معاييره الفكرية والإدراكية والثقافية .

- السعى لإدخال التعليم والثقافة الإسلامية فى برامج التعليم فى الدول الأوروبية .

- ضرورة بذل الجهد لإصدار كتب وموسوعات إسلامية باللغات الأوروبية يشرف عليها فى ترجمتها أو تأليفها فريق من العلماء المحققين .

- شرح وتبيان القيم والأحكام الأصيلة ، خاصة تلك المتعلقة بحقوق الإنسان والمرأة ، من جانب علماء ذوى أقدام راسخة فى العلوم الإسلامية ، ومعرفة كافية بالثقافة الأوروبية .

- فضح ورفض المفاهيم والمعتقدات الخاطئة التى تروج لحتمية الصراع بين الإسلام والغرب .

- إبراز العلاقة القائمة بين الإسلام والتقدم فى المجالات العلمية - الإعجاز العلمى والطبى فى القرآن والسُّنة - والإنسانية والعلاقات الدولية .

ويتعين توفير الآليات اللازمة المختلفة من وسائل إعلام مختلفة وكوادر متخصصة ، ودعم مالى وذلك تحت إشراف هيئات ومنظمات إسلامية .

* * *

# خاتمة

إن الوجود الإسلامي في أوروبا أصبح حقيقة لا مراء فيها ، وأنه وُجد ليبقى ويستمر ، ووُجد لينتشر وينتصر بعون الله تعالى ، لذلك كان لابد للمسلمين اليوم من التواصل فقهاً وواقعاً ومستقبلاً مع هذه الحقيقة ، والتأصيل لها بشكل علمي مدروس ، وإعداد الوسائل الكفيلة بتحقيقها .

والمسلم صاحب هدف وعقيدة ترسم له أبعاد حركته ، فهو يعتقد أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين ، وأن محل عقيدته ومجال دعوته أرض الله الواسعة كلها ، وأن دينه لا يُحبس في لون أو جنس أو قوم أو جغرافية أو أرض ، وإنما هو دين الله لعباد الله جميعاً ، فالمطلوب منه دائماً : أن ينزل إلى الساحة ليؤدي دوره في عملية البلاغ المبين ، ولا يعاني من عقدة الاغتراب ، ولا تنطفئ فاعليته على غير أرضه التي نبت فيها ، فهو كالنور يدخل من أضيق الثقوب ، وكالقمر إذا غاب عن أرض أو انحسر منها طلع في أرض أخرى .

ونحن لا ندعي أن هذا البحث قدم دراسة كاملة مستوفاة عن قضية المسلمين في أوروبا والمشكلات التي يعاني منها الوجود الإسلامي هناك ، وما يقتضيه من فقه لهذه المشكلات التي يتعرض لها المسلم في ديار الغربة ، وإيجاد الأوعية الشرعية لحركة وسلوك الجالية الإسلامية في البلدان الأوروبية .

فذلك أمر مطلوب من العلماء الذين يفقهون هذا الواقع ، ويقدرون على توليد الأحكام الشرعية على هدى من مبادئ الإسلام القادرة على .

الاستجابة لكل الظروف والأحوال بما يناسبها ، وإيجاد المؤسسات المتخصصة لذلك ، ومن يعيشون الظروف ويبصرون المشكلات ويستقرئون الحلول ، وأهل مكة أدرى بشعابها !!

وإنما هذه الدراسة هي موطئ قدم ، ووميض نور قد يكشف لنا بعضاً من جوانب الصورة ، لنلتمس الحلول المناسبة على هديه ، ونحن لا ندعي الكمال أو الجمال فيما عرضنا له .. ولكنه جهد المقل .. والله تعالى من وراء القصد ، ومنه نستمد العون ، إنه سميع قريب مجيب .

**خالد محمد الأصور**

القاهرة في غرة رجب الفرد ١٤١٨ هـ
أول نوفمبر ١٩٩٧ م

* * *

# فهرس الكتاب

الموضـــــوع | الصفحة

الموضـــــوع | الصفحة

| الموضـــــوع | الصفحة |
|---|---|
| **الفصل الأول** | |
| **مشكلات نابعة من المجتمعات الأوروبية** | ١١٣ |
| **أولًا** : العنصرية - الاضطهاد - التعصب ........ | ١١٥ |
| **ثانياً** : التعليم ........ | ١٣٩ |
| **ثالثاً** : الحجاب ........ | ١٤٩ |
| **رابعاً** : عدم الاعتراف بالدين الإسلامى ........ | ١٥٤ |
| **الفصل الثانى** | |
| **مشكلات نابعة من واقع الجاليات الإسلامية فى أوروبا** | ١٥٧ |
| **أولًا** : الزواج المختلط ........ | ١٥٩ |
| **ثانياً** : العنف والإرهاب ........ | ١٦٣ |
| **ثالثاً** : مشكلات أخرى ........ | ١٦٧ |
| **الفصل الثالث** | |
| **مشكلات الجهود المضادة للعمل الإسلامى فى أوروبا** | ١٧١ |
| **أولاً** : التشويه الإعلامى والثقافى ........ | ١٧٣ |
| **ثانياً** : الاستشراق ........ | ١٨٥ |
| **ثالثاً** : الازدواجية الفكرية ........ | ٢٠٠ |
| **رابعاً** : طمس الهوية الإسلامية وفرض الاندماج ........ | ٢٠٨ |
| **خامساً** : التنصير ........ | ٢١٢ |
| **سادساً** : الصهيونية والقاديانية والبهائية ........ | ٢١٨ |
| **الفصل الرابع** | |
| **مشكلات قصور العمل الإسلامى فى أوروبا** | ٢٢١ |
| **أولاً** : غياب التنسيق وبروز الشعوبية ........ | ٢٢٣ |

| الموضـــــوع | الصفحة |
|---|---|



## الباب الثالث

* * *


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٣٦٢٩ / ١٩٩٨

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطي شبرا القاهرة
الرقم البريدي ــ ١١٢٣١